الكتاب: مجلة تراثنا
المؤلف: مؤسسة آل البيت
الجزء: ٤٧
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة:
سنة الطبع: ١٤١٧
المطبعة: ستارة – قم
الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم المشرفة
ردمك: ISSN:١٠١٦-٤٠٣٠
ملاحظات: العدد الثالث – السنة الثانية عشر رجب ١٤١٧

تراثنا
نشرة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث
* الاسهام في النشرة باب مفتوح لجميع العلماء والمحققين والباحثين والمعنيين بشؤون تراث أهل البيت عليهم السلام.
* الآراء المنشورة لا تعتبر عن رأي النشرة بالضرورة.
* ترتيب المواضيع يخضع لأمور فنية، وليس لأي أمر آخر.
* النشرة غير ملزمة بنشر كل ما يصل إليها، أو بإعادتها إلى أصحابها.
المراسلات: تعنون باسم: هيئة التحرير.
دور شهر - خيابان شهيد فاطمي - كوچه ٩ - پلاك ٥ - هاتف: ٥ - ٧٣٠٠٠١.
تراثنا.
العددان: الثالث والرابع (٤٧ و ٤٨) السنة الثانية عشرة / رجب - ذو الحجة ١٤١٧ ه.
الإعداد والنشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
الكمية: ٢٠٠٠ نسخة.
الفلم والألواح الحساسة (الزنكغراف): واصف: قم.
المطبعة: ستاره - قم.
قيمة الاشتراك السنوي في نشرة تراثنا ٢٠٠ تومان في إيران، و ٢٥ دولارا أمريكيا في بقية أنحاء العالم.

التشيع والوسطية الإسلامية
د. محمد عمارة من الاعتزال إلى السلفية
ومن المعارضة إلى التطبيع
أكرم عبد الكريم ذياب

من ذخائر التراث:
نهاية الإقدام في وجوب المسح على الأقدام – للشهيد الثالث.
تحقيق: هدى جاسم محمد أبو طبرة ٣٣٩
* من أنباء التراث.
هيئة التحرير ٤٨١
* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

التشيع والوسطية الإسلامية
د. محمد عمارة من الاعتزال إلى السلفية
ومن المعارضة إلى التطبيع
أكرم عبد الكريم ذياب
بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد:
فقد طالعتنا مجلة " الوطن العربي " في عددها المرقم ١٠٢٨، الصادر في ١٥ / ١١ / ١٩٩٦ ص ٢٢ - ٢٣، بحوار تحت عنوان: رأي " الوسطية الإسلامية " في الفكر الشيعي، للدكتور محمد عمارة، الذي - ولأول وهلة - يحسب القارئ له أنه يحمل في طياته فكرا جديدا من شأنه المساعدة في تحقيق مفهوم الوحدة الإسلامية التي يرمي إليها العالم الإسلامي المعاصر.
ولكن للأسف! وجدنا الدكتور المذكور يحول الوسطية الإسلامية المدعاة من قبله إلى انتقادات لاذعة، وافتراءات لا أساس لها في الواقع سوى أنها جاءت كالسهام تطال جسد الأمة الإسلامية التي كانت ولا تزال تعاني من التشرذم.

وإذا به بدلا من السعي لترميم واقعها تراه يصف الشيعة بالغلو لفكرة أو عقيدة اعتقدوا بها وأسسوا لها أبحاثا قد لا يكون الدكتور تفحص في محتوياتها، أو تفحص فيها بلا عمق ودقة، جاعلا الوسطية عنوانا لطريقة اختارها في ذم الشيعة والقدح في اجتهاداتهم.

ولا نظن أن توحيد الصف و " صيانة الوحدة وتماسك النسيج " يمر عبر نعت الشيعة بأنهم " يخلخلون وحدة المذهب ويصنعون القلق الطائفي " تحت حجة أن الشيعة لم يلتزموا الوسطية.

ثم نراه يتعرض لطرح الإشكاليات والانتقادات المردودة، مع ما للشيعة من أقلام تدافع عن الوحدة الإسلامية إلا أنها لا تقبل بتاتا المس بمقدساتها والطعن في اجتهاداتها بلا مبررات موضوعية لها، وليس ذلك سوى جهلا أو تجاهلا للحقيقة.

وإننا أمام تلك الشبهات المطروحة نجد أنفسنا مضطرين للدفاع عن تلك المعتقدات، منتقدين وجهة النظر التي صبت الشيعة في خانة المتطرفين والمزعزعين لوحدة الصف التي ينظر من خلالها أمثال الدكتور إلى التشيع نظرة سلبية ومحدودة، ولكن هذه المرة تحت عناوين براقة: كالوسطية والوحدة وغيرهما...

والحق أن الحوار لا يخلو من التناقضات الواضحة إذ إنه تارة يطالعنا بقوله: " علينا أن نحاور بالفكر " وأخرى يقول لنا: " من حق التشيع أن يحتفظ بفكره " و " تعصب الشيعة لأئمتهم جعلهم يشقون صف الأمة ".. إلى آخره من الاتهامات المدفوعة والحجج الموهومة التي لا واقع لها، خصوصا لمن استقرأ التشيع وعرفه حقا.

وأمام هذه الهجمة الشرسة على الشيعة، التي لا تخدم سوى أعداء

الإسلام، نتناول بعضا مما ذكره الدكتور، مفندين تلك المزاعم، ومستهلين البحث بما استهل به حديثه فنقول، وبالله نستعين – كما قال هو –:

" عندما نتحدث عن قضية الفكر الشيعي يحسن أن نضبط هذه القضية سواء في واقعها التاريخي أو في واقعها المعاصر.. ".

والحق أن المتحدث راح يتخبط في حواره خبط عشواء، فلم يستطع ضبط حقيقة هذه القضية كما ادعى من جهة، ولا أنه أحسن في ضبط رأيه تجاهها من جهة أخرى..

وليس كلامنا – عزيزي القارئ – جناية عليه، وإنما من دقق وتمعن في محتوى ما ذكره الدكتور في مستهل حديثه، وقارنه بما استأنف به كلامه حول القضايا المختلفة، يستنتج – بلا شك أو ريب – ما استنتجناه.

وللوقوف على تلك الحقيقة يحسن استعراض بعضها إجمالا ليتبين لك الحق من الباطل:

أولا: تناقض في الحوار:

إن في كلام الدكتور تناقضا واضحا، إذ إنه في بداية الحوار ذكر " أن فرقا من الغلاة الشيعة وهؤلاء أغلبهم قد انقرض... ".

وقال: " أن التيار الشيعي الذي وقف بين بين، أي ليس غلوا وليس زيديا في اقترابه من الفكر السني يمثل الآن أغلب الشيعة المعاصرين ".

ثم ينعطف فيقول: " لكن المصريين تعاطفوا... دون أن يتحول هذا التعاطف إلى الغلو الذي يجعلهم معصومين أو الذي يجعلهم يحتكرون الإمامة والخلافة والسلطة دون الأمة "!

ولا شك – عزيزي القارئ – أن هذا هو التهافت بعينه، إذ كيف يدعي

تارة أن الشيعة المعاصرين ليسوا غلاة ويعود فيتهمهم بالغلو لتمسكهم بالعصمة وإمامة الأئمة (عليهم السلام)، مع العلم أن هذا هو مذهب أغلب المعاصرين من الشيعة إذا صح التعبير.

ثانيا: غياب المصطلح:

لعله غاب عن ذهن الدكتور معنى الغلو، المصطلح عليه في علم الكلام وفي الملل والنحل، حتى راح ينسبه للشيعة دون أدنى معرفة منه بعقائدهم، معتقدا بأن العصمة للأئمة غلوا، وهذا باطل كما سيتبين.

ثالثا: زور وبهتان:

لا يخفى أن عد الغلاة من الشيعة زور وبهتان وإن قالوا – أي الغلاة – بألوهية الأئمة (عليهم السلام)، إذ كيف يصح نسبة تلك الفرق إلى الشيعة وهم ليسوا بمسلمين؟!

وهل يؤخذ البرئ بجرم المعتدي؟!

ناهيك عن الموقف الواضح لأئمتنا من الغلاة إذ إنهم لعنوهم وطردوهم وحذروا شيعتهم منهم، فكانوا يقولون: " لعنهم الله (الغلاة) إنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا، أو عاجز الرأي، كفانا الله مؤنة كل كذاب، وأذاقهم الله حر الحديد ".

كما أخرج الكشي عن أبي بصير، قال: قال لي أبو عبد الله: " يا أبا محمد! إبرأ ممن يزعم أنا أرباب ".

قلت: " برئ الله منه ".

فقال: " إبرأ ممن يزعم أنا أنبياء ".

قلت: " برئ الله منه " (١).
هذا، ولدينا أدلة على أن هذه الفرق بمعظمها – إن لم نقل كلها – من افتعال السلطات الجائرة وأعداء أهل البيت (عليهم السلام).
رابعا: قلة الدراية بعقائد الفرق:
قال: " لأن الزيديين لا يكادون يختلفون عن الفكر السني، وهم في الأصول قريبون من المعتزلة... ".
والصحيح أن الزيدية في الأصول هم أقرب إلى الاثني عشرية من أهل السنة وإن اختلفوا في التفصيل والتفريع.
وللتحقيق نذكر ما يلي:
أ – مفارقة واضحة:
إن ما صنفه الدكتور احتكارا للسلطة وغلوا في الشيعة – كما مر بك – يعتقد به الزيدية، وليس عليك إلا مراجعة كتبهم الدالة على ذلك ومنها العقد الثمين في معرفة رب العالمين تأليف: الأمير الحسين بن بدر الدين محمد (٥٨٢ – ٦٦٢ ه) في فصل " الإمامة بعد الحسنين " قال:
" فإن قيل: لمن الإمامة بعدهما؟
فقل: هي محصورة في السبطين ومحظورة على ما عدا السبطين...
وقد انعقد إجماع المسلمين على جوازها في أولاد فاطمة (عليها السلام) ولا دليل على جوازها في غيرهم، فيبقى من عداهم لا يصلح ".

---

(١) رجال الكشي: ٢٩٧ ح ٥٢٩، عنه بحار الأنوار ٢٥ / ٢٩٧ ح ٦٠.

ب – عقائد الزيدية:
قال: " الزيدية شيعة لكنهم لم يجعلوا الإمامة أصلا من أصول الاعتقاد.. ".
والواقع أن هذا ليس صحيحا، لأن من راجع كتبهم ومصادرهم يتبين له الحق كما في المصدر المذكور سابقا، حيث عقد المؤلف لها بحثا منفردا في فصول متعددة جاعلا منها أصلا من الأصول الخمسة التي تقول بها الإمامية، مبتدئا بقوله:
" فإن قيل: من أول الأئمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأولى الأمة بالخلافة
بعده بلا فصل؟
فقل: ذلك أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب.
فإن قيل: هذه دعوى، فما برهانك؟
فقل: الكتاب، والسنة، وإجماع العترة ".
وفي كتاب الأحكام للإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (٢٤٥ – ٢٩٨ ه)، قال:
" فإذا فهم ذلك، ولاية أمير المؤمنين وإمام المتقين علي بن أبي طالب رحمة الله عليه واجبة على جميع المسلمين فرض من الله رب العالمين، ولا ينجو أحد من عذاب الرحمن، ولا يتم اسم الإيمان حتى يعتقد بذلك بأيقن الإيقان، لأن الله سبحانه يقول: * (إنما وليكم...) * " (١).
كما يمكن للدكتور عمارة مراجعة كتاب الأساس لعقائد الأكياس في

---
(١) الأحكام – طبعة ١٤١٠ ه – ١ / ٣٦.

معرفة رب العالمين وعدله في المخلوقين للإمام المنصور بالله القاسم بن يحيى بن علي الزيدي (ت ١٠٢٩ ه)، منشورات دار التراث الإسلامي صعدة اليمن، ١٩٩٤، ص ١٥٠ – ١٥١.

* * *

القضايا التي يختلف فيها الشيعة عن السنة

ابتداء نتعرض لقضية ادعى الدكتور فيها أن " الفتوى التي صدرت من المرحوم الإمام الأكبر الشيخ شلتوت عن أن المذهب الشيعي مذهب إسلامي... كانت خاصة بالمذهب الجعفري، وليست خاصة بنظرية الإمامة عند الشيعة، ولكن بعض الناس خلطوا هذين الأمرين... ".

والمفهوم من كلامه أمران:

الأول: أن الإقرار بأن المذهب الشيعي مذهب إسلامي لا يتعدى الجانب الفقهي، وبمعنى آخر أن الفتوى لا تبيح الجانب الاعتقادي للشيعة، وأن نظرية الإمامة ليست مذهبا إسلاميا يتعبد به.

والحاصل عند الدكتور – اعتمادا على رأيه الذي سنوافيك به – تكفير الشيعة بلا محالة بحسب الأصول الفقهية، لأن الإمامة تصبح بنظره بدعة وغلوا، لأنه إدخال في الدين ما ليس منه وإن صرح خلافه.

الثاني: أنه يرى إمكانية الفصل بين " الفقه " و " العقيدة " فيما لو أريد الاتباع.

ونجيب على حاصل المفهوم فنقول:

أولا: إن هذا يتنافى مع قناعته التي تفضل بها عندما قال: " أنا لا أميل إلى استخدام أساليب التكفير في داخل الأمة الإسلامية " وصرح بما يفيد أن الشيعة جزء من الأمة الإسلامية.

ثانيا: لا أدري من أين له أن يفصل في المذاهب بين " الفقه " و " العقيدة " وكأنه نسي حينها بأن الأول نعني به " الفروع " والثانية نعني بها " الأصول "، وإنما الفروع تابعة للأصول.

ويشهد بهذا ما حكم به هو – حسب اعتقاده – من القول بتكفير الشيعة لأهل السنة – وإن لم يصرحوا – إذ لا بد من إجراء أحكام الكفر على منكر الإمامة فقها كما قال، مثيل من أنكر التوحيد أو النبوة أو المعاد، وهذا يعني في الحقيقة عدم إمكانية فصل " الأصول " عن " الفروع " في المذاهب، لأن كثيرا من أحكام الأخيرة تتوقف على الاعتقاد بالأولى كما بينا.

هذا كله فيما لو صح كلام الدكتور بأن فتوى الشيخ شلتوت إنما كانت خاصة بالمذهب الجعفري، وليست خاصة بنظرية الإمامة، ومن عاد إلى الوراء قليلا – وبالتحديد إلى زمن صدور الفتوى في ٧ / ٧ / ١٩٥٩ – لعرف الحقيقة الدامغة التي تدحض كل ما جاء به الدكتور، من تلبيسات وأوهام بشأنها...

وللتوضيح أنقل – مقتطفا – بعضا مما جاء فيها باختصار، قال شيخ الأزهر السابق:

" أولا:... ولا عبرة بما يكتب في بعض الكتب عن انحصار المذاهب التي يجوز تقليدها في الأربعة المشهورة، ولا بما يقال من أن: من قلد مذهبا فليس له أن ينتقل منه إلى غيره.

وفي ذلك يقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام: لم يزل الناس يسألون

من اتفق من العلماء من غير تقيد بمذهب، ولا إنكار على أحد من السائلين، إلى أن ظهرت هذه المذاهب ومتعصبوها من المقلدين، فإن أحدهم يتبع إمامه مع بعد مذهبه عن الأدلة مقلد له في ما قال، كأنه نبي مرسل، وهذا نأي عن الحق وبعد عن الصواب لا يرضى به أحد من ذوي الألباب.

ثانيا:...

ثالثا: إن هناك فرقا تنتسب إلى علي، وهم شيعته المهتدون، ومن هؤلاء الشيعة الصالحين الطائفة المعروفة ب " الجعفرية " أو ب " الإمامية الاثني عشرية ".

رابعا: لهذه الطائفة المعروفة أصولها المستمدة من كتاب الله تعالى ومن سنة رسوله المروية عن أئمتهم في العقيدة والشريعة.

وليس الخلاف بينهم وبين مذاهب السنة، أعظم من الخلاف بين مذاهب السنة بعضها مع البعض، فهم يدينون بأصول الدين، كما وردت في القرآن الكريم والسنة المتواترة، كما يؤمنون بكل ما يجب الإيمان به ويبطل الإسلام بالخروج عنه من الأحكام المعلومة من الدين بالضرورة...

خامسا:... ". انتهى.

والمنصف الذي يطالع الفتوى، يعلم بأن الشيخ شلتوت إنما قدم هذه النقاط الخمس حتى يتضح جليا مراده، وهذا ما صرح به هو بعد تلك النقاط، قائلا في نفس نص الفتوى: ومن هذا البيان يتضح جليا، فذيل الفتوى – على مقتضى الاستفتاء – بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية " الاثني عشرية " بلا فرق بين العبادات والمعاملات، مدركا بأن التعبد بالمذهب فقها إنما يتوقف على بيان صحة أصول الدين التي يعتقدون بها، وهو ما ثبته في المقدمة المذكورة آنفا، فلا مجال لدعوى الفصل بين

المذهب الشيعي ك " فقه " وبين المذهب الشيعي ك " أصول للدين " حسب رأي شيخ الأزهر.

* (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) * (١).

قضية آل البيت:

قال: " وأنا أقول إن هذه ليست قضية خاصة بالشيعة، لأن كل السنة يحبون آل البيت، وأئمة آل البيت هم من أئمة المسلمين الذين يتعاطف معهم المسلمون... لكن المصريين تعاطفوا معهم لأنهم اضطهدوا، لكن دون أن يتحول هذا التعاطف إلى الغلو الذي يجعلهم معصومين، أو الذي يجعلهم يحتكرون الإمامة والخلافة والسلطة دون الأمة ".

والكلام عن تلك المقالة يقع في نقطتين:

الأولى: في السلوك العملي المخالف:

دعنا من الذي تميز به الشعب المصري عن غيره من حب لأهل البيت (عليهم السلام)، إلا أن القول بأن كل السنة يحبون أهل البيت (عليهم السلام) فيه نظر،

لأن هذا أمر لم تترجمه السيرة العملية، ولا شهده شيعة أهل البيت (عليهم السلام) في السلوك العملي لكثير من اتباع مذاهب أهل السنة.

وهذا نجده جليا في تدوين الصحاح والمسانيد للحديث إذ إن بعضهم أعرض عن الرواية لأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، والبعض الآخر تعرض لما يوافق مذهبه لا غير، فالبخاري مثلا أعرض عن أحاديث الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، وأخرج منها لمن يكن العداء والحقد للإمام علي (عليه السلام)

---

(١) سورة البقرة ٢: ٤٢.

كعمران بن حطان الذي مدح قاتل الإمام (عليه السلام) عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله بقوله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها * إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

والحال أن الإمام الصادق (عليه السلام) عرف بسعة علمه وكثرة الذين نهلوا من يديه العلم الوفير حتى بلغوا أربعة آلاف، ومنهم بعض أئمة المذاهب، أمثال أبي حنيفة النعمان ومالك بن أنس.

فقد اشتهر عن الأول قوله: " لولا السنتان لهلك النعمان " وكان يعني السنتين اللتين تتلمذ فيهما على يدي الإمام الصادق (عليه السلام).

واشتهر عن الثاني قوله: " ما رأت عين أفضل من جعفر بن محمد ".

ويقول عنه الجاحظ: " جعفر بن محمد، الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه، ويقال: إن أبا حنيفة من تلامذته وكذلك سفيان الثوري، وحسبك بهما في هذا الباب " (١).

وذكره ابن خلكان في وفياته قائلا: " كان من سادات آل البيت، ولقب بالصادق لصدقه، وفضله أشهر من أن يذكر " (٢).

والعجب أن البخاري، وهو ممن عاصره، لم يدرك فضله وقد أدركه أئمة المذاهب...

وهكذا الحال في المسانيد والصحاح التي نقلت من الرواية والحديث عن الإمام علي (عليه السلام) ما لا يتجاوز ال ٥٠٠ حديث! بينما نقلت عن أبي هريرة ٦ آلاف حديث! والأخير لم يمض سوى سنتين وأشهر مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)!

---

(١) رسائل الجاحظ - للسندوبي -: ١٠٦.

(٢) وفيات الأعيان ١ / ٣٢٧ رقم ١٣١.

أما الإمام علي (عليه السلام) فقد ربي في حجر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يتجاوز
عمره بضع سنوات.
وسيرة الخلفاء والحكام لأكبر شاهد على الممارسات الشنيعة بحق
أهل البيت (عليه السلام) وأتباعهم، من القتل والتشريد والسب، لمجرد أن ذنبهم
الوحيد هو اتباع علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأولاده لا غير.
والدكتور نفسه قد أيقن بمظلوميتهم عبر التاريخ، ولذا فسر حب
المصريين لهم بسبب الاضطهاد...
وهذا الوضع من السلوك وإن تغير قليلا في الوقت الحاضر، إلا أنه
لا يزال يمارس في مختلف الدول، حيث إن بعضها جرد الشيعة من
حقوقهم المدنية - كما في ماليزيا - والبعض الآخر جعل يكيل التهم إليهم
فيعتقل الواحد تلو الآخر خوفا على الحكم من التشيع والفكر الشيعي الذي
لا يقبل المساومة على الحقوق المسلوبة.
الثانية: في الحب المزدوج:
قبل كل شئ لا بد من الإشارة إلى أننا نكن خالص الاحترام
والحب للشعب المصري، خصوصا لتميزه عن الشعوب الأخرى بحب أهل
البيت (عليهم السلام)...
ولكن، أليس من واجب الدكتور - ومن باب الأمانة العلمية - تعريف
الآخرين بالمضطهد حتى لا يختلط الأمر عليهم فيحب الواحد منهم
المضطهد والمضطهد معا؟!
وهل يعقل هذا النوع من الحب المزدوج؟!!
* * *

قضية الإمامة:
لما كانت الإمامة – كما قال بأنها – " تمثل نقطة الخلاف الوحيدة بين السنة والشيعة "، ارتأينا أن نوضح للدكتور بعض الحقائق التي عزف عن ذكرها، متناولين في القضية نقاطا عديدة:
النقطة الأولى: في النص:
قال: " إذن القضية أنهم جعلوا الإمامة بالتعيين، وقالوا بروايات انفردوا بها: أن الإمام والوصي بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الإمام علي.. ".
أقول: نعم، فالشيعة قائلون بالنص في مقابل غيرهم الذين اضطربوا تارة فقالوا بالنص على أبي بكر، وتذبذبوا أخرى فادعوا الإجماع عليه، وثالثة جعلوا الشورى هي الأساس في الإمامة والخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).
ومن المناسب في المقام التعرض إلى أمور، منها:
أ – تعريف الإمامة في كتب الفريقين:
يقول السعد التفتازاني في تعريفها أن: " الإمامة رئاسة عامة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) " (١).
وأما علامتنا الحلي فيقول: " الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص نيابة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) " (٢).

---

(١) شرح المقاصد في علم الكلام: ٢٣٤.
(٢) الباب الحادي عشر مع شرحه النافع يوم المحشر – للمقداد بن عبد الله الحلي –: ٨٢.

ومن الواضح أن الفريقين من حيث المبدأ اتفقوا على تعريف الإمامة من حيث المفهوم، ولكنهم اختلفوا في من له الإمامة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)
من جهة، وأنها هل هي منصب عادي أم أنها منصب رباني من جهة أخرى (١).

ب – الخلافة عند أهل السنة:

قال: " أهل السنة يعتبرون أن الإمامة بمعنى الخلافة جزء من الشورى، وأنها جزء من سلطة الأمة، وأن الإمامة ب (البيعة) و (الاختيار) و (الشورى)، بينما الشيعة يعتبرون الإمامة ب (النص) و (التعيين من السماء) لهؤلاء الأئمة، وأن الأمة لا شأن لها في اختيار الإمام، والشورى لا دخل لها في اختيار الإمام، والبيعة لا دخل لها في اختيار الإمام ".

وقال أيضا: " الميادين الحقيقية للاجتهاد يتميز بها الفكر السني كفكر عقلاني في النظر إلى الأمور وإلى الشورى وإلى سلطان الأمة، أين هو التميز بين مذهبين؟! أحدهما يقول: إن الأمة لا شأن لها بالدولة والسياسة والإمامة، ومذهب يقول: إن الأمة هي المعصومة (لا تجتمع أمتي على ضلال)، وفيه العصمة للأمة.. والشورى للأمة.. والسلطان للأمة ".

والحق أن المتتبع لما قيل عن الخلافة في كتب أهل السنة يستخلص – كما أشرنا – أن القول بصحتها لأبي بكر يرجع إلى ثلاثة آراء:

الأول: في النص عليه:

---

(١) للمزيد من الاطلاع في المسألة راجع كتاب " الإمامة في أهم الكتب الكلامية، وعقيدة الشيعة الإمامية "، السيد علي الحسيني الميلاني – منشورات الشريف الرضي، ص ٤٤.

وهذا لم يذكره الدكتور نفسه لوضوح أنهم لا يقولون بالنص، إذ لا محصل له ولا دليل عليه سوى ما ادعاه بعض أهل السنة أمثال البكرية، وهو قول شاذ لم يلتزم به أحد من أكابرهم لضعف الأدلة عليه، ولم يصل إلينا أن أبا بكر احتج على أحد بالنص عليه من قبل النبي، وإلا لما حصل في سقيفة بني ساعدة ما حصل!!

الثاني: في الإجماع عليه:

ودليلهم ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): " لا تجتمع أمتي على ضلال " أو:

" على خطأ " كما في بعض النصوص، ونحن لو سلمنا بها وبصدورها منه (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا أنها لا تنفع في مقام الاستدلال على خلافته، لأنها خارجة تخصصا، إذ كيف يدعى إجماع الأمة على صحة خلافة أبي بكر وفيها من الصحابة الكبار الذين كانوا يعارضونها، أبرزهم الإمام علي (عليه السلام) والعباس بن عبد المطلب والفضل ابن عباس وخالد بن سعيد والمقداد بن الأسود الكندي وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب، وغيرهم، خصوصا من بني هاشم.

وهذا اليعقوبي يصرح في تخلف علي (عليه السلام) وبعض الصحابة عن بيعة أبي بكر.

وذاك البلاذري في أنسابه (١) وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة (٢) ينقلان أن أبا بكر بعث عمر إلى علي (عليه السلام) حين رفض البيعة له وقال: " ائتني به بأعنف العنف " فلما أتاه جرى بينهما كلام، فقال (عليه السلام): " احلب حلبا لك شطره، والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤثرك

---

(١) أنساب الأشراف - للبلاذري - ١ / ٥٨٧.

(٢) شرح نهج البلاغة ٦ / ١١.

غدا "..
ويبقى أن نسأل أين هو هذا الإجماع للأمة؟!
الثالث: في الشورى:
في الواقع يتساءل الإنسان عن تلك الشورى التي كانت محور الخلافة عند أهل السنة، حتى جعل الدكتور يميز بين المذهبين معتبرا أن الشيعة عندما يقولون بالعصمة للأئمة بالنص عليهم يسلبون الأمة حقها..
وهذا في الحقيقة جهل من الدكتور لحقيقة التشيع، وسنوافيه بالحق عند البحث في العصمة، إلا أن القول بأن الشورى هي التي تعصم الأمة من الخطأ، وأن الخلافة هي جزء من الشورى يستلزم بطلان خلافة الأول والثاني!
وتوضيح ذلك في ما يلي:
١ - الشورى والسقيفة:
إن من سبر أغوار السيرة وتتبع مجرى الأحداث في سقيفة بني ساعدة، يتضح له أن ما جرى لم يكن في الحقيقة شورى، وإنما نزاع ومشاحنة حادة على السلطة.
وأين هي تلك الشورى التي ليست لها ضوابط محددة، حتى الإنسانية منها، ووصلت إلى حد السباب والهم بالقتل؟!
وحتى لا نكون من أصحاب الشعارات البراقة.. لا بأس بالعودة إلى الوراء قليلا وإلقاء نظرة سريعة من نافذة سقيفة بني ساعدة، حتى يعلم الخبر كما في كتب أهل السنة.
نقل الطبري في تاريخه أن الحباب بن منذر، الصحابي البدري،

عندما ارتفعت الأصوات رد على عمر قائلا: " يا معشر الأنصار! أملكوا على أيديكم، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم فاجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم الأمور...

فقال عمر: إذا يقتلك الله!

قال الحباب: بل إياك يقتل! " (١).

وهذا الطبري من نفس الجزء، وأحمد في مسنده ينقلان قول بعضهم: " اقتلوا سعدا قتله الله، إنه منافق أو صاحب فتنة " وقد قام عمر على رأسه ويقول: " لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضوك أو تندر عيونك " (٢).

وقد نقل الطبري أيضا وفي نفس المصدر، وكذا في السيرة الحلبية أن قيس بن ساعدة أخذ بلحية عمر، فقال له الأخير: " والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة! أو: لخفضت منه شعرة ما رجعت وفي فيك جارحة " (٣)..

وقد ذكر الطبري في المصدر السابق عن أحدهم قوله: " إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم ".

وهذا ابن هشام في السيرة النبوية ينقل عن عمر قوله: " كثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى تخوفت الاختلاف " (٤)...

---

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٩.

(٢) مسند أحمد ١ / ٥٦، تاريخ الطبري ٣ / ٢١٠.

(٣) السيرة الحلبية ٣ / ٣٨٧.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٦٦٠.

وهل مثل هذا الاجتماع العنيف يسمى شورى؟!!
وهل إن مثل هذه البيعة هي التي ترتضيها الأمة؟!
الجواب هو ما تلفظ به عمر نفسه عندما قال:
" كانت بيعة أبي بكر فلتة كفلتة الجاهلية وقى الله المسلمين شرها ".
وبلفظ آخر: " كانت بيعة أبي بكر فلتة فتمت، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها، من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين، فإنه لا بيعة له " (١).
٢ – الشورى وخلافة الثاني:
لو صح ما قاله الدكتور بأن الشورى هي المقوم للخلافة، فأين هي وأين هو سلطان الأمة في خلافة الثاني؟!
لأنك لو ألقيت نظرة سريعة في صفحات التاريخ لعلمت أنها – أي خلافة عمر – لم تكن سوى استخلافا، يقول ابن قتيبة: " دعا أبو بكر عثمان فقال: أكتب عهدي. فكتب عثمان وأملى عليه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده بالدنيا نازحا عنها، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها، إني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب... " (٢)
وزاد ابن الأثير في الكامل في التاريخ أن أبا بكر غشي عليه فأكمل عثمان وكتب فيه استخلاف عمر فأفاق أبو بكر وقال: " إقرأ علي. فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في

---

(١) راجع السيرة النبوية ٢ / ٦٥٨، تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٦.
(٢) الإمامة والسياسة ١ / ١٨.

غشيتي " (١).
ومن الثابت أيضا قول عمر كما نقل الطبري، وفي تاريخ الخلفاء:
" لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيا استخلفته، ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا استخلفته " (٢).
٣ - الشورى في الميزان:
ولنا الحق أن نقول: ترى هل أدرك أبو بكر أن الاستخلاف هو أفضل السبل لإبعاد الأمة عن الفتنة، وأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يدرك هذا السبيل؟!
نقول أيضا: أترى أن عمر أدرك بنفسه أهمية أن يعين هو أسماء الذين سيشكلون الشورى من بعده، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد خفي عليه هذا الأمر؟!
وكيف يعقل أن يبين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) صغائر الأمور وأحكامها حتى التخلي وينسى أن يبين للناس أحكام تلك الشورى المزعومة ووظائفها، التي إليها يرجع مصير الأمة، فلا يعين أفرادها ولا يبين أحكامها؟!
كلها أسئلة ليس لها من جواب!
غير أن الشورى لم تكن مفهوما مرتكزا بين الصحابة حتى عند أبي بكر وعمر، ولا كانت أساسا تبني عليه الأمة صلاحها.
والذي يثبت - حقا - أن الشورى ليست هي الجزء المقوم للخلافة، وما ادعي من دلالة بعض الآيات عليها ليس واضحا، وهو خارج عن محل

---
(١) الكامل في التاريخ ٢ / ٢٩٢.
(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٣٤، تاريخ الخلفاء: ١٢٧.

البحث بالإضافة إلى أنها منقدحة بترك الخلفاء لها، ومجملة لم يبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحكامها لو صح الاستدلال بها... فيبقى أن نعود إلى
النص لنرى مدى صحة ما اعتقد به الشيعة في النص على علي (عليه السلام).
ج - أدلة الشيعة على إمامة علي (عليه السلام):
قال: " قالوا بروايات انفردوا بها... ".
لا أدري كيف توصل الدكتور إلى هذه النتيجة؟! مع العلم بأن كتب الشيعة تزخر بالإثباتات والأدلة التي ذكرت في كتب الفريقين، وقد حققت في محلها، إلا أننا تفنيدا لما ادعي نبحث في بعضها اختصارا، معتمدين على شواهد من القرآن والسنة يؤيدها حكم العقل، مع ذكر أهم المصادر لأهل السنة.
١ - فاتحة الكلام:
وهي في مقدمة عقلية مفادها أن الإمامة " كالنبوة، لطف من الله تعالى، فلا بد أن يكون في كل عصر إمام هاد يخلف النبي في وظائفه، من هداية البشر، وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين، وله ما للنبي من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم.
وعلى هذا، فالإمامة استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضا نصب الإمام بعد الرسول، فلذلك نقول: إن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله تعالى على لسان النبي

أو على لسان الإمام الذي قبله " (١).
إذن فالقضية هي أن الإمامة مقتضى لطف الله عز وجل بعباده، وكماله المطلق، حتى يعرف الناس طريق سعادتهم وصلاحهم.
٢ – من أدلة الشيعة في القرآن:
نكتفي منها بآية الولاية، وهي قوله تعالى: * (إنما وليكم الله ورسوله والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) * (٢) وهي آية مباركة نزلت في حق علي (عليه السلام) وروايات الخاصة والعامة متضافرة على نزولها في حقه (عليه السلام) وقد نقل العلامة الأميني في الغدير (٣) ٦٦ مصدرا من مصادر أهل السنة، نذكر منها:
ذخائر العقبى – لمحب الدين الطبري –: ١٠٢، وتفسير ابن كثير ٢ / ١٤، والنسائي في صحيحه، وابن جرير الطبري في تفسيره ٦ / ٢٨٩، والحافظ الطبراني في معجمه الأوسط، والزمخشري في الكشاف ١ / ٣٤٧، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٣ / ٢٧٥، والقاضي البيضاوي في تفسيره ١ / ٣٤٥، والسيوطي في الدر المنثور ٢ / ٢٩٣...
ولفظ الحديث، أنه روي: " عن أنس بن مالك أن سائلا أتى المسجد وهو يقول: من يقرض الملي الوفي، وعلي (عليه السلام) راكع يقول بيده خلفه للسائل، أي: اخلع الخاتم من يدي.

---

(١) عقائد الإمامية – للشيخ محمد رضا المظفر، منشورات إشكوري، ط ١٤١٣ ه –: ٩٢.
(٢) سورة المائدة ٥: ٥٥.
(٣) الغدير ٣ / ١٩٩ – ٢٠٥، وهو للعلامة عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط ١٩٩٤ م.

قال رسول الله: يا عمر! وجبت.
قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما وجبت؟!
قال: وجبت له الجنة، وما خلعه من يده حتى خلعه الله من كل ذنب ومن كل خطيئة.
قال: فما خرج أحد من المسجد حتى نزل جبرئيل بقوله عز وجل:
* (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) * فأنشأ حسان بن ثابت يقول:
أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي * وكل بطئ في الهدى ومسارع
أيذهب مدحي والمحبين ضائعا؟! * وما المدح في ذات الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ أنت راكع * فدتك نفوس القوم يا خير راكع
بخاتمك الميمون يا خير سيد * ويا خير شار ثم يا خير بائع
فأنزل الله فيك خير ولاية * وبينها في محكمات الشرائع "
ولفظ " الولي " في الآية دال على الإمامة لمن أنصف وترك التعصب، وتفسيرها بالمحب والناصر خلط للمتعلق بالمفهوم، على أنه أول ما يتبادر للذهن معنى " الولي " بمعنى المتصرف، ولذا لا يشك أحد في أن قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في مسند أحمد: " أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل " على أن المراد منه التصرف لا الحب والنصرة..
والحاصل أن الروايات التي فسرت الآية لم ننفرد بها، وهو القدر المتيقن في المقام، فلا يصح ما قاله الدكتور من أننا انفردنا بالروايات الدالة على إمامة علي (عليه السلام)، وسنشير إلى آيات أخرى من هذا القبيل عند البحث في العصمة.

٣ - من السنة النبوية:
وهي كثيرة جدا، وإنما نكتفي بما يناسب البحث:
* حديث الدار في يوم الإنذار:
وهو من الأحاديث التي لا شك في صحتها، وقد ذكرته كتب الفريقين في الصحاح وغيرها...
منها: ما أخرجه أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان عن البراء بن عازب قال: " لما نزلت هذه الآية: * (وأنذر عشيرتك الأقربين) * جمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلا... ثم
أنذرهم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب! إني أنا النذير إليكم من الله عز وجل والبشير، فأسلموا، وأطيعوني تهتدوا.
ثم قال: من يؤاخيني ويؤازرني، ويكون وليي ووصيي بعدي،
وخليفتي في أهلي، يقضي ديني؟!
فسكت القوم، فأعادها ثلاثا، كل ذلك يسكت القوم ويقول علي: أنا.
فقال في المرة الثالثة: أنت.
فقام وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك، فقد أمر عليك!
هذا، وقد أخرج الحديث بطرق متعددة، وفي صور مختلفة، منها ما ذكره أحمد بن حنبل في مسنده ١ / ١١١، وتاريخ الطبري ٢ / ٦٢، والكامل في التاريخ ٢ / ٤٠، والنسائي في الخصائص: ١٨، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٣ / ٢٠٠، والسيوطي في جمع الجوامع ٦ / ٤٠٨، والحلبي

في سيرته ١ / ٣٠٤.
وفي الحديث دلالة واضحة على الوصاية والخلافة من بعده وإن عز على بعضهم الإقرار بها! كما فعل الطبري في تفسيره ١٩ / ٧٤ عند قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): " أيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ " مستبدلا " الكلمتين الأخيرتين ب " كذا وكذا "!!.
وهكذا فعل ابن كثير في تفسيره أيضا ٣ / ٣٥١!!
ولا أعتقد أن لهذا مبررا سوى إنه تحريف للكلم عن مواضعه.

* حديث المنزلة:

وهو حديث متواتر متفق على صدوره من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد رواه جمع المحدثين بما فيهم أصحاب الصحاح، كالبخاري في صحيحه ٥ / ٢٤، ومسلم في صحيحه ٦ / ١٢٠ - ١٢١، والترمذي في جامع الصحيحين ١٣ / ١٧٥، والنسائي في الخصائص: ١٤، وابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٣٤٠، وابن الأثير في أسد الغابة ٤ / ٢٦، وأحمد بن حنبل في المسند ٢ / ٧٤.

ونص الحديث - كما في البخاري - أنه لما أراد الرسول الخروج إلى غزوة تبوك خرج الناس معه، فقال علي: " أخرج معك؟ ".
فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): " لا ".
فبكى علي، فقال له رسول الله: " أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي ".

* حديث الغدير:
كأن الدكتور قد غاب عن ذهنه أن عمدة الأدلة عند الشيعة الدالة على النص هو حديث الغدير، الذي نص على ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد تحقق عند الجميع بأنه قد روي، وثبت عند الفريقين.
وقد ورى ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢ / ٤٥، قال: " أخبرنا... عن حذيفة بن أسيد، قال: لما قفل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن حجة الوداع نهى
الصحابة عن شجرات البطحاء متقاربات أن ينزلوا حولهن، ثم بعث (١) إليهن فصلى تحتهن.
ثم قام فقال: أيها الناس! قد نبأني اللطيف الخبير، أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي يليه من قبله، وإني لأظن أنه يوشك أن أدعى فأجيب...
ثم قال: أيها الناس! إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين، وإني أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.
ثم قال: أيها الناس! إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض...
وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما!
الثقل الأكبر: كتاب الله سبب طرفه بيد الله عز وجل، وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا، والثقل الأصغر: عترتي أهل بيتي، فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ".

---

(١) وفي روايات أخرى: " غدا " أو " عمد " إليهن.

وقد ذكر الشيخ أبو طالب تجليل التبريزي في كتابه شبهات حول الشيعة (١) عددا من الأسانيد المنتهية إلى صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من كتب
أهل السنة وصلت إلى ٢٤٥ طريقا ذكرت في:
مسند أحمد بن حنبل ١ / ٨٤ و ٨٨ و ١١٨ و ١٥٢ و ٣٣١، و ج ٤ / ٢٨١ و ٣٧٠ و ٣٧٢، و ج ٥ / ٣٥٨ و ٣٦٦ و ٣٧٠، الخصائص - للنسائي -: ٤ و ٢١ و ٢٤ و ٢٦ و ٤٠، صحيح الترمذي ١٣ / ١٦٥، المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٠٩ و ١١٦، تفسير ابن كثير ٢ / ١٤، سنن ابن ماجة ١ / ٥٥ - ٥٨، تاريخ دمشق: ذكر في ما يقارب ٢٩ موضعا في الجزء الثاني منه، منها في ص ١٨ و ١٩ و ٢٨ و ٣٠ و ٥٣، تاريخ بغداد ٢ / ١٣ و ١٢ / ٣٤٣ و ١٤ / ٢٣٦،
مجمع الزوائد، كفاية الطالب، الإصابة، الكنى والأسماء، مناقب ابن المغازلي، أسد الغابة، المعجم الكبير، البداية والنهاية، ميزان الاعتدال، فرائد السمطين، الكنى للبخاري، الجرح والتعديل، وغيرها من المصادر التي يطول البحث فيها ولا تدع مجالا للشك في صدر الحديث.
كما يمكن الرجوع إلى الجزء الأول من كتاب الغدير للعلامة الأميني، لتعرف أن النص لم ينفرد به الشيعة، بل رواه ١٢ صحابيا، و ٨٤ تابعيا، و ٣٦٠ من أئمة الحديث وحفاظه.
نعم، يبقى النقاش في الدلالة، وهي واضحة لمن جرد ذاته عن العصبية، إذ لا معنى لأن يجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس قبل ارتحاله إلى
العلي القدير بشهرين وعدة أيام ليحث الناس على نصرة علي دون استخلافه، إذ إن نصرته تحصيل حاصل يعرفها جميع المسلمين آنذاك،

---

(١) شبهات حول الشيعة، الشيخ أبو طالب تجليل التبريزي - دار القرآن الكريم، إيران - قم، ط ١٤١٧ ه.

فلا بد أن يكون المعنى هو تنصيب علي (عليه السلام) خليفة لا غير، وإلا فما معنى أن يعقد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مجالس تهنئة وتبريك، ويأمر أصحابه بالتهنئة
لعلي (عليه السلام) ومنهم عمر بن الخطاب الذي هنأ عليا بقوله: " بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة " وقد نقل العلامة الأميني في كتابه المذكور لحديث التهنئة، ستين مصدرا من مصادر أهل السنة (١).

* حديث الثقلين:

وهو حديث مشهور متفق عليه بين المسلمين، وقد رواه من العامة الترمذي في جامع الصحيح ٥ / ٦٢١، الطبراني في المعجم الكبير: ١٢٧ و ١٥٧، الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٠٩، الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ / ١٦٣، المتقي في كنز العمال ١ / ٣٤٠، ابن الأثير في جامع الأصول ١٠ / ٤٧٠، ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٥ / ٦٦٢، السيوطي في الدر المنثور ٢ / ٦٠، مسلم في الصحيح ٤ / ١٨٧٣، ابن كثير في البداية والنهاية ٧ / ٣٤٨، وغيرهم...

ولفظ الحديث - كما في كنز العمال - عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " إني
تركت ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ".

والمفهوم من الحديث أن ضلال الأمة وهديها مرهون باتباع تلك العترة الطاهرة والتمسك بها، لأنهم - أي أهل البيت - يدورون مدار القرآن

---

(١) الغدير ١ / ٢٧٢ - ٢٨٣.

العزيز، وهذا دليل على أنهم العالمون بتأويله وتفسيره، وأنهم السبيل الوحيد للنجاة، فكيف لا يكون هذا نصا على ولايتهم، وأنهم الأوصياء على الناس من بعده وإليهم يرجع في مختلف شؤون الحياة؟!

النقطة الثانية: في العصمة:

تميزت الإمامية الاثنا عشرية بالقول بوجوب عصمة الإمام دون الفرق الأخرى... ولتوضيح هذه المسألة لا بد من تناول نقاط عديدة:

أ – في معنى العصمة وحدها:

يقول الشيخ المفيد في كتابه النكت الاعتقادية: " العصمة لطف يفعله الله تعالى بالمكلف بحيث يمتنع منه وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليها " (١).

وبمعنى آخر فإن العصمة هي أعلى درجات التقوى والابتعاد عن الشهوات... فأين هو الغلو بهذا المعنى؟!

ب – في أدلة الشيعة على العصمة:

قال: " وهم بدلا أن يقيسوا منصب الإمامة كما صنع أهل السنة على الولاية، قاسوا منصب الإمامة على النبوة والرسالة، فجعلوا الأئمة معصومين كما أن الرسل معصومون، وجعلوهم المرجع للشريعة دون الأمة، وجعلوهم هم الحجة دون الأمة ".

نعم، نحن نقيس الإمامة بالنبوة والرسالة بخلاف أهل السنة الذين قاسوا هذا المنصب على الولاية والولاة كما ذكر الدكتور، ولكن نقول له:

---

(١) سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان (٣٣٦ – ٤١٣ ه) – دار المفيد، بيروت ١٩٩٣: ٣٧ – تحقيق السيد محمد رضا الحسيني الجلالي.

إن هذا أمر منصوص عليه من الشارع، وبرهانه القرآن الكريم، وتحديدا في آيات هي دالة نقلا وعقلا على إمامة الأئمة من جهة، وعصمتهم من جهة أخرى، منها:

١ - آية الطاعة:

وهي قوله تعالى: * (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...) * (١).

وأما نقلا، فقد روى الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١ / ١٤٩ أنها نزلت في علي بن أبي طالب، وكذا رواها كل من أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط ٣ / ٢٧٨، ومحمد صالح الترمذي في المناقب المرتضوية: ٥٦، والقندوزي في ينابيع المودة: ١١٦، والآمر تسري في أرجح المطالب: ٨٥..

هذا من حيث المناسبة على أن " أولي الأمر " مقصود بها علي، فتكون طاعته واجبة كما هي طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وأما عقلا، فالآية تثبت العصمة لعلي (عليه السلام) خصوصا، ولأولي الأمر عموما، إذ إن الله قرن طاعة الرسول بالطاعة لأولي الأمر، فلو قلنا بجواز أن يأمر الله بالطاعة لغير المعصوم، فإن لازمه جواز الأمر بالطاعة لمن يمكن في حقه فعل المعصية، ويستحيل أن يأمر الله تعالى ويرخص في اتباع من يجوز في حقه العصيان، لأنه قبيح بحكم العقل، كما هو الحال في حق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الاتفاق على عصمته، حذرا من انقداح الوثاقة في

---

(١) سورة النساء ٤: ٥٩.

نقله (صلى الله عليه وآله وسلم) للأحكام الإلهية " فلو جاز الخطأ عليه لم يبق وثوق بما تعبدنا
الله تعالى به وما كلفناه، وذلك يناقض الغرض من التكليف وهو الانقياد إلى مراد الله تعالى " (١).
من هنا لا بد أن تكون الطاعة المشار إليها في الآية مختصة بمن هو معصوم، إذ لولا عصمة أولي الأمر لما أمرنا الله تعالى بطاعتهم، وللعلة ذاتها ولنفس الملاك الذي في الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من ضرورة العصمة عقلا.
وهذا الإمام الرازي في تفسير الآية (٢) يذعن لتلك الحقيقة، ويصرح بدلالتها على العصمة.

٢ - آية التطهير:

وهي قوله تعالى: * (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) * (٣).
وقد وصلت الروايات التي دلت على نزولها في حق أصحاب الكساء: رسول الله، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين صلوات الله وسلامه عليهم، إلى حد التواتر، ومن علماء أهل السنة الذين رووا نزولها في حقهم (عليهم السلام) الطبري في جامع البيان ٢٢ / ٦، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣ / ٤٥٨، والبلاذري في أنساب الأشراف ٢ / ١٠٤، والسيوطي في الدر المنثور ٥ / ١٩٨، والحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ٢ / ٤١٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١ / ٢٥٠، وغيرهم... حتى وصلت

---

(١) كشف المراد - للعلامة الحلي -: ٣٩١.
(٢) التفسير الكبير - للفخر الرازي - ١ / ١٤٤.
(٣) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣

ما يقارب أربعين طريقا.
وأما الدلالة فواضحة: إذ إن المراد من الرجس في الآية: القذارة، التي هي أعم من المادية والمعنوية.
يقول ابن منظور في لسان العرب إن " الرجس: القذر، وكل قذر رجس، وفي الحديث: أعوذ بك من الرجس النجس. وقد يعبر به عن الحرام والفعل القبيح والعذاب واللعن والكفر " (١).
وقال الزجاج: " الرجس في اللغة كل ما استقذر من عمل " (٢).
وقال ابن الكلبي: " رجس من عمل الشيطان أي مأثم ".
والملاحظ أن القرآن قد استعملها عشر مرات في الأمور المادية والمعنوية، فوصف بالرجس الذين لا يعقلون، في قلوبهم مرض، لا يفقهون، لا يتوبون، لا يذكرون، كفروا، كذبوا، نافقوا.. إلى آخره، ولا شك أن المنفي مطلق الرجس، وأن الآية دالة على عصمة أهل البيت بنفي مطلق الرجس عنهم واختصاصهم بها.
ولفظ الحديث عن واثلة بن الأصقع، قال: " جئت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
وهو في منزل أم سلمة، قد جاء الحسن فأجلسه على فخذه اليمنى وقبله، وجاء الحسين (عليه السلام) فأجلسه على فخذه اليسرى فقبله، ثم جاءت فاطمة فأجلسها بين يديه، ثم دعا بعلي (عليه السلام) فجاء، فأردف عليهم خيبريا، كأني أنظر إليه، ثم قال: * (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) * ".

---

(١) لسان العرب ٦ / ٩٤، مادة " رجس ".
(٢) معاني القرآن وإعرابه ٢ / ٢٠٣.

٣ - آية الإمامة:
وهي قوله تعالى: * (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) * (١).
ومن الواضح أن إبراهيم (عليه السلام) عندما سأل الإمامة لذريته أجابه عز وجل بأن هذا المقام لا يناله ظالم، ولا شك أن من أذنب ذنبا في حياته ظالم في حق نفسه، وظالم لها وإن عاد عن ظلمه وارتفع العقاب عنه، والآية مطلقة تشير إلى كل من ظلم نفسه سابقا وحالا فكيف لو كان الظلم هو الشرك فإنه ظلم عظيم بنص القرآن الكريم؟!
والنتيجة: إن الإمامة لا تصلح إلا لمن خلت نفسه عن الذنب، وبمعنى آخر فإن شرط الإمامة العصمة، ومن دونها لا تصح.
النقطة الثالثة: في مسائل متفرقة بين الإمامة والعصمة:
لقد تعرض لمسائل متعددة في قضية الإمامة لا بأس أن نشير إلى بعضها ونترك الأخرى إلى محلها، وهي كما يلي:
أ - احتكار أو اصطفاء للإمامة؟!
قال: " لكن المصريين تعاطفوا معهم... دون أن يتحول هذا التعاطف إلى الغلو الذي يجعلهم معصومين، أو الذي يجعلهم يحتكرون الإمامة والخلافة والسلطة دون الأمة ".

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٢٤.

إن العصمة وانتخاب أفراد معينين من ذرية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للإمامة لا ينافي مصلحة الأمة، وليس هذا احتكارا، وإلا لكان اختيار الله عز وجل لآدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين كذلك، وقد قال الله تعالى: * (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) * (١).

وقال عز وجل: * (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم) * (٢).

وقال عز وجل: * (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب...) * (٣).

لذا، نحن نسأل الدكتور هل إن القول بجعل النبوة والكتاب في خصوص ذرية إبراهيم ونوح احتكارا لهما؟!

ولا أعتقد أن أحدا من المسلمين يتجرأ بنسبة ذلك إلى الله تعالى، والسبب جلي.

ب - بين النبوة والإمامة:

إن قلت: إن العصمة والإمامة لا يتعدى بهما إلى من هم دون مستوى النبوة.

نقول لك: إن علماء المسلمين ومحدثيهم اتفقوا على النصوص التي استدل بها الشيعة على إمامة الأئمة، والتي لها دلالة قاطعة على أن الإمامة

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٣٣.
(٢) سورة يونس ١٢: ٦.
(٣) سورة الحديد ٥٧: ٢٦.

هي امتداد للولاية التي كانت قبلهم، وليس الالتزام بهذا موجبا لمناقضة
عقلية إذا أنيطت العصمة لهم على فرض طاعتهم وولايتهم كما فرضت
طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وولايته على الناس.
فلا مانع عندئذ أن يخص الله بعض ذرية محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعلم
الكتاب
والعصمة لطفا منه كما جعلها في ذرية إبراهيم دون النبوة، للاتفاق
والإجماع على أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو خاتم الأنبياء.
ومن هنا يعلم معنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): " إني تارك فيكم الثقلين، كتاب
الله، وعترتي أهل بيتي " إذ إن الأصل يقتضي – بعد انتفاء النبوة بالتسالم
والتصريح – بقاء علم الكتاب في ذرية إبراهيم، وبالتالي في ذرية
محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ لا تصريح على خلافه، بل إن الحديث المتقدم
بالإضافة
إلى بعض الروايات التي تشير لهذا المعنى، والآيات الأخرى من قبيل
* (إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي
الظالمين) * – وقد مر البحث في دلالتها – يؤكد ما ندعيه.
* دفع توهم:
إن قيل: إن إبراهيم قد سألها لذريته ولم يجبه الله تعالى.
نقول: إن هذا صحيح بمعنى عدم شمولية الإمامية لجميع ذرية
إبراهيم (عليه السلام) بل إنها مختصة ببعضهم دون بعضهم الآخر، ويشهد بذلك بقاء
النبوة في ذريته: إسماعيل، إسحاق، يعقوب (عليهم السلام)...
ج – بين الإمامة والأصول:
قال: " إذن هم – شاءوا أم لم يشاءوا – صرحوا أو لم يصرحوا،
فمن الناحية العلمية وطالما أنهم وضعوا الإمامة أصلا من أصول العقائد
فلا بد أن يكفروا خصومهم، وأنا رأيي أن هذا هو سر الانقسام الذي

نجده في الكتب العلمية التي تكون علماء الدين ".
١ - نحن نسأل الدكتور عن " شاءوا أم لم يشاءوا، صرحوا أو لم يصرحوا " هل هي عبارة توحي بالحوار الفكري أم إنها تعبر عن تعصب ما في الآراء؟!
٢ - يقول السيد محسن الخرازي في كتابه بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية: " ثم إن الإمامة إذا كانت أصلا من أصول الدين يلزم من فقدها اختلال الدين، ولكن مقتضى الأدلة التعبدية هو كفاية الشهادتين في إجراء الأحكام الإسلامية في المجتمع الإسلامي في ظاهر الحال، فلا منافاة بينهما، فلا تغفل.
ولما ذكر يظهر وجه تسمية (الإمامة والعدل) بأصول المذهب، فإن معناه - بعد ما عرفت من كفاية الشهادتين تعبدا في ترتب أحكام الإسلام - أن إنكارها يوجب الخروج عن مذهب الإمامية، لا عن إجراء الأحكام الإسلامية " (١).
ومن هنا يعلم أيضا أن إفراد " العدل " من الصفات - مع أنه يرجع إلى التوحيد الصفاتي - هو لأجل أن يكون مائزا بين الأشاعرة الذين أنكروا التحسين والتقبيح العقليين، وبين الإمامية والمعتزلة الذين أثبتوهما، ولذا يقول السيد محمد كاظم الطباطبائي في رسالته الفقهية " العروة الوثقى ": " المراد بالكافر من كان منكرا للألوهية أو التوحيد أو الرسالة [النبوة]، أو ضروريا من ضروريات الدين مع الالتفات إلى كونه ضروريا " (٢) ولم يذكر

---

(١) بداية المعارف الإلهية في شرح عقائد الإمامية ٢ / ١٨.
(٢) العروة الوثقى - آية الله العظمى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١٤١٧ ه - ١ / ١٤٣ - ١٤٤.

الإمامة.
نعم، زاد بعض الفقهاء " المعاد " لا غير، والعجيب في المسألة أن الدكتور لم يقل بضرورة تكفير المعتزلة للأشاعرة لأنهم وضعوا " العدل " في أصول الدين والاعتقاد!!
د – حلول فاشلة:
قال في حل مشكلة إقحام الإمامة في الأصول الاعتقادية: " إذا شئنا حلا لهذه المشكلة فعلى الاثني عشرية أن يصنعوا ما صنع الزيدية... الزيدية شيعة لكنهم لم يجعلوا الإمامة أصلا من أصول الاعتقاد ".
وكان قد قال: " الزيديين لا يكادون يختلفون عن الفكر السني، وهم في الأصول قريبون من المعتزلة ".
أيها الدكتور! القول بأن الإمامة أصل من أصول الاعتقاد ليس اعتباطا منا، وإنما تشهد بذلك النصوص وتؤيده الآيات الداعمة وحكم العقل بضرورة نصب الإمام.
لذا، عليك – أولا – أن تبرهن بالأدلة أن الإمامة ليست أمرا سماويا، ومن ثم تطلب منا نزع هذا الاعتقاد لو تمت، وإلا فهو اجتهاد مقابل النص الصريح عندنا، ولا نقبل به، ومثاله فيما لو توقف إسلام عدد من الناس على حلية الخمر، والخمر منهي عنه، فلا يمكن الحكم بحليته، لأنه تصرف مخالف للأمر المولوي وإن كان عاملا مساعدا في نشر الإسلام، ومع ذلك فقد حللنا مشكلتك في ما سبق، فلا داعي لمثل تلك الحلول.
ه – مغلطة دكتور:
قال: " إن أصول الإسلام ليست خمسة [عند الشيعة]، إنما هي ستة، والسادس هو الولاية، وجعلوا هذا الأصل (الإمامة) أهم أصل من

أصول... ".
لا أدري من أين حصل الدكتور على هذه المعلومات! ولكن أصول العقائد عند الشيعة خمسة ولا سادس لها.
خلاصة الكلام حول الإمامة:
والحق أن الإمامة لا شك في أنها من الأمور التي يتوقف عليها إكمال الإيمان، وكما بينا فإن لنا عليها الأدلة العقلية والنقلية. في الحديث: " من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية " (١) دلالة واضحة وغنى وكفاية على مدعانا، مضافا إلى أن بعض علماء أهل السنة كالقاضي البيضاوي يقول بأن الإمامة من الأصول، وبعضهم الآخر كالتفتازاني لا يجزم بكونها من الفروع وإنما يقول: " هي بالفروع أليق " (٢)، فلا يصح ما قاله بأن " أهل السنة جميعا متفقون على أن الإمامة والسياسة ليستا من أمهات العقائد، وليستا من أصول العقائد ".
قضايا أخرى
لا بأس أولا، وقبل الخوض في تلك القضايا الأخرى التي بحثها الدكتور، أن نتعرض لمسألة تناولها الدكتور بشئ من المغالطة عندما قال: " تكتب إحدى المجلات، مجلة (تراثنا) التي تصدر في قم ب (إيران) سلسلة مقالات عن أعداء السنة النبوية، فيكون أول مقال عن العدو الأكبر أبي بكر، والمقال الثاني عن العدو الثاني عمر... "
وفيه:

---

(١) حديث مستفيض روته كتب الفريقين تمر عليك بعض مصادره.
(٢) شرح المقاصد: ٢٣٢.

أولا: إنه ليس في المجلة مثل هذا الكلام، ولا أن فيها مقالا عن " العدو الأكبر أبي بكر " ولا عن " العدو الثاني عمر " وإنما هي افتراءات لا أساس لها، وعناوين اختراعية لم ترد مطلقا في المجلة وليراجع عددها الأول [٢٢] السنة السادسة / ١٤١١ ه.

ثانيا: غاية ما هناك أن الباحث ذكر فيها بالأدلة والشواهد المتقنة من المصادر السنية أنهما كانا يمنعان من نشر السنة النبوية بواسطة الصحابة وكذا من تدوينها، حتى أن الأول قد أحرق قسما مكتوبا منها، واشترك مع الثاني بمنع الصحابة الرواة للسنة من الخروج من المدينة المنورة والالتقاء بسائر المسلمين..

هذا هو الذي قاله الباحث، فإن كان ما صدر منهما عداء للسنة النبوية فما ذنبه؟! وما ذنب أصحاب المجلة؟!

كما أنه لا بأس الإشارة هنا إلى أن منهج المجلة في دراساتها بعيد كل البعد عن النعرات الطائفية والبلبلة المذهبية، وهدفها حفظ التراث الإسلامي، والعمل على توحيد كلمة المسلمين تحت راية واحدة، ومن جال بنظره على أعدادها الصادرة حتى الآن وراقبها عن كثب، يدرك تلك الحقيقة الجلية، وأن أبحاثها إنما تتميز بالدقة في التحليل والموضوعية في العرض للأفكار والمعلومات المستندة إلى مصادر يمكن الرجوع إليها لكل من أراد الوقوف عليها.

بعدها نعود إلى صدر البحث شاكرين أولا اعتبار الشيعة كجزء من الأمة الإسلامية وهذا منه تكرم وتفضل عليهم!

ثانيا: مستغربين قضية التكفير تلك التي طرحها مشعرا بأن الشيعة إنما يقولون بتكفير الصحابة، ولذا فإننا سنفرد لذلك بحثا خاصا في هذه القضية.

قضية الصحابة:
قال خلال حواره في قضية الإمامة: " وتعصب الشيعة لأئمتهم جعلهم يشقون صف الأمة، ويبدأون رفض الصحابة باستثناء ثلاثة أو أربعة من الذين أيدوا الإمام علي: المقداد وسلمان وأبو ذر ".
أولا: مصادرة واضحة:
أ – على أي أساس يقال: إن تعلق الشيعة بأئمتهم يشق صف الأمة؟!
ألا يمكن أن يقال: إن تعصب أهل السنة للصحابة يشق صف الأمة أيضا!
إن في كلام الدكتور مصادرة واضحة، لا بل إن مثل هذه الاتهامات هي التي تشق وحدة المسلمين وتبعدهم عن العقلانية والمنطق في التحاور.
لذا، كان الأجدر به أن يحاور وفق أسس بناءة، لأن ما يراه الشيعة في الأئمة ليس تعصبا بقدر ما هو التزام بالشريعة واحتكام للمنطق والعقل.
لا بل إن الشيعة حافظوا على عرى الوحدة ومنعوا من انفصامها، وليس عليه إلا أن يراجع التاريخ ليعرف كيف أن مؤيدي أمير المؤمنين (عليه السلام) من الصحابة وغيرهم إنما منعوا من المواجهة حقنا لدماء المسلمين وحفظا للإسلام.
ثانيا: بين العدالة والتكفير:
نعود إلى مشكلة لا زال الدكتور يبحث فيها ما يشاء من أفكاره، التي لا نرى سوى إنها تدخل في إطار زج الإسلام والمسلمين في فتنة لا يعلم عقباها إلا الله تعالى!
ونقول له: أيها الدكتور! إن الشيعة عندما ترفض القول بعدالة بعض

الصحابة لا جميعهم، إنما لأجل فسقهم ولخلل في الإيمان، والشواهد القرآنية والتاريخية دالة على ما نقول، منها:

١ - إجماع المفسرين على أن آية * (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) * (١) نزلت في الوليد بن عقبة، وهو من صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، هذا خلال حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) (٢).

٢ - وأما بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد روى أصحاب التواريخ أن الوليد بن عقبة شرب الخمر أيام ولايته وصلى الفجر أربع ركعات! (٣)

٣ - طليحة بن خويلد ارتد عن الإسلام وادعى النبوة، وكذلك مسيلمة والعنسي، وهما أشهر من أن يعرفا.

إلى عديد من الشواهد الأخرى من الآيات والأحاديث الدالة على مدعانا، وهي أن الخروج عن العدالة حقيقة لا ريب فيها، فأما القول " باستثناء ثلاثة أو أربعة " فهو مستند إلى ما جاءت به الروايات والآثار المذكورة بتراجمهم من كتب معرفة الصحابة وغيرها، من كونهم من أهل الجنة وأنها تشتاق إليهم، ومن حب النبي وأهل بيته لهم، ولا شك في أن لهؤلاء مواقف مشكورة في سبيل حفظ الدين وجهود رسول رب العالمين (٤).

---

(١) سورة الحجرات ٤٩: ٦.

(٢) راجع تفسير ابن كثير ٣ / ٤٠٢، تفسير الطبري ٢ / ٦٢.

(٣) راجع الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ٢ / ٥٢، أسد الغابة ٥ / ٩١.

(٤) وللشيخ جعفر السبحاني في كتابه: الملل والنحل - مؤسسة النشر الإسلامي - ١ / ٢٠١، بحث مهم في عدالة الصحابة، وكذا للسيد علي الحسيني الميلاني في كتابه: الإمامة في أهم الكتب الإمامية - نشر الشريف الرضي، قم -.
وانظر فصل: " مشهوران لا أصل لهما " للسيد علي الحسيني الميلاني في مقالة " التحقيق في نفي التحريف "، المنشور في تراثنا، العدد ١٤ لسنة ١٤٠٩ ه.

ثالثا: شاهد على الصحابة:
ما نقله الدكتور في حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع عمر بقوله: " المنافقون
في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ارتدوا على الإسلام وكانوا كفرة، والنفاق أشد
من الكفر، ومع ذلك كانوا جزءا من الأمة، ولما كانت تظهر على أحدهم أمارات وعلامات النفاق ويأتي عمر بن الخطاب ويقول: يا رسول الله! دعني أضرب عنق هذا المنافق، يقول له: كلا! حتى لا يقال إن محمدا يقتل أصحابه ".
وفيه:
١ - إن الحديث من حيث الدلالة يعني أن الصحابة ليسوا جميعا عدولا، وبالتالي ما المانع من رفض بعضهم حتى يؤاخذه علينا؟!
٢ - إن كان المراد منه عدم التعرض للصحابة وإن كانوا منافقين حفاظا على الوحدة، فيكون الخليفة الثاني نفسه قد فرط في الحفاظ عليها، لأنهم ذكروا أنه أقام الحد على قدامة بن مظعون، وهو صحابي بدري، يعد من السابقين الأولين، ومن المهاجرين الهجرتين، لشربه الخمر (١)! وبالتالي يكون قد خالف حكم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا لا يقول به أهل السنة.
نعم، الطريق الصحيح لتقويم مسار التحقيق هو الحوار البناء والعلمي الدقيق، الذي ينظر للآخرين نظرة احترام لأفكارهم ومعتقداتهم، وبعدها يناقش صحة ما ندعيه، ونناقش صحة ما يدعيه، وليكن حوارا تسود فيه أجواء المحبة والإخلاص للأمة، لا رمي الآخرين بالاتهامات دون براهين وإثباتات تذكر!

---

(١) راجع أسد الغابة ٤ / ١٩٩.

رابعا: سلامة الموقف الشيعي:
إن سمة التشيع: النظر للأمور بواقعية تامة، والحكم في إطار العدل والمساواة بناء على الأدلة والشواهد.
ومن هنا، فإن الشيعة إنما ينظرون إلى الصحابة نظرة علمية منطقية..
وهذه الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليهما السلام) يدعو فيها للصحابة فيقول:
" اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره... فلا تنس اللهم ما تركوا لك وفيك، وارضهم من رضوانك، وبما حاشوا الخلق عليك، وكانوا مع رسولك دعاة لك... " (١).
يقول السيد مهدي الحسيني الروحاني في كتابه بحوث مع أهل السنة والسلفية: "... وغير خفي: أن هذه الدعوات بما فيها من الإعظام والإكبار، شاملة لمعظم الصحابة رضي الله عنهم، وأما آحادهم تفصيلا فينظر في تراجمهم وتواريخهم ويحاكمون بمقتضى العدل، والقول الفصل، وحكم القرآن، وكلام نبي الإسلام... وعليه فمن ناقش في علم بعض آحاد الصحابة، أو خطأهم في بعض أفعالهم وأقوالهم، حسب ما تقتضيه المقاييس الدينية، فإن ذلك لا يخرجه من الإيمان إلى الكفر، ولا من السنة إلى البدعة، إذ ليس آحاد الصحابة وأشخاصهم محور الدين، والكفر، والسنة والبدعة " (٢).

---

(١) الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين (صلى الله عليه وآله وسلم): من دعائه (صلى الله عليه وآله وسلم) في الصلاة
على أتباع الرسل ومصدقيهم.
(٢) بحوث مع أهل السنة والسلفية - للسيد مهدي الحسيني الروحاني، المكتبة الإسلامية، ط ١٩٧٩ -: ٣٦ - ٣٧.

خامسا: بين العدالة والعصمة:
ولا ينقضي العجب من الدكتور وأمثاله الذين يتهمون الشيعة بالغلو لأنهم قالوا بعصمة الأئمة الاثني عشر من جهة، ويرون أن كل الصحابة عدول من جهة أخرى!!
والعدالة – كما يقال – بأنها ملكة اكتسابية تمنع الصحابي عن الوقوع في الخطأ، وأما العصمة – كما عرفت – فإنها ملكة نفسانية أو لطف إلهي تمنع المعصوم عن الخطأ.
وبالنظر إلى حقيقة العدالة والعصمة نعرف أن الفرق إنما يكمن لا في النتيجة، بل في الطريقة...
ومعه، فلو صح أن يكون اعتقاد الشيعة بعصمة الأئمة الاثني عشر غلوا لكان الاعتقاد بعدالة جميع الصحابة أشد غلوا منهم!
قضية التشيع والوحدة:
قال: " يقلقني أن يأتي الشيعة ليبشرونا بمذهبهم ويزرعونه في قلب المجتمعات السنية، بنفس القدر الذي يقلقني أن يأتي نفر من أهل السنة ليزرع مذهب أهل السنة في المجتمعات الشيعية... فإنما يأتي الشيعة يزرعون مذهب (الإمامة والتشيع) داخل مجتمعات سنية أنعم الله عليها بالوحدة المذهبية، فهم يخلخلون وحدة المذهب، ويصنعون القلق الطائفي داخل مجتمعات برئت من هذه الخلخلة المذهبية والطائفية ".
وفيه:

أولا: إن هذا إقفال لباب الحوار، وقطع للطريق أمامه، لأن المقتضي له طرح المشاكل العالقة بين الفريقين لتحل حلا جذريا يتفق عليه الطرفان، ولا يتناقض هذا والحوار مع غير المسلمين، فكيف إذا كان فيما بينهم؟!

ثانيا: إن المانع وهو الخلخلة في المجتمعات الإسلامية – إذا صح – أمر مطرد في غيرها، ولكن الصحيح أن الحوار البناء المبني على قواعد سليمة وأسس متينة لا يولد مثل هذه الخلخلة كما قد يدعى، وإنما انسجام ووحدة في الحقيقة إذا ما خلص لنتيجة معينة، وطبعا بشرط أن لا تسود هذه المجتمعات مثل تلك الحوارات التي تولد تعصبا في التفكير، وتطرح المغالطات، لأنها هي التي تصنع القلق الطائفي.

ثالثا: نحن نسأل الدكتور لماذا الخوف من تشيع بعضهم إذا كان ذلك مقنعا لهم وثبت بالبراهين والأدلة الشرعية والعقلية، التي عبر عنها هو بأنها " ممارسات رعناء هدفها خداع الشباب "، طالما أنهم بقوا في حومة المسلمين، وأن وحدة الأمة كما قال: " تسع المذاهب والتيارات المختلفة وتسع (الألسنة – اللغات) والأقاليم المختلفة، بما في ذلك أن تكون هناك ملل ونحل مختلفة في داخل الأمة "؟!

وهل التشيع إلا مذهب من تلك المذاهب المختلفة؟! أم إن هذا باعتقاده خروجا عنهم؟!!

كما إنه يجب ألا يقلقه أن يأتي أهل السنة ليبشرونا! لأننا – أولا – لسنا معقدين من فتح باب الحوار عن العقيدة، لا بل نطلبه.

وثانيا: لأنا نعلم أن ثقافتنا الشيعية تمتلك المؤهلات الكافية للثبات ومواجهة الأفكار الأخرى، لأن ركيزتها ليست مبنية على التعصب الفكري، بل على القواعد العلمية والفكرية الدقيقة.

ولعمري إن هذا الكلام الصادر من الدكتور أدل دليل على قوة الفكر الشيعي.

وأما التعدد الطائفي فهو ليس خللا - كما يتصور - بل عنصر من عناصر الحيوية في المجتمعات، لأنها تحرك باتجاه بناء عقائد صحيحة من خلال التعرف على عقائد الآخرين ودفع شبهاتهم، وليست تلك نظرة قصيرة المدى - كما عبر هو - إذا ما تم تصحيح الاعتقادات، لعدم الخفاء بأن هذا أهم ما في الإسلام، وهو أن يكون المسلم على بينة منها، لا بل إن التقوقع في قالب معين من الاعتقادات دون النظر إلى صحتها وسقمها، هي نظرة قصيرة المدى، لأنها لا تنظر إلى الآخرة بعين الحقيقة، ولا أعتقد أن هنالك هدف أسمى من الآخرة للوصول إلى شاطئ النعيم، ولذا قال تعالى: * (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) * (١) والآية مطلقة، والعجب أن الدكتور اعتبره خداعا!!

* ملاحظة: قال: " وفي المقاومة الشعبية لظلم الحكام الفاطميين تدهش عندما تعلم أن المظاهرات كانت تهتف لتغيير الحاكم الفاطمي ".

وهذه دعوى لم يقم الدكتور عليها دليلا! بل إن الدليل على خلافه كما يظهر من نصوص تلك الأيام وفي تلك الحقبة، والتي تشير إلى أن أهل السنة كانوا في تقية، خلال ذلك العهد!

قضية الثورية في الفكر الشيعي:

قال: " يزعمون - خاصة بعد الثورة الإيرانية - أن الفكر الشيعي فكر

---

(١) سورة الحشر ٥٩: ١٨.

ثوري، وأنه تصدى لنظم الجور والطغيان على مر التاريخ، وأقول: إن هذا وهم، وهذه أكذوبة، الشيعة منذ جعفر الصادق امتنعوا عن الثورة وعن العمل السياسي، وعن الدخول في كل قضايا السياسة ورضوا بكل النظم الحاكمة بصرف النظر عن جورها وعن عدلها، والذي كان يعارض ويناقش و.. و.. إلخ كان من علماء السنة.. إذن الفكر الذي كان يقوم بالثورات – دعنا من الخوارج – وكان له دور في المعارضة والانتقاد والسياسة والعمل السياسي كان هو الفكر السني... إلى أن جاءت سنة ١٩٢٠. وأول فتوى تصدر عن الشيعة بالعمل السياسي... إذن على طوال تاريخنا كان الفكر الشيعي وبالذات فكر الاثني عشرية بعيدا عن الاشتغال بالسياسة... فأين هي الثورية التي يخدعون بها بعض الشباب كي يرجحوا كفة المذهب الشيعي على المذهب السني؟ ".

أقول: نحن نجيبك يا دكتور على سؤالك المطروح أخيرا في نقاط:

الأولى: ثورية الفكر الشيعي:

إن كون الفكر الشيعي فكرا ثوريا أمر لا يجادل فيه اثنان، وليست تلك أكذوبة أو وهم كما تدعي، لا بل إن روح التشيع هي الثورية والتصدي لنظم الجور والطغيان عبر التاريخ، ولذا قلت أنت يا دكتور! إن " المصريين تعاطفوا معهم لأنهم اضطهدوا "!

أوليس ذلك سببه الرفض لتلك الأنظمة الجائرة والعمل على إسقاطها أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر؟

وقد صرحت أيضا في حوارك المتقدم أنه " كان الشيعة الفاطميون يحزنون في عاشوراء ".

وبالتالي نحن نسألك أيها الدكتور، أليست عاشوراء هي ثورة الإمام

أبي عبد الله الحسين بن علي (عليهما السلام)؟! أم إنك نسيت ذلك؟! وكأنك تعلم بأن الشيعة إنما يجددون كل سنة تلك الثورة من خلال إقامة المجالس والتذكير بمظلومية هذا الإمام العظيم ووقوفه أمام الجور والطغيان ويرددون كل سنة قوله: " إني ما خرجت أشرا ولا بطرا، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله " حتى قيل عندنا: " إن الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء ".

وهذا إنما يعني أن التشيع روحه ثورة الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) وبقاءه مرهون ببقائها في الأذهان، وكفانا أن نعيد تلك الذكرى كل سنة عشرة أيام حتى تتجدد في نفوسنا عزيمة الثورة لمقاومة أنظمة الاستكبار والجور والطغيان ولو تطلب ذلك الاستشهاد في سبيل الله، ومن هنا تفهم عبارة الإمام الخميني (قدس سره): " إن كل ما لدينا هو من بركة كربلاء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ".

ونظرة واحدة في تراجم أئمتهم، وحركات رجالاتهم، وانتفاضات الشيعة، تكفي للبرهنة على ثورية الفكر الشيعي، ولعل هذا من الأمور الواضحة للمسلمين التي لا يشكك فيها إلا...

الثانية: رجالات الشيعة والسياسة:

إنا لا نعلم من أين للدكتور تلك الدعوى من أن الشيعة لم يشتغلوا بالسياسة منذ عصر الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) حتى عام ١٩٢٠ م؟!

إن هذا لدليل واضح على عدم اطلاعه على التاريخ الشيعي على الأقل، وإلا لعلم أن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) قضى أيام حياته الأخيرة في سجن بغداد واستشهد مسموما.

وأن ولاية العهد التي أوصى بها المأمون للإمام الرضا (عليه السلام) أشهر من

أن تذكر واستشهد مسموما أيضا.
وأن المعتصم خاف من اجتماع الناس حول الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام)، فاستقدمه إلى بغداد ودس إليه السم فاستشهد.
وأن الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام) وضعا تحت الإقامة الجبرية، وجعلوا عليهم جواسيس يراقبون منزلهما.
وأنه بعد وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) بعث إلى داره من يفتشها ويفتش حجرها وختم على جميع ما فيها (١).
إضافة لما حصل للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وهو بحث خلافي يترك إلى محله... وكله قبل الغيبة!
أما بعد الغيبة، فلقد كان للشيعة دور كبير في السياسة خفي على الدكتور ظاهرا، ولو ذكرنا الشهيد الأول محمد بن جمال الدين مكي العاملي، والشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي لكفانا افتخارا بما قدمنا، لا من الشهداء فحسب، بل من الشهداء العلماء الذين خافت السلطة منهم، فكان جزاء الأول القتل والصلب والرجم والحرق! وكان جزاء الثاني أن بعث رأسه إلى السلطان حفاظا على الخلافة من الضياع إذا استمر أمثال هؤلاء في جهادهم ضد الباطل، وإفتاء الناس بما لا يوافق السلطات الحاكمة آنذاك!
ولو أردنا أن نعد من الشيعة من اشتغل بالسياسة لاحتجنا أن نفرد كتابا خاصا فيهم، ولكن نذكر منهم من بعد الغيبة وقبل ١٩٢٠ م، على سبيل المثال:

---

(١) يمكن مراجعة مصادرنا في هذا الخصوص.

١ – أبو الفضل محمد بن الحسين بن العيد، وزير ركن الدولة، والد عضد الدولة.
٢ – أحمد بن إبراهيم الضبي، وزير فخر الدولة.
٣ – عميد الجيوش، أبو علي الحسن بن أستاد هرمز، وزير بهاء الدولة.
٤ – أبو القاسم الحسين بن علي، الوزير المغربي.
٥ – الخواجة نظام الملك الطوسي.
٦ – الحسن بن هارون، وزير معز الدولة.
٧ – الصاحب بن عباد، وزير مؤيد الدولة وفخر الدولة..
وقد عد منهم صاحب (الأعيان) ما جاوز الأربعين شخصا ممن كانت لهم المناصب الرفيعة من وزارة أو إمارة ناهيك عن القضاة والنقباء (١).
وبهذا يتبين فساد الدعوى التي تقول بأن الشيعة لم يشتغلوا بالسياسة حتى عام ١٩٢٠.
الثالثة: الفكر السني المهادن:
ولا يخفى عزيزي القارئ أن من مذهب أهل السنة البخوع والخضوع للسلطة وللنظام القائم حتى لو كان على رأسه فاجر فاسق! ونكتفي بذكر أقوال بعض أئمة علماء أهل السنة:
أ – قال النووي في شرح صحيح مسلم: " وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين "...
وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا

---

(١) راجع أعيان الشيعة ١: ١٩٠ – ١٩٣.

ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بذلك " (١)!!

ب – قال الإمام الأشعري: " ويرون (أهل الحديث والسنة) العيد والجمعة والجماعة خلف كل بر وفاجر... ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا في الفتن " (٢).

ج – قال أحمد بن حنبل: " السمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين، البر والفاجر... وإقامة الحدود إلى الأئمة، وليس لأحد أن يطعن عليهم وينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائز، من دفعها إليهم أجزأت عنهم، برا كان أو فاجرا، وصلاة الجمعة خلفه وخلف كل ولي، جائزة إقامته، ومن أعادها فهو مبتدع، تارك للآثار، مخالف للسنة " (٣)!!

د – قال الإمام أبو اليسر البزودي: " الإمام إذا جار أو فسق لا ينعزل عند أصحاب أبي حنيفة بأجمعهم وهو المذهب المرضي "!!

ثم قال: " وجه قول عامة أهل السنة والجماعة إجماع الأمة، فإنهم رأوا الفساق أئمة، فإن أكثر الصحابة كانوا يرون بني أمية وهم بنو مروان حتى كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلفهم ويرون قضاياهم نافذة. وكذا الصحابة والتابعون، وكذا من بعدهم يرون خلافة بني عباس وأكثرهم فساق " (٤)!!

كما لا يخفى أيضا أن الصحاح قد نقلت روايات وأحاديث – نراها

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٢ / ٢٢٩، باب لزوم طاعة الأمراء.

(٢) مقالات الإسلاميين: ٣٢٣.

(٣) مقالات الإسلاميين: ٣٢٣.

(٤) أصول الدين – للإمام البزودي، ط القاهرة –: ١٩٠ – ١٩٢.

مفتعلة على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنها مخالفة لكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) -.
فقد روى مسلم، عن حذيفة بن اليمان، قلت: " يا رسول الله... إلى
أن قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا
يستنون بسنتي، وسيقوم رجال، قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس.
قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟
قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع
وأطع " (١)!!
هذا غيض من فيض ما جاءت به كتب أهل السنة... فاقض ما أنت
قاض.
قضية الاجتهاد:
قال: " ثم قضية أن المذهب الشيعي فيه باب الاجتهاد مفتوح على
عكس مذهب السنة، أقول: إن هذا وهم واسمح لي أن أكون صريحا في
هذا الموضوع، فنحن نتكلم كعلماء، الفكر الشيعي صحيح لم يقل بإغلاق
باب الاجتهاد.. لكن أين هو الاجتهاد؟
إذا كنت أمام عقل يقول: إن الإمام قد غاب، وإنه حي، وإنه ما
زال منتظرا وإننا ننتظره، فأين هو العقل والعقلانية، وأين هو الاجتهاد؟
إذا كنت تقول: إن الأمة غير مؤتمنة على الشريعة، وإن فردا هو
المؤتمن على الشريعة، وإن الإمامة والدولة والخلافة والسياسة لا علاقة
للأمة بها، ولا علاقة للشورى بها، وإن الأمة في هذا كله منزوع سلطانها،

---

(١) صحيح مسلم ٦ / ٢٠ - ٢١، باب الأمر بلزوم الجماعة، وباب حكم من فارق أمر المسلمين.

فأين هو الاجتهاد، وأين هي العقلانية في هذا الموضوع؟!
أقول: الاجتهاد عند فقهاء الشيعة وقف عند أن هناك مرجعا له كتاب فقهي وله مقلدون، وهل الاجتهاد في فروع الفقه هو الاجتهاد؟
أقول بصراحة: إنها أكثر من اللازم. يعني اجتهادات لدرجة التخيل في فروع الفقه، إنما القضية التي فيها الاجتهاد هي الاجتهاد في المعاملات وفي الأمور العامة وفي شؤون الدولة.
هذا هو الذي تعطل فيه الاجتهاد، والشيعة ليس لهم في هذا الميدان اجتهاد... إذن في الميدان الذي أغلق فيه باب الاجتهاد عند السنة، الشيعة صفر في هذا الميدان، لأنهم يعلقون الفكر فيه على الإمام الغائب.
أما في فروع الفقه فأين هي الاجتهادات المتميزة في المذهب الجعفري التي ليس لها نظائر في مذاهب السنة الأربعة؟ ".
أولا: الإمام المهدي بين الاعتقاد والاجتهاد:
إن عدم تحري الدقة سمة هذا الحوار مع الدكتور، وبيانه في هذه القضية يقع في نقطتين:
أ – في دفع شبهة:
إذ إن الاعتقاد بغيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ليس اجتهادا، لأن " الاجتهاد: هو النظر في الأدلة الشرعية، لتحصيل معرفة الأحكام الفرعية التي جاء بها سيد المرسلين " (١) والأمور الاعتقادية ليست من الأحكام الفرعية كما لا يخفى!
بالإضافة إلى أن الاعتقاد بالغيبة أمر متسالم به عندنا، فلا يحتاج للنظر

---

(١) عقائد الإمامية – للشيخ محمد رضا المظفر، نشر أشكوري، ط ١٤٣١ ه –: ٥٦.

إلا في إطار وجوب معرفة إمام زماننا، لأنه " من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية " وهو حديث مستفيض ذكر بألفاظ مختلفة (١).

ب - الاعتقاد بالإمام المهدي في الإمكان العقلي:

أعتقد أن العقل الذي قبل غيبة الإمام المهدي وأنه حي، هو نفس العقل الذي لم يستبعد قوله تعالى: * (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما) * (٢).

وقوله عز وجل: * (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما) * (٣).

وقد أخرج البخاري ومسلم، عن أبي هريرة، أنه قال: " قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم " (٤).

وفي صحيح مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: " سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) قال: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم (عليه السلام) فيقول أميرهم: تعال صل لنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة لهذه الأمة " (٥)...

وبهذا يظهر أن الذي حفظ نوحا ٩٥٠ سنة للتبليغ في قومه، وحفظ

---

(١) راجع صحيح البخاري ٥ / ١٣، صحيح مسلم ٦ / ١٢ - ٢٢ ح ١٨٩٤.
(٢) سورة العنكبوت ٢٩: ١٤.
(٣) سورة النساء ٤: ١٥٧ - ١٥٨.
(٤) راجع صحيح البخاري ٤ / ٢٠٥، صحيح مسلم ١ / ١٣٦.
(٥) صحيح مسلم ١ / ١٣٦ ح ٢٤٤.

عيسى إلى آخر الزمان، ألا يستطيع أن يحفظ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؟!
أو إن العقلانية ترفض تلك الآيات والأحاديث أيضا؟!!
بالإضافة إلى أن العقل لا يرفض قدرة الله عز وجل بالتحكم في عمر الإنسان بأن يطيله أو يقصره وفقا للمصلحة المقتضية له، إذ إنه ليس في دائرة المستحيلات العقلية، لا بل إنها من الأمور الملموسة في حياتنا العملية ك (شعر الحاجبين).
ثانيا: الاجتهاد الشيعي:
ونتناول في المقام مسألتين:
أ – اجتهاد الشيعة في المعاملات:
ولا ينقضي العجب من قول الدكتور أن " الشيعة صفر في هذا الميدان [الاجتهاد في المعاملات] لأنهم يعلقون الفكر فيه على الإمام الغائب "!
إذ إن ما كتبه الشيعة في هذا الميدان أكثر من أن يعد أو يحصى، لا بل إنك لا تجد كتابا فقهيا إلا وهو على قسمين " كتاب العبادات " و " كتاب المعاملات ".
وفي الأخير يبحث الفقهاء عن: التجارة، الشفعة، الإجارة، المزارعة والمساقاة، السبق والرماية، الشركة، المضاربة، الوديعة، العارية، اللقطة، الغصب، إحياء الموات، الدين، الرهن، الحجر، الضمان، الصلح، الإقرار، الوكالة، الهبة، الوصية، الوقف، النكاح، الطلاق، الظهار، الحدود، القصاص، الإيلاء، اللعان، الأيمان، الصيد والذباحة، الأطعمة والأشربة، الميراث، والقضاء.

بالإضافة إلى المسائل المستحدثة، التي بحثها الفقهاء المعاصرون من قبيل: أحكام البنوك، أطفال الأنابيب، الخلو، ويانصيب الحظ، والتأمين، وغيرها.

وهل الدولة قائمة إلا على هذه الشؤون من المعاملات؟!

وأما إذا كان مراد الدكتور الشؤون العسكرية، فقد عقد الفقهاء بحثا خاصا لها يسمى ب " كتاب الجهاد " تناولوا فيه الأحكام الأولية له، وأما الأحكام الاستثنائية والطارئة فإنما تعهد إلى ولي الأمر العادل الذي تتوفر فيه الشروط المعينة، من قبيل: الاجتهاد، ومعرفة أحوال أهل زمانه، وغيرها...

ولكن يبقى أن نسأل الدكتور أين تعطل الاجتهاد عند الشيعة؟!!

ب - الاجتهاد والإمامة:

أولا: نقول: بأن الإمامة ليست اجتهادا عندنا، لأنها ليست من الأحكام الفرعية، بل هي من الأصول.

ثانيا: إذا علم أننا نعد الإمامة منصبا إلهيا، وأنها تختص بأفراد معينين عصمهم الله تعالى من الخطأ، فلا جرم أن يكون هؤلاء مؤتمنين على الشريعة كما كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مؤتمنا عليها، والقرار الأخير هو الصادر منه (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا تشاركه الأمة في اتخاذه * (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) * (١).

ولا تنافيه المشورة، إلا أن تشخيص المصلحة آخر الأمر يعود له وحده، ولا خطأ في أفعاله وقراراته (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا مانع من انتقال تلك

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٦.

الصلاحيات كما هي للإمام المنصوب، الذي هو أيضا لا يخطئ.
ج – الاجتهاد الشيعي المتميز:
لعل الدكتور يقصد في قوله " اجتهادات لدرجة التخيل " تلك الأحكام التي تتعلق بفروض نادرة أو يتوقع حدوثها، وهذه في الحقيقة شهادة متميزة للفقه الشيعي، الذي يتكيف مع مختلف العصور، ومع الوقائع الحادثة حتى النادرة منها، والتي قد يتفق أن تقع في الحال أو المستقبل، وهو دليل واضح على أن الفقه الشيعي لديه الأجوبة الشافية والسريعة دائما، خصوصا في المواقف الحرجة، ومثاله الصلاة على القمر وإن كانت متخيلة منذ مائة سنة إلا أنها أصبحت واقعا ملموسا وممكنا، لذا فإن التخيل المذكور يعد غناء في الفقه الشيعي والاجتهادي.
ثالثا: اجتهاد ابن تيمية:
قال: " أقول هذا لشبابنا ليرى أن الفكر السني على مر تاريخه هو الذي كان يشتغل بذلك.. ابن تيمية كان يحمل السيف ويجاهد ويكتب في السياسة والشرعية ويموت في سجن المماليك، من الذي يقول: إن هذا غير مجتهد، وإن هذا لا يشتغل بالسياسة، وإن هذا غير ثوري، الذي يجاهد التتار، بينما كان هناك (ولا نريد أن نفتح الأبواب)... ".
أ – اجتهاد ابن تيمية المخالف:
آخر ما كنت أتوقع هو أن يأتي الدكتور بشخصية جهادية في الفكر السني تكون نموذجا للثورية – تحمل السيف وتجاهد، وتكتب في السياسة والشرعية، وتموت في السجن – كشخصية ابن تيمية، ليضعه في خانة الثوريين والأبطال في الفكر السني!!
والظاهر أن في الأمر سرا خفي علينا نحن لا نعلمه..

ولعل الدكتور غاب عن ذهنه مراجعة سيرة هذا الرجل فجعل يصفه بتلك الأوصاف المخلدة لذكراه، وكأنه لم يعرف سبب جعل ابن تيمية في السجن، وأنه حبس لا لأجل جهاده العريق، وإنما بسبب اعتقاداته الفاسدة التي لا تجتمع مع جمهور المسلمين!

يقول ابن كثير – وهو تلميذه –: " وفي ليلة عيد الفطر من تلك السنة [٧٠٦ ه] أحضر الأمير سيف الدين سلار، نائب مصر، القضاة الثلاثة وجماعة من الفقهاء، فالقضاة: الشافعي والمالكي والحنفي، والفقهاء: الباجي والجزري والنمواري، وتكلموا في إخراج الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الحبس، فاستشرط بعض الحاضرين عليه شروطا في ذلك، منها أنه يلتزم بالرجوع عن بعض عقائده "..

وفي سنة ٧٠٩ ه نفي إلى الإسكندرية، ومنها عاد إلى القاهرة، ثم إلى الشام.

وفي سنة ٧٢٠ ه صدرت منه فتاوى شاذة، فعقد له مجلس حضره القضاة والمعنيون من المذاهب الأربعة، وحبس خمسة أشهر.

حتى جاءت سنة ٧٢٦ ه حين سجن مرة أخرى، ومات في قلعة دمشق للعلة ذاتها!!

هذا هو من قال عنه الدكتور أنه حبس من أجل جهاده في سجن المماليك... وقد تبين أنه كان يجاهد مذاهب جمهور المسلمين وحبس بفتياهم – فتيا فقهاء المذاهب الأربعة – لانحرافه العقائدي (١).

---

(١) راجع تكملة السيف الصقيل – للشيخ محمد زاهد الكوثري –: ١٠٠.

ب – اجتهاد ابن تيمية في ميزان ابن حجر:

ب – وأما اجتهاده! فإني اقتصر على ما نقله العلامة الأميني عن الحافظ ابن حجر في كتابه الفتاوى الحديثة ص ٨٦، قال: " ابن تيمية عبد خذله الله وأضله وأعماه وأصمه وأذله، وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله، وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد، المتفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد، ابن الحسن السبكي، وولده التاج، والشيخ الإمام العز بن جماعة، وأهل عصرهم، وغيرهم من الشافعية والمالكية والحنفية.

ولم يقصر اعتراضه على متأخري الصوفية، بل اعترض على مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)!.

والحاصل: أن لا يقام لكلامه وزن، بل يرمى في كل وعر وحزن، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضال مضل غال، عامله الله بعلمه، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله، آمين... "... لا تعليق!

الوسطية في اجتهاد ابن تيمية:

إن هذا النموذج الذي أعطاه الدكتور للشباب يهدم كل ما بناه في حواره، لأن عقائد ابن تيمية تخالف نظريته حول الوسطية الإسلامية، إذ إنها لن تبقي من حب أهل البيت شئ لدرجة الإطاحة بكل " المزارات والمقامات والمساجد لرموز من آل البيت " المقامة في مصر، التي يباهي بها معتبرا أن وجودها مصداق لوسطية الشعب المصري، لأنها بنظر ابن تيمية شرك وبدعة! كما هي الحال الآن في مزارات البقيع! وعندها سلام على الوسطية يوم ولدت ويوم ماتت!!..

قضية ولاية الفقيه:
قال: " أنا أتصور أن الناس في إيران سواء كانوا من أهل الحوزات العلمية أو من أهل السياسة لا يمكن أن يتصوروا أن النموذج الإيراني في ولاية الفقيه صالح للتعميم في العالم السني، وإلا نكون أمام موقف ساذج، فما نرفضه في النموذج الإيراني وهو قضية ولاية الفقيه قد يكون سر قوة هذا النموذج داخل إيران، لكن لا يمكن أن يكون مقبولا خارج الإطار الإيراني، لأن هذا بعد مذهبي ".
أقول: بغض النظر عن أن هذا النموذج صالح للتعميم أو لا، لأن الإجابة تحتاج لدراسة مطولة تعرض فيها تلك النظرية ليرى إمكانية ذلك..
إلا أن الدكتور – جزاه الله خيرا – قد ساهم مساهمة فعالة في الإجابة عن أسئلة هو طرحها عندما قال:
١ – " أين هي الاجتهادات المتميزة في المذهب الجعفري التي ليس لها نظائر في مذاهب السنة الأربعة ".
والجواب: إن نظام ولاية الفقيه – الذي هو سر قوة هذا النموذج – من الاجتهادات الشيعية المتميزة عن المذاهب الأربعة بشهادتك حين قلت أيها الدكتور: " لأن هذا بعد مذهبي ".
٢ – " وأن فردا هو المؤتمن على الشريعة... فأين الاجتهاد...
وأين هي العقلانية في هذا الموضوع؟ ".
والجواب: إن نظام ولاية الفقيه – الذي هو سر قوة هذا النموذج – يكون الفرد فيه – المتمثل بقائد الثورة الإسلامية – هو المؤتمن على الشريعة

والدولة، وهو الذي يدير دفة البلاد من شرقها إلى غربها مع أنه ليس بمعصوم عندنا، فكيف هي الشريعة أو الدولة إذا أنيطت بالمعصوم؟!

٣ – " أقول: الاجتهاد عند فقه الشيعة وقف عند أن هناك مرجعا له كتاب فقهي وله مقلدون ".

والجواب: إن نظام ولاية الفقيه – الذي هو سر قوة هذا النموذج – أنيطت السلطة المطلقة فيه للفقيه المجتهد العادل، الجامع للشرائط، والعارف بأمور زمانه، بما فيها شؤون الدولة والسياسة والمجتمع وغير ذلك، فلا يقتصر على كتاب فقهي ومقلدون.

خاتمة في وسطية عادلة:

ما نبغيه هو أن تتحلى الأمة الإسلامية بدرجة من الوعي في إطار تنسجم فيه جميع الأطراف مع بعضها الآخر، فالوحدة الإسلامية مطلوبة بلا شك، إلا أن لها أسسا ومبادئ تقوم على الانفتاح الفكري والعقائدي بين جميع الفئات المختلفة... ولكن في الطريق مررت بكتاب تحت عنوان " شيعة... لكن لمن؟ " لسمير الهضيبي – تفضل باطلاعي عليه أحد سادتنا العلماء، عندما عرف بأني في صدد الكتابة حول ما جاء في حوار الدكتور عمارة – والمفاجأة أن الغلاف كان يحمل ثناء وإطراء من الدكتور المذكور للكاتب وقد جاء فيه:

" فلقد سعدت بقراءة إبداعك الجديد (شيعة... لكن لمن؟) ويسعدني أن أضع بين يديك – بعد التهنئة على هذا العمل المتميز – هذه الانطباعات والملاحظات:

– لقد نجحت في تحويل تاريخ ظهور الإسلام... والصراعات التي

دارت حول الخلافة ومناهج الحكم في الحقبة الراشدة إلى خريطة حية يتذوقها جمهور من القراء أوسع من جمهور قراء التاريخ..
– ونجحت في الحفاظ على دقة الحدث التاريخي..
– وإذا كانت المشاهد الفنية – الروائية – والتي شدتني وأمتعتني – كقارئ متذوق – قد جاءت قليلة بالقياس إلى تدفق أحداث التاريخ ونصوص حوارات أبطاله... فلقد قام (إحياء) التاريخ مقام (الخيال) فكان أدبا من لون جديد... الكلاسيكيات التي ينهض فيها الصدق التاريخي ليحل محل الروائيين!..
– كذلك نجحت في العرض المتوازن والوافي... التي مثلت مذاهب ومدارس التأريخ لهذه الحقبة... وكان جميلا أن يظهر الإسلام في مكانه الإلهي... وأن تظهر بشرية الجيل الرائد الذي أقام هذا الدين... لقد نجحت نجاحا عظيما في التمييز بين (المعصوم) و (غير المعصوم) على النحو الذي نرجو أن يسهم في حل مشكلات (القداسة) أو (الافتراء) على هذا التاريخ!..
تلك هي الانطباعات... التوقيع د. محمد عمارة ".

ترى، ماذا في الكتاب حتى راح الدكتور يثني عليه بهذه الطريقة مكررا نجاحه؟!

هل هو الحفاظ على دقة الحدث التاريخي وأن الشيعة من تأسيس عبد الله بن سبأ اليهودي؟!

أم إنه الأدب الجديد الذي يصور أصحاب أمير المؤمنين كميل بن زياد ومالك الأشتر بأبشع الصور الاستغلالية؟!

أو لا، هو ذلك التمييز بين " المعصوم " و " غير المعصوم " وأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان مولعا بالنساء؟!

أهكذا كان الكاتب يحل مشكلات " القداسة " أو " الافتراء " بنظر الدكتور " المتذوق "؟!!
إنها مجموعة افتراءات لا يوجد فيها مصدر واحد يعتمد عليه سماها الدكتور صدقا تاريخيا يحل محل خيال الروائيين!!
وهل هي تلك الوسطية التي أتحفنا الدكتور بها؟!
أرى أن القاضي هو المدعي في هذه القضية، والحال أنه لا بد أن يكون طرفا محايدا...
مفكر إسلامي شدته وأمتعته قصص سمير الهضيبي الخرافية!!
وهل تنسجم مثل تلك الافتراءات مع الوحدة الإسلامية؟!
أين " تماسك النسيج "؟!!
* (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) * (١).
نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوحد صفوف المسلمين على العقائد الصحيحة، ويكشف عنهم الكرب والغم، راجين منه عز وجل أن يحرر أرضهم من أيدي المستكبرين، ولا سيما الصهاينة منهم، إنه علي قدير.
والحمد لله رب العالمين.
* * *

---

(١) سورة النور ٢٤: ١٩.

تشييد المراجعات
وتفنيد المكابرات
(٧)
السيد علي الحسيني الميلاني
آية المباهلة
قال السيد طاب ثراه:
" وهل هبط بآية المباهلة بسواهم جبرئيل؟! ".
فقال في الهامش:
" كلا، وإنما هبط بآية المباهلة بهم خاصة، فقال عز من قائل: * (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) * الآية ".
فقيل:
" هذه الآية مما يتمسك به الشيعة على أنه دليل على الإمامة، وعلى أن آل البيت هم بمرتبة النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فإن الآية لم تفرق بينهم وبينه، بل ساوتهم به إذ جمعت أنفسهم مع نفسه، فقال تعالى: * (وأنفسنا وأنفسكم) *.

وهذا اللفظ لا يقتضي المساواة، فقد قال تعالى: * (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) * (النور: ١٢)، ولا يدل هذا على أن المؤمنين والمؤمنات متساوون، ومن ذلك أيضا قوله تعالى: * (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) * (البقرة: ٨٥)، فهذا اللفظ يدل على المجانسة والمشابهة في أمور.

فقوله تعالى: * (وأنفسنا وأنفسكم) * أي: ورجالنا ورجالكم، أي: " الرجال الذين هم من جنسنا في الدين والنسب، والمراد: التجانس مع الإيمان ". انتهى.

أقول:

وهذا أيضا خلاصة ما جاء به ابن تيمية، في الجواب عن الاستدلال بالآية الكريمة، وليس لهذا القائل منه شئ ولا كلمة!!

ونحن ذاكرون سبب نزول الآية المباركة، ووجه الاستدلال بها، والجواب عما قيل في ذلك، فها هنا فصول، وبالله التوفيق:

الفصل الأول
في نزول الآية في أهل البيت عليهم السلام
قال الله عز وجل: * (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين * إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم * فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين) * (١).
هذه هي الآية المعروفة بآية المباهلة، وسنورد قصتها في أول الفصل الآتي.
وقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المباهلة بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام.
ذكر من رواه من الصحابة والتابعين:
وروي هذا الخبر عن جماعة من أعلام الصحابة والتابعين، نذكر هنا من جاءت الرواية عنه في كتب غير الإمامية، منهم:
١ - أمير المؤمنين علي عليه السلام.
٢ - عبد الله بن العباس.

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٥٩ - ٦٣.

٣ – جابر بن عبد الله الأنصاري.
٤ – سعد بن أبي وقاص.
٥ – عثمان بن عفان.
٦ – سعيد بن زيد.
٧ – طلحة بن عبيد الله.
٨ – الزبير بن العوام.
٩ – عبد الرحمن بن عوف.
١٠ – البراء بن عازب.
١١ – حذيفة بن اليمان.
١٢ – أبو سعيد الخدري.
١٣ – أبو الطفيل الليثي.
١٤ – جد سلمة بن عبد يشوع.
١٥ – أم سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله.
١٦ – زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام.
١٧ – علباء بن أحمر اليشكري.
١٨ – الشعبي.
١٩ – الحسن البصري.
٢٠ – مقاتل.
٢١ – الكلبي.
٢٢ – السدي.
٢٣ – قتادة.
٢٤ – مجاهد.

أما أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ناشد القوم في الشورى بنزول الآية فيه... وسيأتي الخبر قريبا.
وأما عثمان، وطلحة، والزبير، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، فقد أقروا لعلي عليه السلام في ذلك.
كما روى سعد الخبر، وكان مما به اعتذر عن سب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، كما في صحيح الأثر... وسيأتي نصه.
وأما أبو الطفيل فهو راوي خبر المناشدة.
وأما الآخرون... فستأتي نصوص الأخبار في روايتهم.
ومن رواته من كبار الأئمة في الحديث والتفسير:
وقد اتفقت كتب الحديث والتفسير والكلام على رواية حديث المباهلة، إما بالأسانيد، وإما بإرساله إرسال المسلمات، من أشهرهم:
١ - سعيد بن منصور، المتوفى سنة ٢٢٧.
٢ - أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة، المتوفى سنة ٢٣٥.
٣ - أحمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١.
٤ - عبد بن حميد، المتوفى سنة ٢٤٩.
٥ - مسلم بن الحجاج، المتوفى سنة ٢٦١.
٦ - أبو زيد عمر بن شبة البصري، المتوفى سنة ٢٦٢.
٧ - محمد بن عيسى الترمذي، المتوفى سنة ٢٧٩.
٨ - أحمد بن شعيب النسائي، المتوفى سنة ٣٠٣.
٩ - محمد بن جرير الطبري، المتوفى سنة ٣١٠.
١٠ - أبو بكر ابن المنذر النيسابوري، المتوفى سنة ٣١٨.

١١ – أبو بكر الجصاص، المتوفى سنة ٣٧٠.
١٢ – أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥.
١٣ – أبو بكر ابن مردويه الأصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠.
١٤ – أبو إسحاق الثعلبي، المتوفى سنة ٤٢٧.
١٥ – أبو نعيم الأصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠.
١٦ – أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨.
١٧ – علي بن أحمد الواحدي، المتوفى سنة ٤٦٨.
١٨ – محيي السنة البغوي، المتوفى سنة ٥١٦.
١٩ – جار الله الزمخشري، المتوفى سنة ٥٣٨.
٢٠ – القاضي عياض اليحصبي، المتوفى سنة ٥٤٤.
٢١ – أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١.
٢٢ – أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي، المتوفى سنة ٥٧٩.
٢٣ – أبو السعادات ابن الأثير الجزري، المتوفى سنة ٦٠٦.
٢٤ – الفخر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦.
٢٥ – عز الدين أبو الحسن ابن الأثير الجزري، المتوفى سنة ٦٣٠.
٢٦ – محمد بن طلحة الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٢.
٢٧ – شمس الدين سبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤.
٢٨ – أبو عبد الله القرطبي الأنصاري، المتوفى سنة ٦٥٦.
٢٩ – القاضي البيضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥.
٣٠ – محب الدين الطبري، المتوفى سنة ٦٩٤.
٣١ – نظام الدين الأعرج النيسابوري، المتوفى سنة.
٣٢ – أبو البركات النسفي، المتوفى سنة ٧١٠.

٣٣ – صدر الدين أبو المجامع إبراهيم الحموئي، المتوفى سنة ٧٢٢.
٣٤ – أبو القاسم ابن الجزي الكلبي، المتوفى سنة ٧٤١.
٣٥ – علاء الدين الخازن، المتوفى سنة ٧٤١.
٣٦ – أبو حيان الأندلسي، المتوفى سنة ٧٤٥.
٣٧ – شمس الدين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨.
٣٨ – ابن كثير الدمشقي، المتوفى سنة ٧٧٤.
٣٩ – ولي الدين الخطيب التبريزي، المتوفى سنة.
٤٠ – ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة ٨٥٢.
٤١ – نور الدين ابن الصباغ المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥.
٤٢ – جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١.
٤٣ – أبو السعود العمادي، المتوفى سنة ٩٥١.
٤٤ – الخطيب الشربيني، المتوفى سنة ٩٦٨.
٤٥ – ابن حجر الهيتمي المكي، المتوفى سنة ٩٧٣.
٤٦ – علي بن سلطان القاري، المتوفى سنة ١٠١٣.
٤٧ – نور الدين الحلبي، المتوفى سنة ١٠٣٣.
٤٨ – شهاب الدين الخفاجي، المتوفى سنة ١٠٦٩.
٤٩ – الزرقاني المالكي، المتوفى سنة ١١٢٢.
٥٠ – عبد الله الشبراوي، المتوفى سنة ١١٦٢.
٥١ – قاضي القضاة الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠.
٥٢ – شهاب الدين الآلوسي، المتوفى سنة ١٢٧٠.
وغيرهم من أعلام الحديث والتفسير والكلام والتاريخ في مختلف القرون.

من نصوص الحديث في الكتب المعتبرة:
وهذه ألفاظ من الأخبار الواردة في نزول الآية المباركة في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كما رواها الحفاظ بأسانيدهم، في الكتب المعتبرة:
* أخرج ابن عساكر بسنده، وابن حجر من طريق الدارقطني، عن أبي الطفيل: إن أمير المؤمنين عليه السلام ناشد أصحاب الشورى واحتج عليهم بجملة من فضائله ومناقبه، ومن ذلك أن قال لهم:
" نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم في الرحم، ومن جعله رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم نفسه، وابناه أبناءه، ونساءه نساءه غيري؟!
قالوا: اللهم لا " (١).
أقول:
ومناشدة أمير المؤمنين في الشورى رواها عدد كبير من علماء الفريقين، بأسانيدهم عن: أبي ذر وأبي الطفيل، وممن أخرجها من حفاظ الجمهور: الدارقطني، وابن مردويه، وابن عبد البر، والحاكم، والسيوطي، وابن حجر المكي، والمتقي الهندي.
وسيأتي تفصيل ذلك حيث يتعرض لها السيد رحمه الله إن شاء الله تعالى.

---

(١) تاريخ دمشق - ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام -: ٣ / ٩٠ ح ١١٣١.

* وفي " المسند ": " حدثنا عبد الله، قال أبي: ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا حاتم بن إسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول له، وخلفه في بعض مغازيه، فقال علي رضي الله عنه: أتخلفني مع النساء والصبيان؟! قال: يا علي! أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي؟!

وسمعته يقول - يوم خيبر -: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي عليا رضي الله عنه فأتي به أرمد، فبصق في عينه ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه.

ولما نزلت هذه الآية * (ندع أبناءنا وأبناءكم) * دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضوان الله عليهم أجمعين، فقال: اللهم هؤلاء أهلي " (١).

* وأخرج مسلم قائلا: " حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمد بن عباد - وتقاربا في اللفظ - قالا: حدثنا حاتم - وهو ابن إسماعيل - عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا، فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟!

فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول له [وقد] خلفه

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٨٥.

في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله! خلفتني مع النساء والصبيان!
فقال له رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي.
وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله.
قال: فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي عليا، فأتي به أرمد، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه.
ولما نزلت هذه الآية: * (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) * دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: اللهم هؤلاء أهلي " (١).
* وأخرجه الترمذي بالسند واللفظ، فقال:
" هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه " (٢).
* وأخرج النسائي: " أخبرنا قتيبة بن سعيد البلخي وهشام بن عمار الدمشقي، قالا: حدثنا حاتم، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: أمر معاوية سعدا فقال: ما يمنعك أن تسب أبا تراب؟!
فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فلن أسبه، لأن يكون لي واحدة منها أحب إلي من حمر النعم:
سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول له، وخلفه في

---

(١) صحيح مسلم ٧ / ١٢٠.
(٢) صحيح الترمذي ٥ / ٥٩٦ كتاب المناقب، مناقب علي.

بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله! أتخلفني مع النساء والصبيان؟!
فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أما ترضى أن تكون
مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي.
وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله،
ويحبه الله ورسوله.
فتطاولنا إليها فقال: ادعوا لي عليا، فأتي به أرمد، فبصق في عينيه
ودفع الراية إليه.
ولما نزلت * (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا) * دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عليا وفاطمة
وحسنا وحسينا فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي " (١).
* وأخرج الحاكم فقال: " أخبرني جعفر بن محمد بن نصير
الخلدي، ثنا موسى بن هارون، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا حاتم بن إسماعيل،
عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد، عن أبيه، قال: لما نزلت هذه الآية
* (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) * دعا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا رضي الله عنهم فقال:
اللهم هؤلاء أهلي.
هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " (٢).
* ووافقه الذهبي في (تلخيصه).
* وستأتي رواية الحاكم عن جابر.

---

(١) خصائص أمير المؤمنين: ٤٨ - ٤٩.
(٢) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٠.

* وأخرجه عن ابن عباس، قال: " ذكر النوع السابع عشر من علوم الحديث: هذا النوع من هذا العلم معرفة أولاد الصحابة، فإن من جهل هذا النوع اشتبه عليه كثير من الروايات.

أول ما يلزم الحديثي معرفته من ذلك: أولاد سيد البشر محمد المصطفى صلى الله عليه [وآله] وسلم ومن صحت الرواية عنه منهم: حدثنا علي بن عبد الرحمن بن عيسى الدهقان بالكوفة، قال: حدثنا الحسين بن الحكم الحبري، قال: ثنا الحسن بن الحسين العرني، قال: ثنا حبان بن علي العنزي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله عز وجل: * (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم - إلى قوله: - الكاذبين) * نزلت على رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، وعلي نفسه، * (ونساءنا ونساءكم) *: فاطمة، * (وأبناءنا وأبناءكم) *: حسن وحسين، والدعاء على الكاذبين نزلت في العاقب والسيد وعبد المسيح وأصحابهم " (١).

* وقال ابن حجر العسقلاني بشرح حديث المنزلة: " ووقع في رواية عامر بن سعد بن أبي وقاص عند مسلم والترمذي، قال: قال معاوية لسعد: ما منعك أن تسب أبا تراب؟!

قال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فلن أسبه....

فذكر هذا الحديث، وقوله: لأعطين الراية رجلا يحبه الله ورسوله...

وقوله: لما نزلت * (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) * دعا عليا وفاطمة

---

(١) معرفة علوم الحديث: ٤٩ - ٥٠.

والحسن والحسين فقال: اللهم هؤلاء أهلي " (١).
تنبيه:
الملاحظ أنهم يروون كلام سعد في جواب معاوية بأشكال مختلفة مع أن السند واحد، والقضية واحدة!!
بل يرويه المحدث الواحد في الكتاب الواحد بأشكال، فاللفظ الذي ذكرناه عن النسائي هو أحد ألفاظه.
وبينما رواه بلفظ آخر عن بكير بن مسمار، قال: سمعت عامر بن سعد يقول: قال معاوية لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسب ابن أبي طالب؟!
قال: لا أسبه ما ذكرت ثلاثا قالهن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لئن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، لا أسبه ما ذكرت حين نزل الوحي عليه، فأخذ عليا وابنيه وفاطمة، فأدخلهم تحت ثوبه ثم قال: رب هؤلاء أهل بيتي - أو: أهلي -... " (٢).
ورواه بلفظ ثالث: إن معاوية ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال سعد بن أبي وقاص: والله لئن لي واحدة من خلال ثلاث أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.
لأن يكون قال لي ما قال له حين رده من تبوك: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، أحب إلي من أن يكون

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٧ / ٦٠.
(٢) خصائص أمير المؤمنين: ٨١.

لي ما طلعت عليه الشمس.
ولأن يكون قال لي ما قاله له يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، ليس بفرار، أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس.
ولأن يكون لي ابنته ولي منها من الولد ما له أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس " (١).
ورواه بلفظ رابع عن سعد، قال: " كنت جالسا فتنقصوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقلت: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول في علي خصالا ثلاث، لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم.
سمعته يقول: إنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.
وسمعته يقول: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.
وسمعته يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه " (٢).
وهو عند ابن ماجة باللفظ الآتي: " قدم معاوية في بعض حجاته، فدخل عليه سعد، فذكروا عليا، فنال منه، فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه.
وسمعته يقول: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي

---

(١) خصائص أمير المؤمنين: ١١٦.
(٢) خصائص أمير المؤمنين: ٤٩ - ٥٠.

بعدي.
وسمعته يقول: لأعطين الراية اليوم رجلا يحب الله ورسوله " (١).
أقول:
إنه إن أمكن حمل اختلاف ألفاظ الروايات في الخصال الثلاث على وجه صحيح، ولا يكون هناك تحريف - ومن هنا كان الأمر بالتأمل في بحثنا حول آية التطهير - فلا ريب في تحريف القوم للفظ في ناحية أخرى، وهي قضية سب أمير المؤمنين عليه السلام والنيل منه، خاصة مع السند الواحد!
فإن أحمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن عساكر (٢) كلهم اشتركوا في الرواية بسند واحد، فجاء عند غير أحمد: " أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟! فقال: أما ما ذكرت ثلاثا... سمعت... ".
لكن أحمد حذف ذلك كله وبدأ الحديث من " سمعت... " وكأنه لم تكن هناك أية مناسبة لكلام سعد هذا!!
أما الحاكم فيروي الخبر بنفس السند ويحذف المناسبة وخصلتين من الخصال الثلاث!!
والنسائي يحذف المناسبة في لفظ، ويقول: " إن معاوية ذكر علي بن أبي طالب، فقال سعد... "!!
وفي آخر يحذفها ويضع بدلها كلمة " كنت جالسا فتنقصوا علي بن

---

(١) سنن ابن ماجة ١ / ٤٥.
(٢) تاريخ دمشق - ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام - ١ / ٢٠٦ ح ٢٧١.

أبي طالب... "!!
وابن ماجة، قال: " قدم معاوية في بعض حجاته، فدخل عليه سعد، فذكروا عليا، فنال منه، فغضب سعد وقال... ".
فجاء ابن كثير وحذف منه " فنال منه، فغضب سعد " (١).
وفي (الفضائل) لأحمد: " ذكر علي عند رجل وعنده سعد بن أبي وقاص، فقال له سعد: أتذكر عليا؟! " (٢).
وأبو نعيم وبعضهم حذف القصة من أصلها، فقال: " عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله: في علي ثلاث خلال... " (٣).
هذا، والسبب في ذلك كله معلوم! إنهم يحاولون التغطية على مساوئ سادتهم ولو بالكذب والتزوير! ولقد أفصح عن ذلك بعضهم، كالنووي، حيث قال: " قال العلماء: الأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي يجب تأويلها، قالوا: ولا يقع في روايات الثقات إلا ما يمكن تأويله، فقول معاوية هذا ليس فيه تصريح بأنه أمر سعدا بسببه، وإنما سأله عن السبب المانع له من السب، كأنه يقول: هل امتنعت تورعا أو خوفا أو غير ذلك؟! فإن كان تورعا وإجلالا له عن السب فأنت مصيب محسن، وإن كان غير ذلك فله جواب آخر.
ولعل سعدا قد كان في طائفة يسبون فلم يسب معهم، وعجز عن الإنكار، وأنكر عليهم فسأله هذا السؤال.
قالوا: ويحتمل تأويلا آخرا، أن معناه: ما منعك أن تخطئه في رأيه

---

(١) تاريخ ابن كثير ٧ / ٣٤٠.
(٢) فضائل علي - لأحمد بن حنبل -: مخطوط.
(٣) حلية الأولياء ٤ / ٣٥٦.

واجتهاده، وتظهر للناس حسن رأينا واجتهادنا وأنه أخطأ؟ ". انتهى (١).
ونقله المباركفوري بشرح الحديث (٢).
أقول:
وهل ترتضي - أيها القارئ - هذا الكلام في مثل هذا المقام؟!
أولا: إن كان هناك مجال لحمل كلام المتكلم على الصحة وتأويله على وجه مقبول، فهذا لا يختص بكلام الصحابي دون غيره.
وثانيا: إذا كانت هذه قاعدة يجب اتباعها بالنسبة إلى أقوال الصحابة، فلماذا لا يطبقونها بالنسبة لكل الصحابة؟!
وثالثا: إذا كانت هذه القاعدة للأحاديث الواردة التي في ظاهرها دخل على صحابي! فلماذا يطبقونها في الأحاديث الواردة في فضل أمير المؤمنين عليه السلام، فلم يأخذوا بظواهرها، بل أعرضوا عن النصوص منها؟! ومنها حديث المباهلة، حيث لا تأويل فحسب، بل التعتيم والتحريف، كما سنرى في الفصل الآتي.
ورابعا: إن التأويل والحمل على الصحة إنما يكون حيث يمكن، وقولهم: " ليس فيه تصريح بأنه أمر سعدا بسببه، وإنما سأله " كذب، فقد تقدم في بعض النصوص التصريح ب " الأمر " و " النيل " و " التنقيص " وهذا كله مع تهذيب العبارة، كما لا يخفى.
بل ذكر ابن تيمية: أن معاوية أمر بسب علي (٣).

---

(١) المنهاج - شرح صحيح مسلم بن الحجاج - ١٥ / ١٧٥.
(٢) تحفة الأحوذي - شرح جامع الترمذي - ١٠ / ١٥٦.
(٣) منهاج السنة ٥ / ٤٢.

بل جاءت الرواية عن مسلم والترمذي على واقعها، ففي رواية القندوزي الحنفي عنهما، قال: " وعن سهل بن سعد، عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا أن يسب أبا التراب، قال: أما ما ذكرت ثلاثا.... أخرجه مسلم والترمذي " (١).

وخامسا: قولهم: " كأنه يقول... فإن كان تورعا... فأنت مصيب محسن " يكذبه ما جاء التصريح به في بعض ألفاظ الخبر من أن سعدا خرج من مجلس معاوية غضبان وحلف ألا يعود إليه!!

وعلى كل حال... فهذا نموذج من تلاعبهم بمساوئ أسيادهم، لإخفائها، وسترى - في الفصل اللاحق - نموذج تلاعبهم بفضائل علي عليه السلام، لإخفائها، وهذا دين القوم وديدنهم، حشرهم الله مع الذين يدافعون عنهم ويودونهم!!

* وروى ابن شبة، المتوفى سنة ٢٦٢، قال: " حدثنا الحزامي، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني الليث بن سعد، عن من حدثه، قال: جاء راهبا نجران إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يعرض عليهما الإسلام... قال: فدعاهما النبي إلى المباهلة وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، فقال أحدهما للآخر: قد أنصفك الرجل.

فقالا: لا نباهلك.

وأقرا بالجزية وكرها الإسلام " (٢).

---

(١) ينابيع المودة: ١٩٣.

(٢) تاريخ المدينة المنورة، المجلد ١ / ٥٨٣.

* وروى الحسين بن الحكم الحبري (١)، المتوفى سنة ٢٨٦، قال: " حدثني إسماعيل بن أبان، قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نزلت هذه الآية * (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) * قال: فخرج رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بعلي وفاطمة والحسن والحسين " (٢).

* وأخرج الطبري: " حدثنا ابن حميد، قال: ثنا عيسى بن فرقد، عن أبي الجارود، عن زيد بن علي، في قوله: * (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) * الآية، قال: كان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين ".

" حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السدي، * (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم) * الآية، فأخذ - يعني النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم - بيد الحسن والحسين وفاطمة، وقال لعلي: اتبعنا، فخرج معهم، فلم يخرج يومئذ النصارى وقالوا: إنا نخاف... ".

" حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: * (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من

---

(١) وهو أيضا في طريق الحاكم في " المستدرك ".

(٢) تفسير الحبري: ٢٤٨.

قال محققه - وهو العلامة السيد محمد رضا الحسيني الجلالي -: " الحديث عن أبي سعيد الخدري قد تفرد بنقله المؤلف، فلم يروه غيره من المؤلفين، بل ينحصر وجوده بنسختينا ولم يوجد في سائر النسخ ".

قلت: وما جاء في ذخائر العقبى، ص ٢٥: " عن أبي سعيد... " فغلط، بقرينة قوله في الآخر: أخرجه مسلم والترمذي، لأن الذي أخرجاه هو عن سعد.

العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) * قال: بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه [وآله] وسلم خرج ليلا عن أهل نجران، فلما رأوه خرج هابوا وفرقوا فرجعوا.

قال معمر: قال قتادة: لما أراد النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أهل نجران أخذ بيد حسن وحسين، وقال لفاطمة: اتبعينا، فلما رأى ذلك أعداء الله رجعوا ".

" حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنا ابن زيد، قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: لو لاعنت القوم، بمن كنت تأتي حين قلت * (أبناءنا وأبناءكم) *؟

قال: حسن وحسين ".

" حدثني محمد بن سنان، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا المنذر ابن ثعلبة، قال: ثنا علباء بن أحمر اليشكري، قال: لما نزلت هذه الآية: * (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم) * الآية، أرسل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى علي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين... " (١).

* وقال السيوطي: " أخرج البيهقي في (الدلائل) من طريق سلمة بن عبد يشوع، عن أبيه، عن جده: إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم كتب إلى أهل نجران... فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم الغد بعدما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملا على الحسن والحسين في خميلة له وفاطمة تمشي خلف ظهره، للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة... ".

---

(١) تفسير الطبري ٣ / ٢١٢ - ٢١٣.

" وأخرج الحاكم - وصححه - وابن مردويه، وأبو نعيم في (الدلائل) عن جابر، قال:... فغدا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين...
قال جابر: فيهم نزلت: * (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) * الآية.
قال جابر: * (أنفسنا وأنفسكم) *: رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وعلي. * (وأبناءنا) *: الحسن والحسين. * (ونساءنا) *: فاطمة ".
" وأخرج أبو نعيم في (الدلائل) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس:... وقد كان رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم خرج ومعه علي والحسن والحسين وفاطمة، فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: إن أنا دعوت فأمنوا أنتم. فأبوا أن يلاعنوه وصالحوه على الجزية ".
" وأخرج ابن أبي شيبة، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبو نعيم، عن الشعبي... فغدا النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ومعه الحسن والحسين وفاطمة... ".
" وأخرج مسلم، والترمذي، وابن المنذر، والحاكم، والبيهقي في سننه، عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما نزلت هذه الآية: * (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) * دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، وقال: اللهم هؤلاء أهلي " (١).
* وقال الزمخشري: " وروي أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالوا: حتى نرجع وننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب - وكان ذا رأيهم -: يا عبد المسيح!

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢ / ٣٨ - ٣٩.

ما ترى؟
فقال: والله لقد عرفتم – يا معشر النصارى – أن محمدا نبي مرسل، وقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم، ولئن فعلتم لنهلكن، فإن أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.
فأتى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمنوا.
فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى! إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة.
فقالوا: يا أبا القاسم! رأينا أن لا نباهلك، وأن نقرك على دينك ونثبت على ديننا.
قال: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم. فأبوا.
قال: فإني أناجزكم.
قالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا، على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة، ألف في صفر وألف في رجب، وثلاثين درعا عادية من حديد.
فصالحهم على ذلك، وقال: والذي نفسي بيده، إن الهلاك قد تدلى على أهل نجران، ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير، ولاضطرم عليهم

الوادي نارا، ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤوس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا.

وعن عائشة رضي الله عنها: إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم فاطمة، ثم علي، ثم قال: * (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) *.

فإن قلت: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا لتبيين الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه، فما معنى ضم الأبناء والنساء؟

قلت: ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة.

وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل، ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب، ويسمون الذادة عنها بأرواحهم حماة الظعائن.

وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها.

وفيه دليل لا شئ أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام.

وفيه برهان واضح على نبوة النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، لأنه

لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا إلى ذلك " (١).
* وروى ابن الأثير حديث سعد في الخصال الثلاثة، بإسناده عن الترمذي (٢).
وأرسله في تاريخه إرسال المسلم، قال: " وأما نصارى نجران فإنهم أرسلوا العاقب والسيد في نفر إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، وأرادوا مباهلته، فخرج رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين، فلما رأوهم قالوا: هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها، ولم يباهلوه، وصالحوه على ألفي حلة، ثمن كل حلة أربعون درهما، وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله. وجعل لهم ذمة الله تعالى وعهده ألا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا، وشرط عليهم أن لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به " (٣).
* وروى الحاكم الحسكاني بإسناده: " عن أبي إسحاق السبيعي، عن صلة بن زفر، عن حذيفة بن اليمان، قال: جاء العاقب والسيد - أسقفا نجران - يدعوان النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى الملاعنة، فقال العاقب للسيد: إن لاعن بأصحابه فليس بنبي، وإن لاعن بأهل بيته فهو نبي.
فقام رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فدعا عليا فأقامه عن يمينه، ثم دعا الحسن فأقامه على يساره، ثم دعا الحسين فأقامه عن يمين علي، ثم دعا فاطمة فأقامها خلفه.
فقال العاقب للسيد: لا تلاعنه، إنك إن لاعنته لا نفلح نحن ولا أعقابنا

---
(١) الكشاف ١ / ٣٦٩ - ٣٧٠.
(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤ / ٢٦.
(٣) الكامل في التاريخ ٢ / ٢٩٣.

فقال رسول الله: لو لاعنوني ما بقيت بنجران عين تطرف " (١).
أقول:
وهذا نفس السند عند البخاري عن حذيفة، لكنه حذف من الخبر ما يتعلق ب " أهل البيت " ووضع مكانه فضيلة ل " أبي عبيدة " وسيأتي في الفصل اللاحق فانتظر!!
* وقال ابن كثير: " وقال أبو بكر ابن مردويه: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن داود المكي، حدثنا بشر بن مهران، حدثنا محمد ابن دينار، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن جابر، قال:... فغدا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين... قال جابر: وفيهم نزلت...
وهكذا رواه الحاكم في مستدركه... ثم قال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه هكذا.
قال: وقد رواه أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن المغيرة، عن الشعبي، مرسلا. وهذا أصح.
وقد روي عن ابن عباس والبراء نحو ذلك " (٢).
ولكنه - في (التاريخ) - ذكر أولا حديث البخاري المبتور! ثم روى القصة عن البيهقي، عن الحاكم بإسناده عن سلمة بن عبد يشوع، عن أبيه، عن جده، وليس فيه ذكر لعلي عليه السلام، كما سيأتي.

---

(١) شواهد التنزيل ١ / ١٢٦.
(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣١٩.

* وقال القاري بشرح الحديث: " عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما نزلت هذه الآية - أي المسماة بآية المباهلة - * (ندع أبناءنا وأبناءكم) * أولها * (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) * دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عليا، فنزله منزلة نفسه لما بينهما من القرابة والأخوة، وفاطمة، أي لأنها أخص النساء من أقاربه، وحسنا وحسينا، فنزلهما منزلة ابنيه صلى الله عليه [وآله] وسلم، فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي، أي: أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. رواه مسلم " (١).

كلمات حول السند:

ولنورد نصوص عبارات لبعض أئمة القوم في قطعية هذا الخبر:

قال الحاكم: " وقد تواترت الأخبار في التفاسير، عن عبد الله بن عباس وغيره، أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أخذ يوم المباهلة بيد علي وحسن وحسين، وجعلوا فاطمة وراءهم، ثم قال: هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا، فهلموا أنفسكم وأبناءكم ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين " (٢).

وقال الجصاص: " إن رواة السير ونقلة الأثر لم يختلفوا في أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أخذ بيد الحسن والحسين وعلي وفاطمة رضي الله عنهم، ودعا النصارى الذين حاجوه إلى المباهلة... " (٣).

---

(١) المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ٥٨٩.

(٢) معرفة علوم الحديث: ٥٠.

(٣) أحكام القرآن ٢ / ١٦.

وقال ابن العربي المالكي: " روى المفسرون أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ناظر أهل نجران حتى ظهر عليهم بالدليل والحجة، فأبوا الانقياد والإسلام، فأنزل الله هذه الآية، فدعا حينئذ عليا وفاطمة والحسن والحسين، ثم دعا النصارى إلى المباهلة " (١).

وقال ابن طلحة الشافعي: " أما آية المباهلة، فقد نقل الرواة الثقات والنقلة الأثبات نزولها في حق علي وفاطمة والحسن والحسين " (٢).

واعترف القاضي الأيجي والشريف الجرجاني بدلالة الأخبار الصحيحة والروايات الثابتة عند أهل النقل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليا وفاطمة وابنيهما فقط، وستأتي عبارتهما كاملة في فصل الدلالة.

* * *

---

(١) أحكام القرآن ١ / ١١٥. ط السعادة بمصر، وفي الطبعة الموجودة عندي ١ / ٣٦٠ لا يوجد اسم علي، فليتحقق.

(٢) مطالب السؤول: ٧.

الفصل الثاني
في قصة المباهلة
إنه لما كان الغرض الأهم للعلماء، من متكلمين ومفسرين ومحدثين، هو بيان سبب نزول الآية المباركة وذكر الحديث الوارد فيها، وما في ذلك من دلالات... فإنهم لم يتعرضوا لشرح الواقعة ورواية جزئياتها، ومن تعرض منهم لها - كالزمخشري مثلا - فقد اكتفى بنقل القدر المحتاج إليه في نظره!!
إلا أنا رأينا من المناسب إيراد القصة بشئ من التفصيل، لما فيها من الفوائد المهمة، ثم نعقب ذلك بما وقع عليه الصلح، وببعض المسنونات المروية عن أئمة أهل البيت عليهم أفضل الصلوات والتسليمات، في يوم المباهلة.
ولعل ما يرويه السيد الجليل، الجامع بين العلم والعمل، العلامة السيد ابن طاووس الحلي هو أجمع الروايات لخبر القصة، وهذا نصه مع بعض التلخيص بلفظه، قال رحمه الله:
" الباب السادس: في ما يتعلق بمباهلة سيد أهل الوجود لذوي الجحود، الذي لا يساوى ولا يجازى، وظهور حجته على النصارى والحيارى، وإن في يوم مثله تصدق أمير المؤمنين عليه السلام بالخاتم، ونذكر ما نعمل من المراسم، وفيه فصول:
فصل: في ما نذكره من إنفاذ النبي صلوات الله عليه وآله وسلم

لرسله إلى نصارى نجران ومناظرتهم فيما بينهم وظهور تصديقه في ما ادعاه، روينا ذلك بالأسانيد الصحيحة والروايات الصريحة إلى أبي المفضل محمد بن عبد المطلب الشيباني رحمه الله من كتاب (المباهلة)، ومن أصل كتاب الحسن بن إسماعيل بن أشناس من كتاب عمل ذي الحجة، في ما رويناه بالطرق الواضحة، عن ذوي الهمم الصالحة، لا حاجة إلى ذكر أسمائهم، لأن المقصود ذكر كلامهم، قالوا:

لما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة وانقادت له العرب، وأرسل رسله ودعاته إلى الأمم، وكاتب الملكين كسرى وقيصر يدعوهما إلى الإسلام وإلا أقرا بالجزية والصغار، وإلا أذنا بالحرب العوان، أكبر شأنه نصارى نجران وخلطاؤهم، من بني عبد المدان وجميع بني الحرث بن كعب ومن ضوي إليهم ونزل بهم من دهماء الناس - على اختلافهم هناك في دين النصرانية من الأروسية، والنالوسية، وأصحاب دين الملك، والمارونية، والعباد، والنسطورية - وأملأت قلوبهم - على تفاوت منازلهم - رهبة منه ورعبا.

فإنهم كذلك من شأنهم، إذ وردت عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وآله بكتابه، وهم: عتبة بن غزوان، وعبد الله بن أبي أمية، والهدير بن عبد الله أخو تيم بن مرة، وصهيب بن سنان أخو النمر بن قاسط، يدعوهم إلى الإسلام، فإن أجابوا فإخوان، وإن أبوا واستكبروا فإلى الخطة المخوفة إلى أداء الجزية عن يد، فإن راغبوا عما دعاهم إليه من أحد المنزلتين وعندوا فقد آذنهم على سواء، وكان في كتابه صلى الله عليه وآله: * (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا

اشهدوا بأنا مسلمون) * (١).
قالوا: وكان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقاتل قوما حتى يدعوهم.
فازداد القوم لورود رسل نبي الله صلى الله عليه وآله وكتابه نفورا وامتراجا، ففزعوا لذلك إلى بيعتهم العظمى، وأمروا ففرش أرضها وألبس جدرها بالحرير والديباج، ورفعوا الصليب العظيم، وكان من ذهب مرصع أنفذه إليهم القيصر الأكبر، وحضر ذلك بني الحرث بن الكعب، وكانوا ليوث الحرب وفرسان الناس، قد عرفت العرب ذلك لهم في قديم أيامهم وفي الجاهلية، فاجتمع القوم جميعا للمشورة والنظر في أمورهم، وأسرعت إليهم القبائل من مذحج وعك وحمير وأنمار، ومن دنا منهم نسبا ودارا من قبائل سبأ، وكلهم قد ورم أنفه غضبا من لقومهم، ونكص من تكلم منهم بالإسلام ارتدادا، فخاضوا وأفاضوا في ركز المسير بنفسهم وجمعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، والنزول به بيثرب لمناجزته.
فلما رأى أبو حارثة حصين بن علقمة - أسقفهم الأول وصاحب مدارسهم وعلامهم، وكان رجلا من بني بكر بن وائل - ما أزمع القوم عليه من إطلاق الحرب، دعا بعصابة فرفع بها حاجبيه عن عينيه - وقد بلغ يومئذ عشرين ومائة سنة - ثم قام فيهم خطيبا معتمدا على عصا - وكانت فيه بقية، وله رأي وروية، وكان موحدا يؤمن بالمسيح عليه السلام وبالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويكتم إيمانه ذلك من كفرة قومه وأصحابه - فقال:

---

(١) سورة آل عمران ٣: ٦٤.

مهلا بني عبد المدان مهلا، استديموا العافية والسعادة، فإنهما مطويان في الهوادة، دبوا إلى قوم في هذا الأمر دبيب الذر، وإياكم والسورة العجلي، فإن البديهة بها لا ينجب، إنكم - والله - على فعل ما لم تفعلوا أقدر منكم على رد ما فعلتم، ألا إن النجاة مقرونة بالأناة، ألا رب إحجام أفضل من إقدام، وكائن من قول أبلغ من صول، ثم أمسك.

فأقبل عليه كرز بن سبرة الحارثي - وكان يومئذ زعيم بني الحارث بن كعب وفي بيت شرفهم والمعصب فيهم، وأمير حروبهم - فقال: لقد انتفخ سحرك واستطير قلبك أبا حارثة، فظلت كالمسبوع النزاعة المهلوع، تضرب لنا الأمثال، وتخوفنا النزال، لقد علمت - وحق المنان - بفضيلة الحفاظ بالنوء بالعبء وهو عظيم، وتلقح الحرب وهو عقيم، تثقف إود الملك الجبار، ولنحن أركان الرائش وذوو المنار، الذين شددنا ملكهما، وأمرنا مليكهما، فأي أيامنا ينكر؟! أم لأيها - ويك - تلمز؟! فما أتى على آخر كلامه حتى انتظم نصل نبلة كانت في يده بكفه غيظا وهو لا يشعر.

فلما أمسك كرز بن سبرة، أقبل عليه العاقب - واسمه عبد المسيح بن شرحبيل، وهو يومئذ عميد القوم، وأمير رأيهم، وصاحب مشورتهم، الذي لا يصدرون جميعا إلا عن قوله - فقال له:

أفلح وجهك، وآنس ربعك، وعز جارك، وامتنع ذمارك، ذكرت - وحق مغبرة الجباه - حسبا صميما، وعيصا كريما، وعزا قديما، ولكن - أبا سبرة - لكل مقام مقال، ولكل عصر رجال، والمرء بيومه أشبه منه بأمسه، وهي الأيام تهلك جيلا وتديل قبيلا، والعافية أفضل جلباب، وللآفات أسباب، فمن أوكد أسبابها التعرض لأبوابها. ثم صمت العاقب مطرقا.

فأقبل عليه السيد – واسمه أهتم بن النعمان، وهو يومئذ أسقف نجران، وكان نظير العاقب في علو المنزلة، وهو رجل من عاملة، وعداده في لخم – فقال له: سعد جدك، وسما جدك أبا وائلة، إن لكل لامعة ضياء، وعلى كل صواب نورا، ولكن لا يدركه – وحق واهب العقل – إلا من كان بصيرا، إنك أفضيت وهذان فيما تصرف بكما الكلم إلى سبيلي حزن وسهل، ولكل على تفاوتكم حظ من الرأي الربيق والأمر الوثيق إذا أصيب به مواضعه.

ثم إن أخا قريش قد نجدكم لخطب عظيم وأمر جسيم، فما عندكم فيه قولوا وانجزوا، أبخوع وإقرار؟ أم نزوع؟!

قال عتبة والهدير والنفر من أهل نجران: فعاد كرز بن سبرة لكلامه – وكان كميا أبيا – فقال:

أنحن نفارق دينا رسخت عليه عروقنا، ومضى عليه آباؤنا، وعرف ملوك الناس ثم العرب ذلك منا؟! أنتهالك إلى ذلك أم نقر بالجزية وهي الخزية حقا؟! لا والله حتى نجرد البواتر من أغمادها، وتذهل الحلائل عن أولادها، أو نشرق نحن ومحمد بدمائنا، ثم يديل الله عز وجل بنصره من يشاء.

قال له السيد: أربع على نفسك وعلينا أبا سبرة، فإن سل السيف يسل السيوف، وإن محمدا قد بخعت له العرب وأعطته طاعتها، وملك رجالها وأعنتها، وجرت أحكامه في أهل الوبر منهم والمدر، ورمقه الملكان العظيمان كسرى وقيصر، فلا أراكم – والروح – لو نهد لكم إلا وقد تصدع عنكم من خف معكم من هذه القبائل، فصرتم جفاء كأمس الذاهب، أو كلحم على وضم.

وكان فيهم رجل يقال له: جهير بن سراقة البارقي – من زنادقة نصارى العرب، وكان له منزلة من ملوك النصرانية، وكان مثواه بنجران – فقال له: أبا سعد قل في أمرنا وأنجدنا برأيك، فهذا مجلس له ما بعده.
فقال: فإني أرى لكم أن تقاربوا محمدا وتعطوه في بعض ملتمسه عندكم، ولينطلق وفودكم إلى ملوك أهل ملتكم، إلى الملك الأكبر بالروم قيصر، وإلى ملوك هذه الجلدة السوداء الخمسة – يعني ملوك السودان: ملك النوبة، وملك الحبشة، وملك علوه، وملك الرعا، وملك الواحات، ومريس، والقبط، وكل هؤلاء كانوا نصارى –.
قال: وكذلك من ضوي إلى الشام وحل بها من ملوك غسان، ولخم، وجذام، وقضاعة، وغيرهم من ذوي يمنكم، فهم لكم عشيرة وموالي ومآل، وفي الدين إخوان – يعني أنهم نصارى – وكذلك نصارى الحيرة من العباد وغيرهم، فقد صبت إلى دينهم قبائل تغلب نبت وائل وغيرهم من ربيعة بن نزار.
لتسير وفودكم، ثم لتخرق إليهم البلاد آغذاذا فيستصرخونهم لدينكم، فيستنجدكم الروم، وتسير إليكم الأساودة مسير أصحاب الفيل، وتقبل إليكم نصارى العرب من ربيعة اليمن.
فإذا وصلت الأمداد واردة سرتم أنتم في قبائلكم وسائر من ظافركم وبذل نصره ومؤازرته لكم، حتى تضاهئون من أنجدكم وأصرخكم من الأجناس والقبائل الواردة عليكم، فأموا محمدا حتى تبيتوا جميعا، فسيعتق إليكم وافدا لكم من صبا إليه مغلوبا مقهورا، وينعتق به من كان منهم في مدرته مكثورا، فيوشك أن تصطلموا حوزته، وتطفئوا جمرته، ويكون لكم بذلك الوجه والمكان في الناس، فلا تتمالك العرب حينئذ حتى تتهافت

دخولا في دينكم، ثم لتعظمن بيعتكم هذه، ولتشرفن حتى تصير كالكعبة المحجوجة بتهامة.
هذا الرأي فانتهزوه، فلا رأي لكم بعده.
فأعجب القوم كلام جهير بن سراقة، ووقع منهم كل موقع، فكاد أن يتفرقوا على العمل به، وكان فيهم رجل من ربيعة بن نزار من بني قيس بن ثعلبة، يدعى حارثة بن أثاك، على دين المسيح عليه السلام، فقام حارثة على قدميه وأقبل على جهير، وقال متمثلا:
متى ما تقد بالباطل الحق بابه * وإن قدرت بالحق الرواسي ينقد
إذا ما أتيت الأمر من غير بابه * ضللت وإن تقصد إلى الباب تهتد
ثم استقبل السيد والعاقب والقسيسين والرهبان وكافة نصارى نجران بوجهه، لم يخلط معهم غيرهم، فقال: سمعا سمعا يا أبناء الحكمة، وبقايا حملة الحجة، إن السعيد والله من نفعته الموعظة، ولم يعش عن التذكرة، ألا وإني أنذركم وأذكركم قول مسيح الله عز وجل.
ثم شرح وصيته ونصه على وصيه شمعون بن يوحنا، وما يحدث على أمته من الافتراق، ثم ذكر عيسى عليه السلام، وقال: إن الله جل جلاله أوحى إليه:
فخذ يا بن أمتي كتابي بقوة، ثم فسره لأهل سوريا بلسانهم،
وأخبرهم إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم، البديع الدائم، الذي لا أحول ولا أزول، وإني بعثت رسلي وأنزلت كتبي رحمة ونورا وعصمة لخلقي، ثم إني باعث بذلك نجيب رسالتي، أحمد، صفوتي من بريتي، الفارقليطا عبدي، أرسله في خلو من الزمان، أبتعثه بمولده فاران، من مقام أبيه إبراهيم عليه السلام، أنزل عليه توراة حديثة، أفتح بها أعينا عميا، وآذانا

صما، وقلوبا غلفا، طوبى لمن شهد أيامه، وسمع كلامه، فآمن به واتبع النور الذي جاء به.
فإذا ذكرت يا عيسى ذلك النبي فصل عليه فإني وملائكتي نصلي عليه.
قال: فما أتى حارثة بن أثاك على قوله هذا حتى اظلم بالسيد والعاقب مكانهما، وكرها ما قام به في الناس معربا ومخبرا عن المسيح عليه السلام بما أخبر وأقدم من ذكر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، لأنهما كانا قد أصابا بموضعهما من دينهما شرفا بنجران، ووجها عند ملوك النصرانية جميعا، وكذا عند سوقتهم وعربهم في البلاد، فأشفقا أن يكون ذلك سببا لانصراف قومهما عن طاعتهما لدينهما، وفسخا لمنزلتهما في الناس.
فأقبل العاقب على حارثة فقال: أمسك عليك يا حار، فإن راد هذا الكلام عليك أكثر من قابله، ورب قول يكون بلية على قائله، وللقلوب نفرات عند الإصداع بمظنون الحكمة، فاتق نفورها، فلكل نبأ أهل، ولكل خطب محل، وإنما الدرك ما أخذ لك بمواضي النجاة وألبسك جنة السلامة، فلا تعدلن بهما حظا، فإني لم آلك - لا أبا لك - نصحا. ثم أرم يعني أمسك.
فأوجب السيد أن يشرك العاقب في كلامه، فأقبل على حارثة، فقال:
إني لم أزل أتعرف لك فضلا تميل إليه الألباب، فإياك أن تقعد مطية اللجاج، وأن ترجف إلى السراب، فمن عذر بذلك فلست فيه أيها المرء بمعذور، وقد أغفلك أبو واثلة وهو ولي أمرنا وسيد حضرنا عتابا، فأوله

اعتبارا. ثم تعلم أن ناجم قريش - يعني رسول الله صلى الله عليه وآله - يكون رزؤه قليلا ثم ينقطع ويخلو.
إن بعد ذلك قرنا يبعث في آخره النبي المبعوث بالحكمة والبيان، والسيف والسلطان، ويملك ملكا مؤجلا تطبق فيه أمته المشارق والمغارب، ومن ذريته الأمير الظاهر، يظهر على جميع الملكات والأديان، ويبلغ ملكه ما طلع عليه الليل والنهار، وذلك - يا حار - أمل من ورائه أمد ومن دونه أجل، فتمسك من دينك بما تعلم وتمنع - لله أبوك - من أنس متصرم بالزمان أو لعارض من الحدثان، فإنما نحن ليومنا ولغد أهله.
فأجابه حارثة بن أثاك، فقال: إيها عليك أبا قرة! فإنه لاحظ في يومه لمن لا درك له في غدوه، اتق الله تجد الله جل وتعالى بحيث لا مفزع إلا إليه، وعرضت مشيدا بذكر أبي واثلة، فهو العزيز المطاع، الرحب الباع، وإليكما معا يلقى الرحل، فلو أضربت التذكرة عن أحد لتبزيز فضل لكنتماه، لكنها أبكار الكلام تهدى لأربابها، ونصيحة كنتما أحق من أصغى لها، إنكما مليكا ثمرات قلوبنا، ووليا طاعتنا في ديننا فالكيس الكيس - يا أيها المعظمان - عليكما به، أرمقا ما يدهكما نواحيه وأهجرا التسويف في ما أنتما بعرضه، آثرا الله في ما كان يؤثركما بالمزيد من فضله، ولا تخلدا في ما أظلكما إلى الونية، فإنه من أطال عنان الأمر أهلكته الغرة، ومن اقتعد مطية الحذر كان بسبيل آمن من المتالف، ومن استنصح عقله كانت العبرة له لا به، ومن نصح لله عز وجل آنسه الله جل وتعالى بعز الحياة وسعادة المنقلب.
ثم أقبل على العاقب معاتبا فقال:
وزعمت - أبا واثلة - أن راد ما قلت أكثر من قائله، وأنت لعمر الله

حري ألا يؤثر هذا عنك، فقد علمت وعلمنا أمة الإنجيل معا بسيرة ما قام به المسيح عليه السلام في حواريه ومن آمن له من قومه، وهذه منك فهة لا يرحضها إلا التوبة والإقرار بما سبق به الإنكار.

فلما أتى على هذا الكلام صرف إلى السيد وجهه، فقال: لا سيف إلا ذو نبوة ولا عليم إلا ذو هفوة، فمن نزع عن وهلة وأقلع فهو السعيد الرشيد، وإنما الآفة في الإصرار، وأعرضت بذكر نبيين يخلقان بعد ابن البتول، فأين يذهب بك عما خلا في الصحف من ذكرى ذلك؟! ألم تعلم ما أنبأ به المسيح عليه السلام في بني إسرائيل؟! وقوله لهم: كيف بكم إذا ذهب بي إلى أبي وأبيكم وخلف بعد إعصار يخلو من بعدي وبعدكم صادق وكاذب؟!

قالوا: ومن هما يا مسيح الله؟

قال: نبي من ذرية إسماعيل عليهما السلام صادق، ومتنبئ من بني إسرائيل كاذب، فالصادق منبعث منهما برحمة وملحمة، يكون له الملك والسلطان ما دامت الدنيا، وأما الكاذب فله بند يذكر به المسيح الدجال يملك فواقا ثم يقتله الله بيدي إذا رجع بي.

قال حارثة: وأحذركم يا قوم أن يكون من قبلكم من اليهود أسوة لكم، إنهم أنذروا بمسيحين، مسيح رحمة وهدى، ومسيح ضلالة، وجعل لهم على كل واحد منهما آية وأمارة، فجحدوا مسيح الهدى وكذبوا به، وآمنوا بمسيح الضلالة الدجال، وأقبلوا على انتظاره وأضربوا في الفتنة وركبوا نصحها، ومن قبل ما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وقتلوا أنبياءه والقوامين بالقسط من عباده، فحجب الله عز وجل عنهم البصيرة بعد التبصرة بما كسبت أيديهم، ونزع ملكهم منهم ببغيهم وألزمهم الذلة

والصغار، وجعل منقلبهم إلى النار.
قال العاقب: فما أشعرك – يا حار – أن يكون هذا النبي المذكور في الكتب هو قاطن يثرب، ولعله ابن عمك صاحب اليمامة، فإنه يذكر من النبوة ما يذكر منها أخو قريش، وكلاهما من ذرية إسماعيل، ولجميعهما أتباع وأصحاب يشهدون بنبوته، ويقرون له برسالته، فهل تجد بينهما في ذلك من فاصلة فتذكرها؟
قال حارثة: أجل والله أجدها والله أكبر، وأبعد مما بين السحاب والتراب، وهي الأسباب التي بها وبمثلها تثبت حجة الله في قلوب المعتبرين من عباده لرسله وأنبيائه.
وأما صاحب اليمامة فيكفيك فيه ما أخبركم به سفهاؤكم وغيركم، والمنتجعة منكم أرضه، ومن قدم من أهل اليمامة عليكم، ألم يخبركم جميعا عن رواد مسيلمة وسماعيه، ومن أوفده صاحبهم إلى أحمد بيثرب فعادوا إليه جميعا بما تعرفوا هناك في بني قيلة وتبينوا به؟!
قالوا: قدم علينا أحمد يثرب وبيارنا ثماد، ومياهنا ملحة، وكنا من قبله لا نستطيب ولا نستعذب، فبصق في بعضها ومج في بعض، فعادت عذابا محلولية، وجاش منها ما كان ماؤها ثمادا فحار بحرا.
قالوا: وتفل محمد في عيون رجال ذوي رمد، وعلى كلوم رجال ذوي جراح، فبرئت لوقته عيونهم فما اشتكوها واندملت جراحهم فما ألموها، في كثير مما أدوا ونبؤوا عن محمد صلى الله عليه وآله من دلالة وآية.
وأرادوا صاحبهم مسيلمة على بعض ذلك، فأنعم لهم كارها، وأقبل بهم إلى بعض بيارهم فمج فيها وكانت الركى معذوذبة فحارت ملحا لا

يستطاع شرابه، وبصق في بئر كان ماؤها وشلا فعادت فلم تبض بقطرة من ماء، وتفل في عين رجل كان بها رمد فعميت، وعلى جراح - أو قالوا: جراح آخر - فاكتسى جلده برصا.
فقالوا لمسيلمة في ما أبصروا في ذلك منه، واستبرؤوه.
فقال: ويحكم بئس الأمة أنتم لنبيكم والعشيرة لابن عمكم أن كنتم تحيفوني يا هؤلاء من قبل أن يوحى إلي في شئ مما سألتم، والآن فقد أذن لي في أجسادكم وأشعاركم دون بياركم ومياهكم، هذا لمن كان منكم بي مؤمنا، وأما من كان مرتابا فإنه لا يزيده تفلتي عليه إلا بلاء، فمن شاء الآن منكم فليأت لأتفل في عينه وعلى جلده.
قالوا: ما فينا - وأبيك - أحد يشاء ذلك، إنا نخاف أن يشمت بك أهل يثرب، وأضربوا عنه حمية لنسبه فيهم وتذمما لمكانه منهم.
فضحك السيد والعاقب حتى فحصا الأرض بأرجلهما، وقالا: ما النور والظلام والحق والباطل بأشد بيانا وتفاوتا مما بين هذين الرجلين صدقا وكذبا.
قالوا: وكان العاقب أحب - مع ما تبين من ذلك - أن يشيد ما فرط من تقريظه مسيلمة ويوثل منزلته ليجعل لرسول الله صلى الله عليه وآله كفؤا، استظهارا بذلك في بقاء عزه وما طار له من السمو في أهل ملته، فقال: ولئن فخر أخو بني حنيفة في زعمه أن الله عز وجل أرسله، وقال من ذلك ما ليس له بحق، فلقد بر في أن نقل قومه من عبادة الأوثان إلى الإيمان بالرحمن.
قال حارثة: أنشدك بالله الذي دحاها، وأشرق باسمه قمراها، هل تجد في ما أنزل الله عز وجل في الكتب السابقة: يقول الله عز وجل: أنا الله

لا إله إلا أنا ديان يوم الدين، أنزلت كتبي وأرسلت رسلي لأستنقذ بهم عبادي من حبائل الشيطان، وجعلتهم في بريتي وأرضي كالنجوم الدراري في سمائي، يهدون بوحيي وأمري، من أطاعهم أطاعني، ومن عصاهم فقد عصاني، وإني لعنت وملائكتي في سمائي وأرضي واللاعنون من خلقي من جحد ربوبيتي، أو عدل بي شيئا من بريتي، أو كذب بأحد من أنبيائي ورسلي، أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شئ، أو غمص سلطاني، أو تقمصه متبرئا، وأكمه عبادي وأضلهم عني، ألا وإنما يعبدني من عرف ما أريد في عبادتي وطاعتي من خلقي، فمن لم يقصد إلي من السبيل التي نهجتها برسلي لم يزدد في عبادته مني إلا بعدا.

قال العاقب: رويدك، فأشهد لقد نبأت حقا.

قال حارثة: فما دون الحق من مقنع، وما بعده لامرئ مفزع، ولذلك قلت الذي قلت.

فاعترضه السيد – وكان ذا مجال وجدال شديد – فقال: ما أحرى وما أرى أخا قريش مرسلا إلا إلى قومه بني إسماعيل دينه، وهو مع ذلك يزعم أن الله عز وجل أرسله إلى الناس جميعا.

قال حارثة: أفتعلم أنت يا أبا قرة أن محمدا مرسل من ربه إلى قومه خاصة؟!

قال: أجل.

قال: أتشهد له بذلك؟!

قال: ويحك، وهل يستطاع دفع الشواهد؟! نعم، أشهد غير مرتاب بذلك، وبذلك شهدت له الصحف الدارسة والأنباء الخالية.

فأطرق حارثة ضاحكا ينكت الأرض بسبابته.

قال السيد: ما يضحكك يا ابن أثاك.
قال: عجبت فضحكت.
قال: أو عجب ما تسمع؟!
قال: نعم، العجب أجمع، أليس - بالإله - بعجيب من رجل أوتي أثرة من علم وحكمة يزعم أن الله عز وجل اصطفى لنبوته، واختص برسالته، وأيد بروحه وحكمته، رجلا خراصا يكذب عليه ويقول: أوحى إلي ولم يوح إليه، فيخلط كالكاهن كذبا بصدق، وباطلا بحق!
فارتدع السيد وعلم أنه قد وهل فأمسك محجوجا.
قالوا: وكان حارثة بنجران حثيثا - يعني غريبا - فأقبل عليه العاقب وقد قطعه ما فرط إلى السيد من قوله، فقال له: عليك أخا بني قيس بن ثعلبة، واحبس عليك ذلق لسانك وما لم تزل تستخم لنا من مثابة سفهك، فرب كلمة ترفع صاحبها رأسا قد ألقته في قعر مظلمة، ورب كلمة لامت ورابت قلوبا نغلة، فدع عنك ما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك ما ليس لنا اعتذاره.
ثم قال: وذكرت أخا قريش وما جاء به من الآيات والنذر، فأطلت وأعرضت، ولقد برزت، فنحن بمحمد عالمون، وبه جدا موقنون، شهدت لقد انتظمت له الآيات والبينات، سالفها وآنفها إلا آية هي أسعاها وأشرفها، وإنما مثلها في ما جاء به كمثل الرأس للجسد، فما حال جسد لا رأس له؟! فامهل رويدا نتجسس الأخبار ونعتبر الآثار، ولنستشف ما ألفينا مما أفضى إلينا، فإن آنسنا الآية الجامعة الخاتمة لديه فنحن إليه أسرع وله أطوع، وإلا فأعلم ما نذكر به النبوة والسفارة عن الرب الذي لا تفاوت في أمره، ولا تغاير في حكمه.

قال له حارثة: قد ناديت فأسمعت، وفزعت فصدعت، وسمعت وأطعت، فما هذه الآية التي أوحش بعد الأنسة فقدها، وأعقب الشك بعد البينة عدمها؟

قال له العاقب: قد أثلجك أبو قرة بها فذهبت عنها في غير مذهب، وجاورتها فأطلت في غير ما طائل وحاورتنا.

قال حارثة: وإلى ذلك فحلها الآن لي فداك أبي وأمي.

قال العاقب: أفلح من سلم للحق وصدع به، ولم يرغب عنه وقد أحاط به علما، فقد علمنا وعلمت من أنباء الكتب المستودعة علم القرون، وما كان وما يكون، فإنها استهلت بلسان كل أمة منهم معربة مبشرة ومنذرة بأحمد النبي العاقب، الذي تطبق أمته المشارق والمغارب.

قالوا: وكان هذا مجلسا ثالثا في يوم ثالث من اجتماعهم للنظر في أمرهم، فقال السيد: يا حارثة! ألم ينبئك أبو واثلة بأفصح لفظ اخترق أذنا، ودعا ذلك بمثله مخبرا، فألقاك مع غرمائك بموارده حجرا، وها أنا ذا أؤكد عليك التذكرة بذلك من معدن ثالث.

فأنشدك الله وما أنزل إلى كلمته من كلماته، هل تجد في الزاجرة المنقولة من لسان أهل سوريا إلى لسان العرب - يعني صحيفة شمعون بن حمون الصفا التي توارثها عنه أهل النجران -؟

قال السيد: ألم يقل بعد بند طويل من كلام: فإذا طبقت وقطعت الأرحام، وعفت الأعلام، بعث الله عبده الفارقليطا بالرحمة والمعدلة.

قالوا: وما الفارقليطا يا روح الله؟

قال: أحمد النبي الخاتم الوارث ذلك الذي يصلى عليه حيا ويصلى عليه بعدما يقبضه إليه، بابنه الطاهر الخائر، ينشره الله في آخر الزمان بعدما

انقضت عرى الدين، وخبت مصابيح الناموس، فأفلت نجومه، فلا يلبث ذلك العبد الصالح إلا أمما حتى يعود الدين به كما بدأ، ويقر الله عز وجل سلطانه في عبده ثم في الصالحين من عقبه، وينشر منه حتى يبلغ ملكه منقطع التراب.

قال حارثة: كل ما قد أنشدتما حق، لا وحشة مع الحق، ولا أنس في غيره، فمه؟

قال السيد: فإن من الحق أن لاحظ في هذه الأكرومة للأبتر.

قال حارثة: إنه لكذلك، أليس بمحمد؟!

قال السيد: إنك ما عملت إلا لدا، ألم يخبرنا سفرنا وأصحابنا في ما تجسسنا من خبره أن ولديه الذكرين القرشية والقبطية بادا - يعني هلكا - وغودر محمد كقرن الأعضب موف على ضريحه، فلو كان له بقية لكان لك بذلك مقالا إذا ولت أنباؤه الذي يذكر.

قال حارثة: العبر - لعمرو الله - كثيرة والاعتبار بها قليل، والدليل موف على سنن السبيل إن لم يعش عنه ناظر، وكما أن أبصار الرمدة لا تستطيع النظر في قرص الشمس لسقمها، فكذلك البصائر القصيرة لا تتعلق بنور الحكمة لعجزها، ألا ومن كان كذلك فلستماه - وأشار إلى السيد والعاقب -.

إنكما - ويمين الله - لمحجوجين بما آتاكما الله عز وجل من ميراث الحكمة واستودعكما من بقايا الحجة، ثم بما أوجب لكما من الشرف والمنزلة في الناس، فقد جعل الله عز وجل من آتاه سلطانا ملوكا على الناس وأربابا، وجعلكما حكما وقواما على ملوك ملتنا وذادة لهم، يفزعون إليكما في دينهم ولا تفزعان إليهم، وتأمرانهم فيأتمرون لكما وحق لكل

ملك أو موطأ الأكتاف أن يتواضع لله عز وجل إذ رفعه، وأن ينصح لله عز وجل في عباده ولا يدهن في أمره، وذكرتما محمدا بما حكمت له الشهادات الصادقة، وبينته فيه الأسفار المستحفظة، ورأيتماه مع ذلك مرسلا إلى قومه لا إلى الناس جميعا وأنه ليس بالخاتم الحاشر، ولا الوارث العاقب، لأنكما زعمتماه أبترا، أليس كذلك؟

قالا: نعم.

قال: أريتكما لو كان له بقية وعقب، هل كنتما تمتريان لما تجدان وبما تكذبان من الوراثة والظهور على النواميس أنه النبي الخاتم والمرسل إلى كافة البشر؟

قالا: لا.

قال: أفليس هذا القيل – هذه الحال مع طول اللوائم والخصائم – عندكما مستقرا.

قالا: أجل.

قال: الله أكبر.

قالا: كبرت كبيرا، فما دعاك إلى ذلك.

قال حارثة: الحق أبلج، والباطل لجلج، ولنقل ماء البحر ولشق الصخر أهون من إماتة ما أحياه الله عز وجل وإحياء ما أماته، الآن فاعلما أن محمدا غير أبتر، وأنه الخاتم الوارث والعاقب الحاشر حقا فلا نبي بعده وعلى أمته تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها وأن من ذريته الأمير الصالح الذي بينتما ونبأتما أنه يملك مشارق الأرض ومغاربها ويظهره الله عز وجل بالحنفية الإبراهيمية على النواميس كلها.

قالا: أولى لك يا حارثة، لقد أغفلناك وتأبى إلا مراوغة كالثعالبة، فما

تسأم المنازعة ولا تمل من المراجعة، ولقد زعمت مع ذلك عظيما، فما برهانك به؟
قال: أما – وجدكما – لأنبئكما ببرهان يجير من الشبهة ويشفي به جوى الصدور.
ثم أقبل على أبي حارثة حصين بن علقمة، شيخهم وأسقفهم الأول فقال: إن رأيت أيها الأب الأثير أن تؤنس قلوبنا وتثلج صدورنا بإحضار الجامعة والزاجرة.
قالوا: وكان هذا المجلس الرابع من اليوم الرابع، وذلك لما خلقت الأرض وركدت، وفي زمن قيظ شديد، فأقبلا على حارثة فقالا: أرج هذا إلى غد فقد بلغت القلوب منا الصدور. فتفرقوا على إحضار الزاجرة والجامعة من غد للنظر فيهما والعمل بما يتراءان منهما.
فلما كان من الغد صار أهل نجران إلى بيعتهم لاعتبار ما أجمع صاحباهم مع حارثة على اقتباسه وتبينه من الجامعة، ولما رأى السيد والعاقب اجتماع الناس لذلك قطع بهما لعلمهما بصواب قول حارثة، واعترضاه ليصدانه عن تصفح الصحف على أعين الناس، وكانا من شياطين الإنس، فقال السيد: إنك قد أكثرت وأمللت قض الحديث لنا مع قضه ودعنا من تبيانه.
فقال حارثة: وهل هذا إلا منك وصاحبك! فمن الآن فقولا ما شئتما،
فقال العاقب: ما من مقال إلا قلناه، وسنعود فنخبر بعض ذلك لك تخبيرا غير كاتمين لله عز وجل من حجة، ولا جاحدين له آية، ولا مفترين مع ذلك على الله عز وجل لعبد أنه مرسل منه وليس برسوله، فنحن نعترف – يا هذا – بمحمد صلى الله عليه وآله أنه رسول من الله عز وجل إلى قومه

من بني إسماعيل عليه السلام في غير أن نجب له بذلك على غيرهم من عرب الناس ولا أعاجمهم، تباعة ولا طاعة، بخروج له عن ملة، ولا دخول معه في ملة، إلا الإقرار له بالنبوة والرسالة إلى أعيان قومه ودينه.
قال حارثة: وبم شهدتما بما شهدتما له بالنبوة والأمر؟
قالا: حيث جاءتنا فيه البينة من تباشير الأناجيل والكتب الخالية.
فقال: منذ وجب هذا لمحمد - صلى الله عليه وآله - عليكما في طويل الكلام وقصيره، وبدئه وعوده، فمن أين زعمتما أنه ليس بالوارث الحاشر، ولا المرسل إلى كافة البشر؟
قالا: لقد علمت وعلمنا، فما نمتري بأن حجة الله عز وجل لم ينته أمرها، وأنها كلمة الله جارية في الأعقاب ما اعتقب الليل والنهار، وما بقي من الناس شخصان، وقد ظننا من قبل أن محمدا ربها، وأنه القائد بزمامها، فلما أعقمه الله عز وجل بمهلك الذكورة من ولده علمنا أنه ليس به، لأن محمدا أبتر، وحجة الله عز وجل الباقية، ونبيه الخاتم بشهادة كتب الله عز وجل المنزلة ليس بأبتر، فإذن هو نبي يأتي ويخلد بعد محمد، اشتق اسمه من اسم محمد وهو أحمد الذي نبأ المسيح باسمه وبنبوته ورسالته الخاتمة، ويملك ابنه القاهر الجامعة للناس جميعا على ناموس الله عز وجل الأعظم، ليس بمظهرة دينه، ولكنه من ذريته وعقبه، يملك قرى الأرض وما بينهما، من لوب وسهل وصخر وبحر، ملكا مورثا موطأ، وهذا نبأ أحاطت سفرة الأناجيل به علما، وقد أوسعناك بهذا القيل سمعا وعدنا لك به آنفة بعد سالفة، فما أربك إلى تكراره؟!
قال حارثة: قد أعلم أنا وإياكما في رجع من القول منذ ثلاث وما ذاك إلا ليذكر ناس، ويرجع فارط، وتظهر لنا الكلم، وذكرتما نبيين يبعثان

يعتقبان بين مسيح الله عز وجل والساعة، قلتما وكلاهما من بني إسماعيل، أولهم: محمد بيثرب، وثانيهما: أحمد العاقب.
فتنادى الناس في كل ناحية وقالوا: الجامعة يا أبا حارثة الجامعة!
وذلك لما مسهم في طول تحاور الثلاثة من السآمة والملل، وظن القوم مع ذلك أن الفلج لصاحبيهما بما كانا يدعيان في تلك المجالس من ذلك.
فأقبل أبو حارثة إلى علج واقف منه فقال: امض يا غلام فأت بها.
فجاء بالجامعة يحملها على رأسه وهو لا يكاد يتماسك بها لثقلها،
قال: فحدثني رجل صدق من النجرانية ممن كان يلزم السيد والعاقب ويخف لهما في بعض أمورهما ويطلع على كثير من شأنهما، قال: لما حضرت الجامعة بلغ ذلك من السيد والعاقب كل مبلغ، لعلمهما بما يهجمان عليه في تصفحهما من دلائل رسول الله صلى الله عليه وآله وصفته، وذكر أهل بيته وأزواجه وذريته، وما يحدث في أمته وأصحابه من بوائق الأمور من بعده إلى فناء الدنيا وانقطاعها.
فأقبل أحدهما على صاحبه، فقال: هذا يوم ما بورك لنا في طلوع شمسه، لقد شهدته أجسامنا وغابت عنه آراؤنا بحضور طغاتنا وسفلتنا ولعل ما شهد سفهاء قوم مجمعة إلا كانت لهم الغلبة.
قال الآخر: فهم شر غالب لمن غلب، إن أحدهم ليفيق بأدنى كلمة ويفسد في بعض ساعة ما لا يستطيع الآسي الحليم له رتقا، ولا الخولي النفيس إصلاحا له في حول محرم، ذلك لأن السفيه هادم والحليم بان، وشتان البناء والهدم.
قال: فانتهز حارثة الفرصة فأرسل في خفية وسر إلى النفر من

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاستحضرهم استظهارا بمشهدهم، فحضروا، فلم يستطع الرجلان فض ذلك المجلس ولا إرجاؤه، وذلك لما بينا من تطلع عامتهما من نصارى نجران إلى معرفة ما تضمنت الجامعة من صفة رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك، وتأليب حارثة عليهما فيه وصفو أبي حارثة شيخهم إليه.

قال: قال لي ذلك الرجل النجراني: فكان الرأي عندهما أن ينقادا لما يدهمهما من هذا الخطب، ولا يظهران شماسا منه ولا نفورا، حذار أن يطرقا الظنة فيه إليهما، وأن يكونا أيضا أول معتبر للجامعة ومستحث لها، لئلا يفتات في شئ من ذلك المقام والمنزلة عليهما، ثم يستبينان الصواب في الحال ويستنجدانه ليأخذان بموجبه، فتقدما لما تقدم في أنفسهما من ذلك إلى الجامعة وهي بين يدي أبي حارثة، وحاذاهما حارثة بن أثاك، وتطاولت إليهما فيه الأعناق وحفت رسل رسول الله صلى الله عليه وآله بهم.

فأمر أبو حارثة بالجامعة، ففتح طرفها واستخرج منها صحيفة آدم الكبرى، المستودعة علم ملكوت الله عز وجل جلاله وما ذرأ وما برأ في أرضه وسمائه وما وصلهما جل جلاله من ذكر عالميه، وهي الصحيفة التي ورثها شيث من أبيه آدم عليه السلام عما دعا من الذكر المحفوظ، فقرأ القوم السيد والعاقب وحارثة في الصحيفة تطلبا لما تنازعوا فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وصفته، ومن حضرهم يومئذ من الناس إليهم يصغون مرتقبون لما يستدرك من ذكرى ذلك، فألفوا في المفتاح الثاني من فواصلها:

بسم الله الرحمن الرحيم، أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم، معقب

الدهور وفاصل الأمور، سبقت بمشيتي الأسباب، وذللت بقدرتي الصعاب، فأنا العزيز الحكيم، الرحمن الرحيم، ارحم ترحم، سبقت رحمتي غضبي، وعفوي عقوبتي، خلقت عبادي لعبادتي، وألزمتهم حجتي، ألا إني باعث فيهم رسلي ومنزل عليهم كتبي، أبرم ذلك من لدن أول مذكور من بشر إلى أحمد نبيي وخاتم رسلي، ذاك الذي أجعل عليه صلواتي وأسلك في قلبه بركاتي، وبه أكمل أنبيائي ونذري.

قال آدم عليه السلام: إلهي! من هؤلاء الرسل؟ ومن أحمد هذا الذي رفعت وشرفت؟

قال: كل من ذريتك وأحمد عاقبهم.

قال: رب! بما أنت باعثهم ومرسلهم؟

قال: بتوحيدي، ثم أقفي ذلك بثلاثمائة وثلاثين شريعة أنظمها وأكملها لأحمد جميعا، فأذنت لمن جاءني بشريعة منها مع الإيمان بي وبرسلي أن أدخله الجنة.

ثم ذكر ما جملته: أن الله تعالى عرض على آدم عليه السلام معرفة الأنبياء عليهم السلام وذريتهم، ونظرهم آدم عليه السلام.

ثم قال ما هذا لفظه: ثم نظر آدم عليه السلام إلى نور قد لمع فسد الجو المنخرق فأخذ بالمطالع من المشارق، ثم سرى كذلك حتى طبق المغارب، ثم سما حتى بلغ ملكوت السماء، فنظر فإذا هو نور محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وإذا الأكناف به قد تضوعت طيبا، وإذا أنوار أربعة قد اكتنفته عن يمينه وشماله ومن خلفه وأمامه، أشبه شئ به أرجا ونورا ويتلوها أنوار من بعدها تستمد منها، وإذا هي شبيه بها في ضيائها وعظمها ونشرها، ثم دنت منها فتكللت عليها وحفت بها، ونظر فإذا أنوار

من بعد ذلك في مثل عدد الكواكب ودون منازل الأوائل جدا جدا، وبعض هذه أضوء من بعض وهي في ذلك متفاوتون جدا.
ثم طلع عليه سواد كالليل وكالسيل ينسلون من كل وجهة وأوب فأقبلوا كذلك حتى ملؤوا القاع والأكم فإذا هم أقبح شئ صورا وهيئة، وأنتنه ريحا.
فبهر آدم عليه السلام ما رأى من ذلك، وقال: يا عالم الغيوب وغافر الذنوب، ويا ذا القدرة الباهرة والمشيئة الغالبة، من هذا الخلق السعيد الذي كرمت ورفعت على العالمين؟ ومن هذه الأنوار المنيفة المكتنفة له؟
فأوحى الله عز وجل إليه:
يا آدم هذا وهؤلاء وسيلتك ووسيلة من أسعدت من خلقي، هؤلاء السابقون المقربون، والشافعون المشفعون، وهذا أحمد سيدهم وسيد بريتي، اخترته بعلمي واشتققت اسمه من اسمي، فأنا المحمود وهو محمد، وهذا صنوه ووصيه، آزرته به، وجعلت بركاتي وتطهيري في عقبه، وهذه سيدة إمائي والبقية في علمي من أحمد نبيي، وهذان السبطان والخلفان لهم، وهذه الأعيان المضاوع نورها أنوارهم، بقية منهم، ألا إن كلا اصطفيت وطهرت، وعلى كل باركت وترحمت، فكلا بعلمي جعلت قدوة عبادي ونور بلادي.
ونظر فإذا شيخ في آخرهم يزهر في ذلك الصفيح كما يزهر كوكب الصبح لأهل الدنيا، فقال الله تبارك وتعالى: وبعبدي هذا السعيد أفك عن عبادي الأغلال وأضع عنهم الآصار، وأملأ أرضي به حنانا ورأفة وعدلا، كما ملئت من قبله قسوة وقشعرية وجورا.
قال آدم عليه السلام: رب إن الكريم من كرمت، وإن الشريف من

شرفت، وحق يا إلهي لمن رفعت وأعليت أن يكون كذلك.
فيا ذا النعم التي لا تنقطع، والإحسان الذي لا يجازى ولا ينفد، بم بلغ عبادك هؤلاء العالون هذه المنزلة من شرف عطائك وعظيم فضلك وحبائك، وكذلك من كرمت من عبادك المرسلين؟
قال الله تبارك وتعالى: إني أنا الله لا إله إلا أنا الرحمن الرحيم، العزيز الحكيم، عالم الغيوب ومضمرات القلوب، أعلم ما لم يكن مما يكون كيف يكون، وما لا يكون كيف لو كان يكون، وإني اطلعت يا عبدي في علمي على قلوب عبادي، فلم أر فيهم أطوع لي ولا أنصح لخلقي من أنبيائي ورسلي، فجعلت لذلك فيهم روحي وكلمتي، وألزمتهم عب ء حجتي، واصطفيتهم على البرايا برسالتي ووحيي، ثم ألقيت بمكاناتهم تلك في منازلهم حوامهم وأوصيائهم من بعدهم، ودائع حجتي والسادة في بريتي، لأجبر بهم كسر عبادي، وأقيم بهم أودهم، ذلك أني بهم وبقلوبهم لطيف خبير.
ثم اطلعت على قلوب المصطفين من رسلي فلم أجد فيهم أطوع ولا أنصح لخلقي من محمد خيرتي وخالصتي، فاخترته على علم ورفعت ذكره إلى ذكري، ثم وجدت قلوب حامته اللاتي من بعده على صبغة قلبه، فألحقتهم به وجعلتهم ورثة كتابي ووحيي وأوكار حكمتي ونوري، وآليت بي ألا أعذب بناري من لقيني معتصما بتوحيدي وحبل مودتهم أبدا.
ثم أمرهم أبو حارثة أن يصيروا إلى صحيفة شيث الكبرى التي انتهى ميراثها إلى إدريس النبي عليه السلام، قال: وكان كتابتها بالقلم السرياني القديم، وهو الذي كتب من بعد نوح عليه السلام من ملوك الهياطلة، وهم النماردة، قال: فاقتص القوم الصحيفة وأفضوا منها إلى هذا الرسم، قال:

اجتمع إلى إدريس عليه السلام قومه وصحابته – وهو يومئذ في بيت عبادته من أرض كوفان – فخبرهم فيما اقتص عليهم، قال: إن بني أبيكم آدم عليه السلام الصلبية وبني بنيه وذريته اختصموا فيما بينهم، وقالوا: أي الخلق عندكم أكرم على الله عز وجل وأرفع لديه مكانة وأقرب منه منزلة؟
فقال بعضهم: أبوكم آدم عليه السلام، خلقه الله عز وجل بيده، وأسجد له ملائكته، وجعله الخليفة في أرضه، وسخر له جميع خلقه.
وقال آخرون: بل الملائكة الذين لم يعصوا الله عز وجل.
وقال بعضهم: لا، بل رؤساء الملائكة الثلاثة جبرئيل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام.
وقال بعضهم: لا، بل أمين الله جبرئيل عليه السلام.
فانطلقوا إلى آدم فذكروا الذي قالوا واختلفوا فيه، فقال: يا بني أنا أخبركم بأكرم الخلائق جميعا على الله عز وجل.
إنه والله لما أن نفخ في الروح حتى استويت جالسا، فبرق لي العرش العظيم فنظرت فيه، فإذا فيه: لا إله إلا الله محمد رسول الله فلان أمين الله فلان خيرة الله عز وجل – فذكر عدة أسماء مقرونة بمحمد صلى الله عليه وآله – ثم لم أر في السماء موضع أديم – أو قال: صفيح – منها إلا وفيه مكتوب: لا إله إلا الله، وما من موضع فيه مكتوب لا إله إلا الله إلا وفيه مكتوب، خلقا لا خطا: محمد رسول الله، وما من موضع مكتوب فيه محمد رسول الله، إلا ومكتوب: فلان خيرة الله، فلان صفوة الله، فلان أمين الله عز وجل – فذكر عدة أسماء تنتظم حساب المعدود –.
قال آدم عليه السلام: فمحمد صلى الله عليه وآله – يا بني – ومن خط من تلك الأسماء معه أكرم الخلائق على الله جميعا.

ثم ذكر أن أبا حارثة سأل السيد والعاقب أن يقفا على صلوات إبراهيم عليه السلام الذي جاء بها الأملاك من عند الله عز وجل، فقنعوا بما وقفوا عليه في الجامعة، قال أبو حارثة: لا، بل شارفوها بأجمعها واسبروها، فإنه أصرم للعذور، وأرفع لحكة الصدور، وأجدر ألا ترتابوا في الأمر من بعد.

فلم يجدا من المصير إلى قوله من بد، فعمد القوم إلى تابوت إبراهيم عليه السلام، قال: وفيه: وكان الله عز وجل – بفضله على من يشاء من خلقه – قد اصطفى إبراهيم عليه بخلته، وشرفه بصلواته وبركاته، وجعله قبلة وإماما لمن يأتي من بعده، وجعل النبوة والإمامة والكتاب في ذريته، يتلقاها آخر عن أول، وورثه تابوت آدم عليه السلام المتضمن للحكمة والعلم الذي فضله الله عز وجل به على الملائكة طرا.

فنظر إبراهيم عليه السلام في ذلك التابوت، فأبصر فيه بيوتا بعدد ذوي العزم من الأنبياء المرسلين وأوصيائهم من بعدهم، ونظرهم فإذا بيت محمد صلى الله عليه وآله آخر الأنبياء، عن يمينه علي بن أبي طالب آخذ بحجرته، فإذا شكل عظيم يتلألأ نورا فيه هذا صنوه ووصيه المؤيد بالنصر.

فقال إبراهيم عليه السلام: إلهي وسيدي! من هذا الخلق الشريف؟

فأوحى الله عز وجل: هذا عبدي وصفوتي، الفاتح الخاتم، وهذا وصيه الوارث.

قال: رب ما الفاتح الخاتم؟

قال: هذا محمد خيرتي، وبكر فطرتي، وحجتي الكبرى في بريتي، نبأته واجتبيته إذ آدم بين الطين والجسد، ثم إني باعثه عند انقطاع الزمان لتكملة ديني، وخاتم به رسالاتي ونذري، وهذا علي أخوه وصديقه الأكبر،

آخيت بينهما واخترتهما وصليت وباركت عليهما، وطهرتهما وأخلصتهما، والأبرار منهما وذريتهما قبل أن أخلق سمائي وأرضي وما فيهما من خلقي، وذلك لعلمي بهم وبقلوبهم، إني بعبادي عليم خبير.

قال: ونظر إبراهيم عليه السلام فإذا اثنا عشر عظيما تكاد تلألأ أشكالهم لحسنها نورا، فسأل ربه جل وتعالى فقال: رب نبئني بأسماء هذه الصور المقرونة بصورة محمد ووصيه، وذلك لما رأى من رفيع درجاتهم والتحاقهم بشكلي محمد ووصيه عليهم السلام، فأوحى الله عز وجل إليه: هذه أمتي والبقية من نبيي، فاطمة الصديقة الزهراء، وجعلتها مع خليلها عصبة لذرية نبي هؤلاء، وهذان الحسنان، وهذا فلان، وهذا فلان، وهذا كلمتي التي أنشر به رحمتي في بلادي، وبه أنتاش ديني وعبادي ذلك بعد إياس منهم وقنوط منهم من غياثي، فإذا ذكرت محمدا نبيي لصلواتك فصل عليهم معه يا إبراهيم.

قال: فعندها صلى عليهم إبراهيم صلى الله عليه وآله، فقال: رب صل على محمد وآل محمد كما اجتبيتهم وأخلصتهم إخلاصا.

فأوحى الله عز وجل: لتهنك كرامتي وفضلي عليك، فإني صائر بسلالة محمد صلى الله عليه وآله ومن اصطفيت معه منهم إلى قناة صلبك ومخرجهم منك ثم من بكرك إسماعيل، فأبشر يا إبراهيم فإني واصل صلواتك بصلواتهم ومتبع ذلك بركاتي وترحمي عليك وعليهم، وجاعل حسناتي وحجتي إلى الأمد المعدود واليوم الموعود، الذي أرث فيه سمائي وأرضي وأبعث له خلقي لفصل قضائي وإفاضة رحمتي وعدلي.

قال: فلما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ما أفضى إليه القوم من تلاوة ما تضمنت الجامعة والصحف الدارسة من نعت رسول الله

صلى الله عليه وصفة أهل بيته المذكورين معه بما هم به منه، وبما شاهدوا من مكانتهم عنده، ازداد القوم بذلك يقينا وإيمانا واستطيروا له فرحا.
قال: ثم صار القوم إلى ما نزل على موسى عليه السلام فألفوا في السفر الثاني من التوراة: إني باعث في الأميين من ولد إسماعيل رسولا، أنزل عليه كتابي وأبعثه بالشريعة القيمة إلى جميع خلقي، أوتيته حكمتي وأيدته بملائكتي وجنودي، تكون ذريته من ابنة له مباركة، باركتها، ثم من شبلين لهما كإسماعيل وإسحاق، أصلين لشعبتين عظيمتين، أكثرهم جدا جدا، يكون منهم اثنا عشر في ما أكمل بمحمد صلى الله عليه وآله وبما أرسله به من بلاغ وحكمة ديني، وأختم به أنبيائي ورسلي، فعلى محمد صلى الله عليه وآله وأمته تقوم الساعة.
فقال حارثة: الآن أسفر الصبح لذي عينين، ووضح الحق لمن رضي به دينا، فهل في أنفسكما من مرض تستشفيان به؟!
فلم يرجعا إليه قولا، فقال أبو حارثة: اعتبروا الأمارة الخاتمة من قول سيدكم المسيح عليه السلام.
فصار إلى الكتب والأناجيل التي جاء بها عيسى عليه السلام فألفوا في المفتاح الرابع من الوحي إلى المسيح عليه السلام:
يا عيسى يا بن الطاهرة البتول، اسمع قولي وجد في أمري، أني خلقتك من غير فحل، وجعلتك آية للعالمين، فإياي فاعبد وعلي فتوكل، وخذ الكتاب بقوة ثم فسره لأهل سوريا، وأخبرهم أني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم، الذي لا أحول ولا أزول، فآمنوا بي وبرسولي النبي الأمي الذي يكون في آخر الزمان، نبي الرحمة والملحمة، الأول والآخر.
قال: أول النبيين خلقا وآخرهم مبعثا، ذلك العاقب الحاشر، فبشر به

بني إسرائيل.
قال عيسى عليه السلام: يا مالك الدهور وعلام الغيوب، من هذا العبد الصالح الذي قد أحبه قلبي ولم تره عيني؟
قال: ذلك خالصتي ورسولي، المجاهد بيده في سبيلي، يوافق قوله فعله وسريرته علانيته، أنزل عليه توراة حديثة أفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا، فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب، وطوباه طوبى أمته.
قال: رب ما اسمه وعلامته؟ وما أكل أمته - يقول ملك أمته -؟ وهل له من بقية - يعني ذرية -؟
قال: سأنبئك بما سألت، اسمه أحمد صلى الله عليه وآله، منتخب من ذرية إبراهيم، ومصطفى من سلالة إسماعيل عليه السلام، ذو الوجه الأقمر، والجبين الأزهر، راكب الجمل، تنام عيناه ولا ينام قلبه، يبعثه الله في أمة أمية ما بقي الليل والنهار، مولده في بلد أبيه إسماعيل - يعني مكة -، كثير الأزواج قليل الأولاد، نسله من مباركة صديقة، يكون له منها ابنة لها فرخان سيدان يستشهدان، أجعل نسل أحمد منهما، فطوباهما ولمن أحبهما وشهد أيامهما فنصرهما.
قال عيسى عليه السلام: إلهي! وما طوبى؟
قال: شجرة في الجنة ساقها وأغصانها من ذهب، وورقها حلل، وحملها كثدي الأبكار، أحلى من العسل وألين من الزبد، وماؤها من تسنيم، لو أن غرابا طار وهو فرخ لأدركه الهرم من قبل أن يقطعها، وليس منزل من منازل أهل الجنة إلا وظلاله فنن من تلك الشجرة.
قال: فلما أتى القوم على دراسة ما أوحى الله عز وجل إلى المسيح

عليه السلام من نعت محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وصفته، وملك أمته، وذكر ذريته وأهل بيته، أمسك الرجلان مخصومين، وانقطع التحاور بينهم في ذلك.

قال: فلما فلج حارثة على السيد والعاقب بالجامعة وما بينوه في الصحف القديمة ولم يتم لهما ما قدروا من تحريفها، ولم يمكنهما أن يلبسا على الناس في التأويل، أمسكا عن المنازعة من هذا الوجه، وعلما أنهما قد أخطئا سبيل الصواب، فصارا إلى بيعتهم آسفين لينظرا ويرتئيا، وفزع إليهما نصارى نجران، فسألوهما عن رأيهما وما يعملان في دينهما، فقالا ما معناه: تمسكوا بدينكم حتى يكشف دين محمد، وسنسير إلى نبي قريش إلى يثرب، وننظر إلى ما جاء به وإلى ما يدعو إليه.

قال: فلما تجهز السيد والعاقب للمسير إلى رسول الله بالمدينة، انتدب معهما أربعة عشر راكبا من نصارى نجران، هم من أكابرهم فضلا وعلما في أنفسهم، وسبعون رجلا من أشراف بني الحرث بن كعب وسادتهم.

قال: وكان قيس بن الحصين ذو العصة ويزيد بن عبد المدان ببلاد حضرموت، فقدما نجران على بقية مسير قومهم فشخصا معهم فاغترز القوم في أطوار مطاياهم وجنبوا خيلهم وأقبلوا لوجوههم حتى وردوا المدينة.

قال: ولما استراث رسول الله صلى الله عليه وآله خبر أصحابه أنفذ إليهم خالد بن الوليد في خيل سرجها معه لمشارفة أمرهم، فألفوهم وهم عامدون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: ولما دنوا إلى المدينة أحب السيد والعاقب أن يباهيا المسلمين

وأهل المدينة بأصحابهما وبمن حف من بني الحرث معهما، فاعترضاهم فقالا: لو كففتم صدور ركابكم ومسستم الأرض فألقيتم عنكم تفثكم وثياب سفركم وشنيتم عليكم من باقي مياهكم كان ذلك أمثل، فانحدر القوم عن الركاب فأماطوا من شعثهم وألقوا عنهم ثياب بذلتهم ولبسوا ثياب صونهم من الأنجميات والحرير والحبر وذروا المسك في لممهم ومفارقهم، ثم ركبوا الخيل، واعترضوا بالرماح على مناسج خيلهم، وأقبلوا يسيرون رزدقا واحدا، وكانوا من أجمل العرب صورا وأتمهم أجساما وخلقا، فلما تشرفهم الناس أقبلوا نحوهم وقالوا: ما رأينا وفدا أجمل من هؤلاء.

فأقبل القوم حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده، وحانت صلواتهم فقاموا يصلون إلى المشرق، فأراد الناس أن ينهوهم عن ذلك فكفهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أمهلهم وأمهلوه ثلاثا، فلم يدعهم ولم يسألوه لينظروا إلى هداه ويعتبروا ما يشاهدون منه مما يجدون من صفته.

فلما كان بعد ثلاثة دعاهم صلى الله عليه وآله إلى الإسلام.

فقالوا: يا أبا القاسم! ما أخبرتنا كتب الله عز وجل بشئ من صفة النبي المبعوث بعد الروح عيسى عليه السلام إلا وقد تعرفناه فيك، إلا خلة هي أعظم الخلال آية ومنزلة، وأجلاها أمارة ودلالة.

قال صلى الله عليه وآله: وما هي؟

قالوا: إنا نجد في الإنجيل من صفة النبي الغابر من بعد المسيح أنه يصدق به ويؤمن به، وأنت تسبه وتكذب به وتزعم أنه عبد.

قال: فلم تكن خصومتهم ولا منازعتهم للنبي صلوات الله عليه وآله إلا في عيسى عليه السلام.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا بل أصدقه وأصدق به وأؤمن به وأشهد أنه النبي المرسل من ربه عز وجل، وأقول: إنه عبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

قالوا: وهل يستطيع العبد أن يفعل ما كان يفعل؟ وهل جاءت الأنبياء بما جاء به من القدرة القاهرة؟! ألم يكن يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص وينبئهم بما يكنون في صدورهم وما يدخرون في بيوتهم؟ فهل يستطيع هذا إلا الله عز وجل أو ابن الله؟! وقالوا في الغلو فيه وأكثروا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فقال صلى الله عليه وآله: قد كان عيسى - أخي - كما قلتم يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخبر قومه بما في نفوسهم، وما يدخرون في بيوتهم، وكل ذلك بإذن الله عز وجل، وهو لله عز وجل عبد، وذلك عليه غير عار، وهو منه غير مستنكف، فقد كان لحما ودما وشعرا وعظما وعصبا وأمشاجا، يأكل الطعام ويظمأ وينصب باديه، وربه الأحد الحق الذي ليس كمثله شئ وليس له ند.

قالوا: فأرنا مثله من جاء من غير فحل ولا أب؟!

قال: هذا آدم عليه السلام أعجب منه خلقا، جاء من غير أب ولا أم، وليس شئ من الخلق بأهون على الله عز وجل في قدرته من شئ ولا أصعب، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، وتلا عليهم * (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) *.

قالا: فما نزداد منك في أمر صاحبنا إلا تباينا، وهذا الأمر الذي لا نقر لك، فهلم فلنلاعنك أينا أولى بالحق، فنجعل لعنة الله على الكاذبين، فإنها مثلة وآية معجلة.

فأنزل الله عز وجل آية المباهلة على رسول الله صلى الله عليه وآله * (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) * فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ما نزل عليه في ذلك من القرآن، فقال صلى الله عليه وآله: إن الله قد أمرني [أن] أصير إلى ملتمسكم، وأمرني بمباهلتكم إن أقمتم وأصررتهم على قولكم.

قالا: وذلك آية ما بيننا وبينك، إذا كان غدا باهلناك.

ثم قاما وأصحابهما من النصارى معهما، فلما أبعدا - وقد كانوا أنزلوا بالحرة - أقبل بعضهم على بعض فقالوا: قد جاءكم هذا بالفصل من أمره وأمركم، فانظروا أولا بمن يباهلكم، أبكافة أتباعه، أم بأهل الكتابة من أصحابه، أو بذوي التخشع والتمسكن والصفوة دينا وهم القليل منهم عددا؟ فإن جاءكم بالكثرة وذوي الشدة منهم، فإنما جاءكم مباهيا كما يصنع الملوك، فالفلج إذن لكم دونه، وإن أتاكم بنفر قليل ذوي تخشع فهؤلاء سجية الأنبياء وصفوتهم وموضع بهلتهم، فإياكم والإقدام إذن على مباهلتهم، فهذه لكم أمارة، وانظروا حينئذ ما تصنعون ما بينكم وبينه، فقد أعذر من أنذر.

فأمر صلى الله عليه وآله بشجرتين فقصدتا وكسح ما بينهما، وأمهل حتى إذا كان من الغد أمر بكساء أسود رقيق فنشر على الشجرتين، فلما أبصر السيد والعاقب ذلك خرجا بولديهما صبغة المحسن وعبد المنعم وسارة ومريم، وخرج معهما نصارى نجران، وركب فرسان بني الحرث بن الكعب في أحسن هيئة، وأقبل الناس من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار وغيرهم من الناس في قبائلهم وشعارهم من راياتهم وألويتهم

وأحسن شارتهم وهيئتهم، لينظروا ما يكون من الأمر، ولبث رسول الله صلى الله عليه وآله في حجرته حتى متع النهار.
ثم خرج آخذا بيد علي والحسن والحسين أمامه وفاطمة عليها السلام من خلفهم، فأقبل بهم حتى أتى الشجرتين، فوقف من بينهما من تحت الكساء على مثل الهيئة التي خرج بها من حجرته، فأرسل إليهما يدعوهما إلى ما دعواه إليه من المباهلة.
فأقبلا إليه فقالا: بمن تباهلنا يا أبا القاسم؟
قال: بخير أهل الأرض وأكرمهم على الله عز وجل، وأشار لهما إلى علي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم.
قالا: فما نراك جئت لمباهلتنا بالكبر ولا من الكثر ولا أهل الشارة ممن نرى ممن آمن بك واتبعك! وما نرى ها هنا معك إلا هذا الشاب والمرأة والصبيين! أفبهؤلاء تباهلنا؟!
قال صلى الله عليه وآله: نعم، أو لم أخبركم بذلك آنفا، نعم بهؤلاء أمرت والذي بعثني بالحق أن أباهلكم.
فاصفارت حينئذ ألوانهما وحوكرا، وعادا إلى أصحابهما وموقفهما، فلما رأى أصحابهما ما بهما وما دخلهما، قالوا: ما خطبكما؟! فتماسكا وقالا: ما كان ثمة من خطب فنخبركم.
وأقبل عليهم شاب كان من خيارهم قد أوتي فيهم علما، فقال:
ويحكم! لا تفعلوا، واذكروا ما عثرتم عليه في الجامعة من صفاته، فوالله إنكم لتعلمون حق العلم إنه لصادق، وإنما عهدكم بإخوانكم حديث قد مسخوا قردة وخنازير.
فعلموا أنه قد نصح لهم فأمسكوا.

قال: وكان للمنذر بن علقمة أخي أسقفهم أبي حارثة حظ من العلم فيهم يعرفونه له، وكان نازحا عن نجران في وقت تنازعهم، فقدم وقد اجتمع القوم على الرحلة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فشخص معهم، فلما رأى المنذر انتشار القوم يومئذ وترددهم في رأيهم، أخذ بيد السيد والعاقب على أصحابه، فقال: اخلوني وهذين، فاعتزل بهما، ثم أقبل عليهما فقال: إن الرائد لا يكذب أهله، وأنا لكما جد شفيق، فإن نظرتما لأنفسكما نجيتما، وإن تركتما ذلك هلكتما وأهلكتما.

قالا: أنت الناصح حبيبا، المأمون عيبا، فهات.

قال: أتعلمان أنه ما باهل قوم نبيا قط إلا كان مهلكهم كلمح البصر، وقد علمتما وكل ذي إرب من ورثة الكتب معكما أن محمدا أبا القاسم هذا هو الرسول الذي بشرت به الأنبياء عليهم السلام وأفصحت ببيعتهم وأهل بيتهم الأمناء.

وأخرى أنذركما بها فلا تعشوا عنها!

قالا: وما هي يا أبا المثنى؟

قال: انظرا إلى النجم قد استطلع إلى الأرض، وإلى خشوع الشجر وتساقط الطير بإزائكما لوجوههما، قد نشرت على الأرض أجنحتها، وفات ما في حواصلها، وما عليها لله عز وجل من تبعة، ليس ذلك إلا ما قد أظل من العذاب.

وانظرا إلى اقشعرار الجبال، وإلى الدخان المنتشر وفزع السحاب! هذا، ونحن في حمارة القيظ وأيان الهجير.

وانظروا إلى محمد صلى الله عليه وآله رافعا يده والأربعة من أهله معه إنما ينتظر ما تجيبان به.

ثم اعلموا أنه إن نطق فوه بكلمة من بهلة لم نتدارك هلاكا، ولم نرجع إلى أهل ولا مال.
فنظرا فأبصرا أمرا عظيما فأيقنا أنه الحق من الله تعالى فزلزلت أقدامهما، وكادت أن تطيش عقولهما، واستشعرا أن العذاب واقع بهما.
فلما أبصر المنذر بن علقمة ما قد لقيا من الخيفة والرهبة قال لهما: إنكما إن أسلمتما له سلمتما في عاجله وآجله، وإن آثرتما دينكما وغضارة أيكتكما وشمختما بمنزلتكما من الشرف في قومكما فلست أحجر عليكما الضنين بما نلتما من ذلك، ولكنكما بدهتما محمدا صلى الله عليه وآله بتطالب المباهلة، وجعلتماها حجازا وآية بينكما وبينه، وشخصتما من نجران وذلك من تألككما، فأسرع محمد صلى الله عليه وآله إلى ما بغيتما منه، والأنبياء إذا أظهرت بأمر لم ترجع إلا بقضائه وفعله، فإذا نكلتما عن ذلك وأذهلتكما مخافة ما تريان، فالحظ في النكول لكما.
فالوحا يا إخوتي الوحا، صالحا محمدا صلى الله عليه وآله وأرضياه، ولا ترجيا ذلك، فإنكما وأنا معكما بمنزلة قوم يونس لما غشيهم العذاب.
قالا: فكن أنت الذي تلقى محمدا صلى الله عليه وآله بكفالة ما يبتغيه لدينا، والتمس لنا إليه ابن عمه هذا ليكون هو الذي يبرم الأمر بيننا وبينه، فإنه ذو الوجه والزعيم عنده، ولا تبطئن به ما ترجع إلينا به.
وانطلق المنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله الذي ابتعثك، وأنك وعيسى عبدان لله عز وجل مرسلان.
فأسلم وبلغه ما جاء له، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام لمصالحة القوم، فقال علي عليه السلام: بأبي أنت، على ما

أصالحهم؟
فقال له: رأيك يا أبا الحسن فيما تبرم معهم رأيي.
فصار إليهم فصالحاه على ألف حلة وألف دينار خرجا في كل عام، يؤديان شطر ذلك في المحرم وشطرا في رجب.
فصار علي عليه السلام بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ذليلين صاغرين، وأخبره بما صالحهما عليه وأقرا له بالخرج والصغار.
فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: قد قبلت ذلك منكم، أما إنكم لو باهلتموني بمن تحت الكساء لأضرم الله عليكم الوادي نارا تأجج، ثم لساقها الله عز وجل إلى من ورائكم في أسرع من طرف العين فحرقهم تأججا.
فلما رجع النبي صلى الله عليه وآله بأهل بيته وصار إلى مسجده هبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمد! إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول: إن عبدي موسى عليه السلام باهل عدوه قارون بأخيه هارون وبنيه، فخسفت بقارون وأهله وما له وبمن آزره من قومه، وبعزتي أقسم وبجلالي - يا أحمد - لو باهلت بك وبمن تحت الكساء من أهلك أهل الأرض والخلائق جميعا لتقطعت السماء كسفا والجبال زبرا، ولساخت الأرض فلم تستقر أبدا إلا أن أشاء ذلك.
فسجد النبي صلى الله عليه وآله ووضع على الأرض وجهه، ثم رفع يديه حتى تبين للناس عفرة إبطيه فقال: شكرا للمنعم - قالها ثلاثا -.
فسئل النبي صلى الله عليه وآله عن سجدته وعما رأى من تباشير السرور في وجهه، فقال: شكرا لله عز وجل لما أبلاني من الكرامة في أهل

بيتي، ثم حدثهم بما جاء به جبرئيل عليه السلام " (١).

كتاب الصلح:

وجاء في غير واحد من الكتب أن عليا عليه السلام كتب لهم كتابا بأمر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٢) وذكر ابن شبة والبلاذري وغيرهما نص الكتاب، ويظهر منه أن القوم كانوا يحتفظون به، قال البلاذري: " وقال يحيى بن آدم: وقد رأيت كتابا في أيدي النجرانيين كانت نسخته شبيهة بهذه النسخة وفي أسفله: وكتب علي بن أبي طالب " (٣).

القربات يوم المباهلة:

وبما أن يوم المباهلة يوم أظهر الله فيه حقية نبوة رسوله على النصارى، وأبان فيه مقام علي وأهل البيت للعالمين، فهو من أعظم الأعياد الإسلامية، وأشرف أيام سرور المؤمنين، وكان من واجب كل فرد أن يقوم بشكر هذه النعمة بما أمكنه من مظاهر الشكر...

ومن هنا فقد ذكر هذا اليوم من مسار الشيعة، وهو اليوم الرابع والعشرين من ذي الحجة (٤).

ووردت فيه أعمال وقربات، من الغسل، والصوم، والصلاة، والدعاء... كما لا يخفى على من يراجع كتب هذا الشأن (٥).

---

(١) الإقبال بصالح الأعمال: ٤٩٦ - ٥١٣، من الطبعة الحجرية.

(٢) ومن ذلك أيضا: سنن البيهقي ١٠ / ١٢٠.

(٣) فتوح البلدان: ٧٦ - ٧٧.

(٤) مسار الشيعة - للشيخ للمفيد -: ٤١.

(٥) مصباح المتهجد: ٧٥٨ - ٧٦٧، الإقبال بصالح الأعمال: ٥١٥.

الفصل الثالث
محاولات يائسة وأكاذيب مدهشة
ولما كانت قضية المباهلة، ونزول الآية المباركة في أهل البيت دون غيرهم، من أسمى مناقب أمير المؤمنين عليه السلام الدالة على إمامته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد حاول بعض المتكلمين من مدرسة الخلفاء الإجابة عن ذلك، كما سنرى بالتفصيل.
لكن هناك محاولات بالنسبة إلى أصل الخبر ومتنه، الأمر الذي يدل على إذعان القوم بدلالة الحديث وبخوعهم بعدم الجدوى فيما يحاولونه من المناقشة فيها...
وتلك المحاولات هي:
١ - الإخفاء والتعتيم على أصل الخبر:
فمن القوم من لا يذكر الخبر من أصله!! مع ما فيه من الأدلة على النبوة وظهور الدين الإسلامي على سائر الأديان... أذكر منهم ابن هشام (١) وتبعه ابن سيد الناس (٢)، والذهبي (٣) وهذه عبارة الثاني في ذكر الوفود، وهي ملخص عبارة الأول:
" ثم بعث رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم خالد بن الوليد في

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٥٩٢.
(٢) عيون الأثر في المغازي والسير ٢ / ٢٤٤.
(٣) تاريخ الإسلام - المغازي -: ٦٩٥.

شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة عشر، إلى بني الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، ثلاثا، فإن استجابوا فاقبل منهم وإن لم يفعلوا فقاتلهم.

فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون إلى الإسلام، ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا، فأسلم الناس ودخلوا في ما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بذلك.

فكتب له رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أن يقبل ويقبل معه وفدهم، فأقبل وأقبل معه وفدهم، منهم قيس بن الحصين ذي الغصة... وأمر عليهم قيس بن الحصين.

فرجعوا إلى قومهم في بقية من شوال أو في ذي القعدة، فلم يمكثوا إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ".

٢ - الإخفاء والتعتيم على حديث المباهلة:

وهذا ما حاوله آخرون، منهم:

* البخاري - تحت عنوان: قصة أهل نجران، من كتاب المغازي -:

" حدثني عباس بن الحسين، حدثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة، قال: جاء العاقب والسيد - صاحبا نجران - إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، يريدان أن يلاعناه. قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا: إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا أمينا، فقال: لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين.

فاستشرف له أصحاب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح، فلما قام، قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: هذا أمين هذه الأمة.

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، قال: سمعت أبا إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء أهل نجران إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم فقالوا: ابعث لنا رجلا أمينا. فقال: لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين، فاستشرف له الناس، فبعث أبا عبيدة بن الجراح " (١).

أقول:

قد تقدم حديث حذيفة بن اليمان، رواه القاضي الحسكاني بنفس السند... لكن البخاري لم يذكر سبب الملاعنة! ولا نزول الآية المباركة! ولا خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام!

ولا يخفى التحريف في روايته، وعبارته مشوشة جدا، يقول: " جاء... يريدان أن يلاعناه فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل " فقد جاءا " يريدان أن يلاعناه " فلا بد وأن حدث شئ؟ " فقال أحدهما لصاحبه... " فما الذي حدث؟!!

لقد أشار الحافظ ابن حجر في شرحه إلى نزول الآية وخروج النبي للملاعنة بأهل البيت عليهم السلام، لكنها إشارة مقتضبة جدا!!

---

(١) صحيح البخاري ٥ / ٢١٧. ط دار إحياء التراث العربي - بيروت.

ثم قال: " قالا: إنا نعطيك ما سألتنا " والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يسأل شيئا، وإنما دعاهما إلى الإسلام وما جاء به القرآن، فأبيا، فآذنهم بالحرب، فطلبا منه الصلح وإعطاء الجزية، فكتب لهما بذلك وكان الكاتب عليا عليه السلام.

ثم إن البخاري - بعد أن حذف حديث المباهلة وأراد إخفاء فضل أهل الكساء - وضع فضيلة لأبي عبيدة، بأنهما قالا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: " ابعث معنا رجلا أمينا " فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح...

لكن في غير واحد من الكتب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرسل إليهم عليا عليه السلام، وهذا ما نبه عليه الحافظ وأراد رفع التعارض، فقال: " وقد ذكر ابن إسحاق أن النبي بعث عليا إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم، وهذه القصة غير قصة أبي عبيدة، لأن أبا عبيدة توجه معهم فقبض مال الصلح ورجع، وعلي أرسله النبي بعد ذلك يقبض منهم ما استحق عليهم من الجزية ويأخذ ممن أسلم منهم ما وجب عليه من الصدقة. والله أعلم " (١).

قلت:

ولم أجد في روايات القصة إلا أنهما " أقرا بالجزية " التزما بدفع ما تضمنه الكتاب الذي كتبه صلى الله عليه وآله وسلم لهم، ومن ذلك: ألفا حلة " في كل رجب ألف، وفي كل صفر ألف " وهذه هي الجزية، وعليها جرى أبو بكر وعمر، حتى جاء عثمان فوضع عنهم بعض ذلك! وكان مما

---

(١) فتح الباري - شرح صحيح البخاري - ٨ / ٧٧.

كتب: " إني قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتي حلة لوجه الله "! (١).
ثم إن رجوعهما إلى قومهما كان في بقية من شوال أو ذي القعدة (٢)
فأين رجب؟! وأين صفر؟!
فما ذكره الحافظ رفعا للتعارض ساقط.
ولعله من هنا لم تأت هذه الجملة في رواية مسلم، فقد روى الخبر
عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة، قال: " جاء أهل نجران إلى
رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فقالوا: يا رسول الله! ابعث إلينا
رجلا أمينا، فقال: لأبعثن إليكم رجلا أمينا... " (٣).
ثم إنه قد تعددت أحاديث القوم في " أمانة أبي عبيدة " حتى أنهم
رووا بلفظ " أمين هذه الأمة أبو عبيدة "، وقد تكلمنا على هذه الأحاديث من
الناحيتين - السند والدلالة - في كتابنا الكبير بالتفصيل (٤).
* ابن سعد، فإنه ذكر تحت عنوان " وفد نجران ": كتب رسول الله
صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى أهل نجران، فخرج إليه وفدهم، أربعة
عشر رجلا من أشرافهم نصارى، فيهم العاقب وهو عبد المسيح...
ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا، وكثر الكلام والحجاج بينهم، وتلا عليهم
القرآن، وقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: إن أنكرتم ما أقول
لكم فهلم أباهلكم، فانصرفوا على ذلك.
فغدا عبد المسيح ورجلان من ذوي رأيهم على رسول الله صلى الله

---

(١) فتوح البلدان: ٧٧.
(٢) عيون الأثر ٢ / ٢٤٤، وغيره.
(٣) صحيح مسلم ٧ / ١٣٩.
(٤) نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار ١١ / ٣١٥ - ٣٣٨.

عليه [وآله] وسلم، فقال: قد بدا لنا أن لا نباهلك، فاحكم علينا بما أحببت نعطك ونصالحك، فصالحهم على...
وأشهد على ذلك شهودا، منهم: أبو سفيان بن حرب، والأقرع بن حابس، والمغيرة بن شعبة.
فرجعوا إلى بلادهم، فلم يلبث السيد والعاقب إلا يسيرا حتى رجعا إلى النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم، فأسلما، وأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري.
وأقام أهل نجران على ما كتب لهم به النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم حتى قبضه الله... " (١).
* وقال الطبري - في ذكر الوفود في السنة العاشرة -: " وفيها قدم وفد العاقب والسيد من نجران، فكتب لهما رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم كتاب الصلح " (٢).
ثم قال في خروج الأمراء والعمال على الصدقات: " وبعث علي بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم " (٣).
* وقال ابن الجوزي: " وفي سنة عشر من الهجرة أيضا قدم العاقب والسيد من نجران، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم كتاب صلح " (٤).
* وقال ابن خلدون: " وفيها قدم وفد نجران النصارى، في سبعين

---

(١) الطبقات الكبرى ١ / ٣٥٧ - ٣٥٨.
(٢) تاريخ الطبري ٣ / ١٣٩.
(٣) تاريخ الطبري ٣ / ١٤٧.
(٤) المنتظم في تاريخ الأمم - حوادث السنة العاشرة - ٤ / ٣.

راكبا، يقدمهم أميرهم العاقب عبد المسيح من كندة، وأسقفهم أبو حارثة من بكر بن وائل والسيد الأيهم، وجادلوا عن دينهم، فنزل صدر سورة آل عمران، وآية المباهلة، فأبوا منها، وفرقوا وسألوا الصلح، وكتب لهم به على ألف حلة في صفر وألف في رجب، وعلى دروع ورماح وخيل وحمل ثلاثين من كل صنف، وطلبوا أن يبعث معهم واليا يحكم بينهم، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح، ثم جاء العاقب والسيد وأسلما " (١).

٣ - الإخفاء والتعتيم على اسم علي!!

وحاول آخرون منهم أن يكتموا اسم علي عليه السلام:

* فحذفوا اسمه من الحديث، كما في الرواية عن جد سلمة بن عبد يشوع المتقدمة.

* بل تصرف بعضهم في حديث مسلم وأسقط منه اسم " علي " كما سيأتي عن " البحر المحيط "!!

* والبلاذري عنون في كتابه " صلح نجران " وذكر القصة، فقال: " فأنزل الله تعالى: * (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم * إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون - إلى قوله: - الكاذبين) * فقرأها رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عليهما، ثم دعاهما إلى المباهلة، وأخذ بيد فاطمة والحسن والحسين، فقال أحدهما لصاحبه: اصعد الجبل ولا تباهله، فإنك إن باهلته بؤت باللعنة. قال: فما ترى؟ قال: أرى أن نعطيه الخراج ولا نباهله... " (٢).

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٤ / ٨٣٦ - ٨٣٧.

(٢) فتوح البلدان: ٧٥ - ٧٦.

* وابن القيم اقتصر على رواية جد سلمة، ولم يورد اللفظ الموجود عند مسلم وغيره، قال: " وروينا عن أبي عبد الله الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن يونس بن بكير، عن سلمة بن عبد يوشع، عن أبيه، عن جده، قال يونس - وكان نصرانيا فأسلم -: إن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم كتب إلى أهل نجران... " فحكى القصة إلى أن قال: " فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم الغد بعدما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملا على الحسن والحسين رضي الله عنهما في خميل له وفاطمة رضي الله عنها تمشي عند ظهره للمباهلة، وله يومئذ عدة نسوة... " (١).

* وكذا فعل ابن كثير في تاريخه... (٢).

* واختلف النقل عن الشعبي على أشكال:

أحدها: روايته عن جابر بن عبد الله، وفيها نزول الآية في علي وفاطمة والحسنين.

والثاني: روايته الخبر مع حذف اسم علي!! رواه عنه جماعة، وعنهم السيوطي، وقد تقدم.

وجاء عند الطبري بعد الخبر عن ابن حميد، عن جرير، عن مغيرة، عن الشعبي، وليس فيه ذكر علي: " حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، قال: فقلت للمغيرة: إن الناس يروون في حديث أهل نجران أن عليا كان معهم! فقال: أما الشعبي فلم يذكره، فلا أدري لسوء رأي بني أمية في علي،

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣ / ٣٩ - ٤٠.

(٢) البداية والنهاية ٥ / ٥٣.

أو لم يكن في الحديث " (١).
والثالث: روايته الخبر مع حذف اسم علي! وإضافة " وناس من أصحابه "!! وهو ما نذكره:
٤ - حذف اسم علي وزيادة " وناس من أصحابه ":
وهذا الخبر لم أجده إلا عند ابن شبة، عن الشعبي، حيث قال:
" حدثنا أبو الوليد أحمد بن عبد الرحمن القرشي، قال: حدثنا الوليد ابن مسلم، قال: حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري، عن عطاء بن السائب، عن الشعبي، قال: قدم وفد نجران، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أخبرنا عن عيسى... قال: فأصبح رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وغدا حسن وحسين وفاطمة وناس من أصحابه، وغدوا إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فقالوا: ما للملاعنة جئناك، ولكن جئناك لتفرض علينا شيئا نؤديه إليك... " (٢).
فإذا كان المراد من " وغدا حسن... " أنهم خرجوا مع رسول الله ليباهل بهم، فقد أخرج صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل بيته " ناسا من الصحابة "!!
وإذا كان قد خرج مع النبي " ناس من أصحابه " فلماذا لم يجعل الراوي عليا منهم في الأقل!!
لكن الشعبي - إن كانت هذه التحريفات منه لا من الرواة عنه - معروف بنزعته الأموية، ولعل في أحد الروايات التي نقلناها سابقا عن تفسير الطبري - إشارة إلى ذلك... وقد كان الشعبي أمين آل مروان،

---

(١) تفسير الطبري ٣ / ٢١١.
(٢) تاريخ المدينة المنورة ١ / ٥٨١ - ٥٨٢.

وقاضي الكوفة في زمانهم، وكان نديما لعبد الملك بن مروان مقربا إليه، وكل ذلك وغيره مذكور بترجمته في الكتب، فلتراجع.

٥ - التحريف بزيادة " عائشة وحفصة ":

وهذا اللفظ وجدته عند الحلبي، قال: " وفي لفظ: أنهم وادعوه على الغد، فلما أصبح صلى الله عليه [وآله] وسلم أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم وقال: اللهم هؤلاء أهلي...

وعن عمر رضي الله عنه، أنه قال للنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: لو لاعنتهم يا رسول الله بيد من كنت تأخذ؟ قال صلى الله عليه [وآله] وسلم: آخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة.

وهذا - أي زيادة عائشة وحفصة - دل عليه قوله تعالى: * (ونساءنا ونساءكم) * وصالحوه... " (١).

٦ - التحريف بحذف " فاطمة " وزيادة: " أبي بكر وولده وعمر وولده وعثمان وولده ":

وهذا لم أجده إلا عند ابن عساكر، وبترجمة عثمان بالذات!! من تاريخه، قال:

" أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، أنبأ أبو الفضل ابن الكريدي، أنبأ أبو الحسن العتيقي، أنا أبو الحسن الدارقطني، نا أبو الحسين أحمد بن قاج، نا محمد بن جرير الطبري - إملاء علينا - نا سعيد بن عنبسة الرازي، نا الهيثم بن عدي، قال: سمعت جعفر بن محمد، عن أبيه في هذه الآية * (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) *.

---

(١) إنسان العيون - السيرة الحلبية ٣ / ٢٣٦.

قال: فجاء بأبي بكر وولده، وبعمر وولده، وبعثمان وولده، وبعلي وولده " (١).
ورواه عنه: السيوطي (٢) والشوكاني (٣) والآلوسي (٤) والمراغي (٥) ساكتين عنه!! نعم قال الآلوسي: " وهذا خلاف ما رواه الجمهور ".
أقول:
كانت تلك محاولات القوم في قبال حديث المباهلة، وتلاعباتهم في لفظه... بغض النظر عن تعابير بعضهم عن الحديث ب " قيل " و " روي " ونحو ذلك مما يقصد منه الاستهانة به عادة.
هذا، والأليق بنا ترك التكلم على هذه التحريفات - زيادة ونقيصة - لوضوح كونها من أيد أموية، تحاول كتم المناقب العلوية، لعلمهم بدلالتها على مزايا تقتضي الأفضلية، كما حاولت في (حديث الغدير) و (حديث المنزلة) ونحوهما.
وفي (حديث المباهلة) أرادوا كتم هذه المزية، ولو بترك ذكر أصل القضية! أو بحذف اسم علي أو فاطمة الزكية،...
ولولا دلالة الحديث على الأفضلية - كما سيأتي - لما زاد بعضهم " عائشة وحفصة " إلى جنب فاطمة!!

---

(١) تاريخ دمشق - ترجمة عثمان بن عفان -: ١٦٨ - ١٦٩.
(٢) الدر المنثور ٢ / ٤٠.
(٣) فتح القدير ١ / ٣٤٨.
(٤) روح المعاني ٣ / ١٩٠.
(٥) تفسير المراغي ٤ / ١٧٥.

بل أراد بعضهم إخراج الحديث عن الدلالة بانحصار هذه المزية في أهل البيت عليهم السلام، فوضع على لسان أحدهم – وهو الإمام الباقر، يرويه عنه الإمام الصادق – ما يدل على كون المشايخ الثلاثة في مرتبة علي، وأن ولدهم في مرتبة ولده!!

وضعوه على لسان الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ليروج على البسطاء من الناس!!

وكم فعلوا من هذا القبيل على لسان أئمة أهل البيت عليهم السلام وأولادهم، في الأبواب المختلفة من التفسير والفقه والفضائل (١)!

إن ما رواه ابن عساكر لم يخرجه أحد من أرباب الصحاح والمسانيد والمعاجم، ولا يقاوم – بحسب قواعد القوم – ما أخرجه أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم، ونص الحاكم على تواتره، وغيره على ثبوته.

بل إن هذا الحديث لم يعبأ به حتى مثل ابن تيمية المتشبث بكل حشيش!

إن هذا الحديث كذب محض، باطل سندا ومتنا... ولنتكلم على اثنين من رجاله:

١ – سعيد بن عنبسة الرازي:

ليس من رجال الصحاح والسنن ونحوها، وهو كذاب، ذكره ابن أبي حاتم فقال: " سعيد بن عنبسة، أبو عثمان الخزاز الرازي... سمع منه أبي ولم يحدث عنه، وقال: فيه نظر.

حدثنا عبد الرحمن، قال: سمعت علي بن الحسين، قال: سمعت

---

(١) ذكرنا في بعض بحوثنا المنشورة نماذج من ذلك، ويا حبذا لو تجمع وتنشر في رسالة مفردة، والله الموفق.

يحيى بن معين – وسئل عن سعيد بن عنبسة الرازي – فقال: لا أعرفه.
فقيل: إنه حدث عن أبي عبيدة الحداد حديث (والآن)؟ فقال: هذا كذاب.
حدثنا عبد الرحمن، قال: سمعت علي بن الحسين يقول: سعيد بن عنبسة كذاب.
سمعت أبي يقول: كان لا يصدق " (١).
٢ – الهيثم بن عدي:
وقد اتفقوا على أنه كذاب.
قال ابن أبي حاتم: " سئل يحيى بن معين عن الهيثم بن عدي، فقال: كوفي وليس بثقة، كذاب.
سألت أبي عنه، فقال: متروك الحديث " (٢).
وأورده ابن حجر الحافظ في (لسانه) فذكر الكلمات فيه:
البخاري: ليس بثقة، كان يكذب.
يحيى بن معين: ليس بثقة، كان يكذب.
أبو داود: كذاب.
النسائي وغيره: متروك الحديث.
ابن المديني: لا أرضاه في شئ.
أبو زرعة: ليس بشئ.
العجلي: كذاب.
الساجي: كان يكذب.

---

(١) الجرح والتعديل ٤ / ٥٢.
(٢) الجرح والتعديل ٩ / ٨٥.

أحمد: صاحب أخبار وتدليس.
الحاكم والنقاش: حدث عن الثقات بأحاديث منكرة.
محمود بن غيلان: أسقطه أحمد ويحيى وأبو خيثمة.
ذكره ابن السكن وابن شاهين وابن الجارود والدارقطني في الضعفاء.
كذب الحديث - لكون الهيثم فيه - جماعة كالطحاوي في " مشكل الحديث " والبيهقي في " السنن " والنقاش والجوزجاني في ما صنفا من الموضوعات (١).
أقول:
هب أن ابن عساكر روى هذا الخبر الموضوع في كتابه " تاريخ دمشق " فإن هذا الكتاب فيه موضوعات كثيرة، كما نص عليه ابن تيمية (٢) وغيره، فما بال السيوطي ومن تبعه يذكرونه بتفسير القرآن الكريم وبيان المراد من آية من كلام الله الحكيم؟!!
* * *

---

(١) لسان الميزان ٦ / ٢٠٩.
(٢) منهاج السنة ٧ / ٤٠.

الفصل الرابع
في دلالة آية المباهلة على الإمامة
" إعلم أن يوم مباهلة النبي صلوات الله عليه وآله لنصارى نجران كان يوما عظيم الشأن، اشتمل على عدة آيات وكرامات.
فمن آياته: إنه كان أول مقام فتح الله جل جلاله فيه باب المباهلة الفاصلة في هذه الملة الفاضلة عند جحود حججه وبيناته.
ومن آياته: إنه أول يوم ظهرت لله جل جلاله ولرسوله صلوات الله عليه وآله العزة بإلزام أهل الكتاب من النصارى الذلة والجزية، ودخولهم عند حكم نبوته ومراداته.
ومن آياته: إنه كان أول يوم أحاطت فيه سرادقات القوة الإلهية والقدرة النبوية بمن كان يحتج عليه بالمعقول والمنقول والمنكرين لمعجزاته.
ومن آياته: إنه أول يوم أشرقت شموسه بنور التصديق لمحمد صلوات الله عليه من جانب الله جل جلاله بالتفريق بين أعدائه وأهل ثقاته.
ومن آياته: إنه يوم أظهر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله تخصيص أهل بيته بعلو مقاماتهم.
ومن آياته: إنه يوم كشف الله جل جلاله لعباده أن الحسن والحسين عليهما أفضل السلام، - مع ما كانا عليه من صغر السن - أحق بالمباهلة من صحابة رسول الله صلوات الله عليه والمجاهدين في رسالاته.
ومن آياته: إنه يوم أظهر الله جل جلاله فيه أن ابنته المعظمة فاطمة

صلوات الله عليها أرجح في مقام المباهلة من أتباعه وذوي الصلاح من رجاله وأهل عناياته.

ومن آياته: إنه يوم أظهر الله جل جلاله فيه أن مولانا علي بن أبي طالب نفس رسول الله صلوات الله عليهما، وإنه من معدن ذاته وصفاته، وأن مراده من مراداته، وإن افترقت الصورة فالمعنى واحد في الفضل من سائر جهاته.

ومن آياته: إنه يوم وسم كل من تأخر عن مقام المباهلة بوسم يقتضي أنه دون من قدم عليه في الاحتجاج لله عز وجل ونشر علاماته.

ومن آياته: إنه يوم لم يجر مثله قبل الإسلام في ما عرفنا من صحيح النقل ورواياته.

ومن آياته: إنه يوم أخرس ألسنة الدعوى، وعرس في مجلس منطق الفتوى بأن أهل المباهلة أكرم على الله جل جلاله من كل من لم يصلح لما صلحوا له من المتقربين بطاعاته وعباداته.

ومن آياته: إن يوم المباهلة يوم بيان برهان الصادقين الذين أمر الله جل جلاله باتباعهم في مقدس قرآنه وآياته.

ومن آياته: إن يوم المباهلة يوم شهد الله جل جلاله لكل واحد من أهل المباهلة بعصمته مدة حياته.

ومن آياته: إن يوم المباهلة أقرب في تصديق صاحب النبوة والرسالة من التحدي بالقرآن، وأظهر في الدلالة، الذين تحداهم صلوات الله عليه بالقرآن قالوا: * (لو نشاء لقلنا مثل هذا) * (١)، وإن كان قولهم في مقام

---

(١) سورة الأنفال ٨: ٣١.

البهتان. ويوم المباهلة ما أقدموا على دعوى الجحود للعجز عن مباهلته لظهور حجته وعلاماته.
ومن آياته: إنه يوم أطفأ الله به نار الحرب، وصان وجوه المسلمين من الجهاد والكرب، وخلصهم من هيجان المخاطرة بالنفوس والرؤوس، وعتقها من رق الغزو والبؤس لشرف أهل المباهلة الموصوفين فيها بصفاته.
ومن آياته: إن البيان واللسان والجنان اعترفوا بالعجز عن كمال كراماته " (١).
واستدل علماء الإمامية بآية المباهلة، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا إليها الإمام عليا وفاطمة والحسن والحسين فقط... على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام.
* استدلال الإمام الرضا عليه السلام:
وأما وجه دلالة الآية على الإمامة، فإن الإمامية أخذت ذلك من الإمام أبي الحسن علي الرضا عليه السلام، فقد قال الشريف المرتضى الموسوي طاب ثراه:
" حدثني الشيخ - أدام الله عزه - أيضا، قال: قال المأمون يوما للرضا عليه السلام:
أخبرني بأكبر فضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام يدل عليها القرآن.
قال: فقال له الرضا عليه السلام: فضيلته في المباهلة، قال الله جل جلاله: * (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل

---
(١) الإقبال بصالح الأعمال: ٥١٤.

لعنة الله على الكاذبين) *.
فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين فكانا ابنيه، ودعا فاطمة فكانت - في هذا الموضع - نساءه، ودعا أمير المؤمنين فكان نفسه بحكم الله عز وجل.
وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله سبحانه أجل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأفضل، فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحكم الله عز وجل.
قال: فقال له المأمون: أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع، وإنما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنيه خاصة، وذكر النساء بلفظ الجمع، وإنما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته وحدها. فلم لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره، فلا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام ما ذكرت من الفضل؟!
قال: فقال له الرضا عليه السلام: ليس بصحيح ما ذكرت - يا أمير المؤمنين - وذلك أن الداعي إنما يكون داعيا لغيره، كما يكون الآمر آمرا لغيره، ولا يصح أن يكون داعيا لنفسه في الحقيقة، كما لا يكون آمرا لها في الحقيقة، وإذا لم يدع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا في المباهلة إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ثبت أنه نفسه التي عناها الله تعالى في كتابه، وجعل حكمه ذلك في تنزيله.
قال: فقال المأمون: إذا ورد الجواب سقط السؤال " (١).
* وقال الشيخ المفيد - بعد أن ذكر القصة -: " وفي قصة أهل نجران

---

(١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٣٨.

بيان عن فضل أمير المؤمنين عليه السلام، مع ما فيه من الآية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمعجز الدال على نبوته.

ألا ترى إلى اعتراف النصارى له بالنبوة، وقطعه عليه السلام على امتناعهم من المباهلة، وعلمهم بأنهم لو باهلوه لحل بهم العذاب، وثقته عليه وآله السلام بالظفر بهم والفلج بالحجة عليهم، وأن الله تعالى حكم في آية المباهلة لأمير المؤمنين عليه السلام بأنه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كاشفا بذلك عن بلوغه نهاية الفضل، ومساواته للنبي عليه وآله السلام في الكمال والعصمة من الآثام، وأن الله جل ذكره جعله وزوجته وولديه - مع تقارب سنهما - حجة لنبيه عليه وآله السلام وبرهانا على دينه، ونص على الحكم بأن الحسن والحسين أبناؤه، وأن فاطمة عليها السلام نساؤه المتوجه إليهن الذكر والخطاب في الدعاء إلى المباهلة والاحتجاج؟!

وهذا فضل لم يشركهم فيه أحد من الأمة، ولا قاربهم فيه ولا ماثلهم في معناه، وهو لاحق بما تقدم من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام الخاصة به، على ما ذكرناه " (١).

* وهكذا استدل الشريف المرتضى، حيث قال: " لا شبهة في دلالة آية المباهلة على فضل من دعي إليها وجعل حضوره حجة على المخالفين، واقتضائها تقدمه على غيره، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يجوز أن يدعو إلى ذلك المقام ليكون حجة فيه إلا من هو في غاية الفضل وعلو المنزلة.

وقد تظاهرت الرواية بحديث المباهلة، وأن النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ١ / ١٦٩.

وسلم دعا إليها أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، وأجمع أهل النقل وأهل التفسير على ذلك...

ونحن نعلم أن قوله (وأنفسنا وأنفسكم) لا يجوز أن يعني بالمدعو فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه هو الداعي، ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه، وإنما يصح أن يدعو غيره، كما لا يجوز أن يأمر نفسه وينهاها، وإذا كان قوله تعالى: (وأنفسنا وأنفسكم) لا بد أن يكون إشارة إلى غير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وجب أن يكون إشارة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه لا أحد يدعي دخول غير أمير المؤمنين وغير زوجته وولديه عليه السلام في المباهلة (١).

* وقال الشيخ الطوسي: (أحد ما يستدل به على فضله عليه السلام، قوله تعالى (قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل...) إلى آخر الآية.

ووجه الدلالة فيها: أنه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعا أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام إلى المباهلة، وأجمع أهل النقل والتفسير على ذلك، ولا يجوز أن يدعو إلى ذلك المقام ليكون حجة إلا من هو في غاية الفضل وعلو المنزلة، ونحن نعلم أن قوله: (وأنفسنا وأنفسكم) لا يجوز أن يعني بالمدعو فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: لأنه هو الداعي، ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه، وإنما يصح أن يدعو غيره كما لا يجوز أن يأمر نفسه وينهاها.

وإذا كان قوله تعالى: (وأنفسنا وأنفسكم لا بد أن يكون إشارة إلى

---

(١٠) الشافي في الإمامة ٢ / ٢٥٤.

غير الرسول، وجب أن يكون إشارة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، لأنه لا أحد يدعي دخول غير أمير المؤمنين وغير زوجته وولديه عليهم السلام في المباهلة...) (١)

وقال التفسير الآية: (واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن أمير المؤمنين عليه السلام كان أفضل الصحابة من وجهين:

أحدهما: إن موضوع المباهلة ليتميز المحق من المبطل، وذلك لا يصح أن يفعل إلا بمن هو مأمون الباطن، مقطوعا على صحة عقيدته، أفضل الناس عند الله.

والثاني: إنه صلى الله عليه وآله وسلم جعله مثل نفسه بقوله: (وأنفسنا وأنفسكم...) (٢)

* وقال الإربلي: (ففي هذه القضية بيان لفضل علي عليه السلام، وظهور معجز النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن النصارى علموا أنهم متى باهلوه حل بهم العذاب، فقبلوا الصلح ودخلوا تحت الهدنة، وإن الله تعالى أبان أن عليا هو نفس رسول الله كاشفا بذلك عن بلوغه نهاية الفضل، ومساواته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في الكمال والعصمة من الأيام، وإن الله جعله وزوجته وولديه - مع تقارب سنهما - حجة لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وبرهانا على دينه، ونص على الحكم بأن الحسن والحسين أبناؤه، وأن فاطمة عليها السلام نساؤه المتوجه إليهن الذكر والخطاب في الدعاء إلى المباهلة والاحتجاج، وهذا فضل لم يشاركهم فيه أحد من الأمة

---

(١) تلخيص الشافي ٣ / ٦ - ٧.

(٢) التبيان في تفسير القرآن ٢ / ٤٨٥.

ولا قاربهم (١)
* وقال البياضي: ولأنه مساو للنبي الذي هو أفضل، في قوله وأنفسنا وأنفسكم) والمراد: المماثلة، لامتناع الاتحاد (٢).
* وقال المحقق نصير الدين الطوسي في أن عليا أفضل الصحابة -.
ولقوله تعالى: (وأنفسنا).
فقال العلامة الحلي بشرحه هذا هو الوجه الثالث الدال على أنه عليه السلام أفضل من غيره وهو قوله تعالى (قل تعالوا...)
واتفق المفسرون كافة إن الأبناء إشارة إلى الحسن والحسين عليهما السلام والنساء إشارة إلى فاطمة عليها السلام، والأنفس إشارة إلى علي عليه السلام.
ولا يمكن أن يقال: إن نفسهما واحدة فلم يبق المراد من دلك إلا المساوي، ولا شك في أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الناس، فمساويه كذلك أيضا (٣).
* وقال العلامة الحلي: أجمع المفسرون على أن (أبناءنا) إشارة إلى الحسن والحسين، و (أنفسنا) إشارة إلى علي عليه السلام. فجعله الله نفس محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والمراد المساواة، ومساوي الأكمل الأولى بالتصرف أكمل وأولى بالتصرف، وهذه الآية أدل دليل على علو رتبة مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لأنه تعالى حكم بالمساواة لنفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه تعالى عينه في استعانة النبي

---
(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة ١ / ٢٣٣.
(٢) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ١ / ٢١٠.
(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٣٠٤.

صلى الله عليه وآله وسلم في الدعاء. وأي فضيلة أعظم من أن يأمر الله نبيه بأن يستعين به على الدعاء إليه والتوسل به؟! ولمن حصلت هذه المرتبة؟! (١).

أقول:

وعلى هذا الغرار كلمات غير هم من علمائنا الكبار في مختلف الأعصار... فإنهم استدلوا على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بطائفتين من الأدلة، الأولى هي النصوص، والثانية هي الدالة على الأفضلية، والأفضلية مستلزمة للإمامة، وهو المطلوب.

وخلاصة الاستدلال بالآية هو:

١ - إن الآية المباركة نص في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، لأنها تدل على المساواة بين النبي وبينه عليه السلام، ومساوي الأكمل الأولى بالتصرف، أكمل وأولى بالتصرف.

٢ - إن قضية المباهلة وما كان من النبي صلى الله عليه وآله وسلم - قولا وفعلا - تدل على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك لوجوه منها:

أولا: إن هذه القضية تدل على أن عليا وفاطمة والحسنين عليهم السلام، أحب الناس إلى رسول الله، والأحبية تستلزم الأفضلية.

وقد اعترف المحققون من أهل السنة بالدلالة هنا على الأحبية.

قال البيضاوي: أي يدع كل منا ومنكم نفسه وأعزة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة... (٢)

---

(١) نهج الحق وكشف الصدق: ١٧٧.

(٢) تفسير البيضاوي. بحاشية الشهاب ٣ / ٣٢.

فقال الشهاب الخفاجي في حاشيته: ألصقهم بقلبه، أي: أحبهم وأقربهم إليه.
وقال: قوله: وإنما قدمهم...، يعني: أنهم أعز من نفسه، ولذا يجعلها فداء لهم، فلذا قدم ذكر هم اهتماما به. وأما فضل آل الله والرسول فالنهار لا يحتاج إلى دليل (١).
وكذا، قال الخطيب الشربيني (٢)، والشيخ سليمان الجمل (٣)، وغير هما.
وقال القاري: فنزله منزلة نفسه لما بينهما من القرابة والأخوة (٤)
وثانيا: دلالة فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ باهل خصومه بعلي وفاطمة وحسن حسين فقط، ولم يدع واحدة من أزواجه، ولا واحدا من بني هاشم، ولا امرأة من أقرابائه... فضلا عن أصحابه وقومه... فإنه يدل على عظمة الموقف، وجلالة شأن هؤلاء عند الله دون غير هم، إذ لو كان لأحدهم في المسلمين مطلقا نظير، لم يكن لتخصيصهم بذلك وجه.
وثالثا: دلالة قوله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل البيت، لما أخرجهم للمباهلة: إذا أنا دعوت فأمنوا.
فقال أسقفهم: أني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا من جباله لأزاله، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٣ / ٣٢
(٢) السراج المنير في تفسير القرآن ١ / ٢٢٢.
(٣) الجمل على الجلالين ١ / ٢٨٢.
المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ٥٨٩.

يوم القيامة (١).
فإن ذلك يدل على دخل لهم في ثبوت نبوته وصدق كلامه، وفي إذلال الخصوم وهلاكهم لو باهلوا...، فكان لهم الأثر الكبير والسهم الجزيل في نصرة الدين ورسول رب العالمين. ولا ريب أن من كان له هذا الشأن في مباهلة الأنبياء كان أفضل ممن ليس له ذلك.
قال القاساني: إن لمباهلة الأنبياء تأثيرا عظيما سببه اتصال نفوسهم بروح القدس وتأييد الله إياهم به، وهو المؤثر بإذن الله في العالم العنصري، فيكون انفعال العالم العنصري منه كانفعال بدننا من روحنا في الهيئات الواردة عليه، كالغضب، والحزن، والفكر في أحوال المعشوق، وغير ذلك من تحرك الأعضاء عند حدوث الإرادات والعزائم، وانفعال النفوس البشرية منه كانفعال حواسنا وسائر قوانا من هيئات أرواحنا، فإذا اتصل نفس قدسي به كان تأثيرها في العالم عند التوجه الاتصالي تأثير ما يتصل به، فتنفعل أجرام العناصر والنفوس الناقصة الإنسانية منه بما أراد.
ألم تر كيف انفعلت نفوس النصارى من نفسه عليه السلام بالخوف، وأحجمت عن المباهلة وطلبت الموادعة بقبول الجزية؟ (٢).
أقول: فكان أهل البيت عليهم السلام شركاء مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذا التأثير العظيم، وهذه مرتبة لم يبلغ عشر معشارها غير هم من الأقرباء والأصحاب.
وعلى الجملة، فإن المباهلة تدل على أفضلية أمير المؤمنين

---

(١) الكشاف ١ / ٣٦٩، تفسير الخازن ١ / ٢٤٢، السراج المنير في تفسير القرآن ١ / ٢٢٢، تفسير المراغي ٣ / ١٧٥، وغير هم ممن تقدم أم تأخر.
(٢) تفسير القاسمي ٢ / ٨٥٧

عليه السلام بعد رسول الله صلى عليه وآله وسلم، والأفضل هو المتعين للإمامة بالاتفاق من المسلمين، كما اعترف به حتى مثل ابن تيمية (١).
ونتيجة الاستدلال بالآية المباركة وما فعله النبي وقاله، هو أن الله عز وجل أمر رسوله بأن يسمي عليا نفسه كي يبين للناس أن عليا هو الذي يتلوه ويقوم مقامه في الإمامة الكبرى والولاية العامة لأن غير الواجد لهذه المناصب لا يأمر الله رسوله بأن يسميه نفسه.
هذا، وفي الآية دلالة على أن الحسنين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا ما نص عليه غير واحد من أكابر القوم (٢).
وقد جاء في الكتب أن عليا عليه السلام كان الكاتب لكتاب الصلح (٣) وأنه توجه بعد ذلك إلى نجران بأمر النبي لجمع الصدقات ممن أسلم منهم وأخذ الجزية ممن بقي منهم على دينه (٤).
ثم إن أصحابنا يعضدون دلالة الآية الكريمة على المساواة بعدة من الروايات: كقوله صلى الله عليه وآله وسلم لبريدة بن الحصيب عندما شكا عليا عليه السلام: يا بريدة! لا تبغض عليا فإنه مني وأنا منه ولعموم المسلمين في تلك القصة: علي مني وأنا من علي، وهو وليكم من بعدي (٥).
وقوله وقد سئل عن بعض أصحابه، فقيل: فعلي؟! قال: إنما

---

(١) نص عليه في مواضع من منهاجه، أنظر مثلا: ٦ / ٤٧٥ و ٨ / ٢٢٨.
(٢) تفسير الرازي وغيره من التفاسير، بتفسير الآية.
(٣) سنن البيهقي ١٠ / ١٢٠، وغيره.
(٤) شرح المواهب اللدنية ٤ / ٤٣.
(٥) هذا حديث الولاية، وقد بحثنا عنه بالتفصيل سندا ودلالة في الجزء الخامس عشر من كتابنا الكبير نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار وهو مائل للطبع.

سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي (١).
وقوله: خلقت أنا وعلي من نور واحد.
وقوله: خلقت أنا وعلي من شجرة واحدة (٢).
وقوله - في جواب قول جبرئيل في أحد: يا محمد! إن هذه لهي المواساة -: يا جبرئيل، إنه مني وأنا منه. فقال جبرئيل: وأنا منكما (٣).
أقول: وستأتي أحاديث أخر فيما بعد، إن شاء الله.
ومما يستدل به أيضا: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: فاطمة بضعة مني... حيث استدل به غير واحد من أئمة القوم بأفضلية فاطمة من أبي بكر وعمر، لكونها بضعة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أفضل منهما بالإجماع (٤)، فإن عليا عليه السلام أفضل منها بالإجماع كذلك.
ثم إن غير واحد من أعلام أهل السنة اعترف بدلالة القصة على فضيلة فائقة لأهل البيت عليهم السلام:
قال الزمخشري: وفيه دليل لا شئ أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام (٥).

---

(١) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ١٥٥.
(٢) حديث النور، وحديث الشجرة، بحثنا عنهما بالتفصيل سندا ودلالة في الجزء الخامس من كتابنا الكبير نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار المطبوع منه حتى الآن ١٢ جزءا
(٣) مسند أحمد ٤ / ٤٣٧، المستدرك على الصحيحين ٣ / ١١، تاريخ الطبري ٣ / ١٧، الكامل في التاريخ ٢ / ٦٣ ومصادر أخرى في التاريخ والحديث.
(٤) فتح الباري ٧ / ١٣٢، فيض القدير ٤ / ٤٢١، المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ٣٤٨.
(٥) الكشاف ١ / ٣٧٠

وقال ابن روزبهان: لأمير المؤمنين علي عليه السلام في هذه الآية فضيلة عظيمة وهي مسلمة، ولكن لا تصير دالة على النص بإمامته (١).

أقول: فلا أقل من الدلالة على الأفضلية لأن هذه الفضيلة غير حاصلة لغيره، فهو أفضل الصحابة، والأفضلية تستلزم الإمامة.

ومن هنا نرى الفخر الرازي لا يقدح في دلالة الآية على أفضلية علي على سائر الصحابة، وإنما يناقش الشيخ الحمصي في استدلاله بها على أفضليته على سائر الأنبياء، وسيأتي كلامه في الفصل الخامس.

وتبعه النيسابوري وهذه عبارته: أي: يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ويأت هو بنفسه وبمن هو كنفسه إلى المباهلة، وإنما يعلم إتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن إحضار من هم أعز من النفس، ويعلم إتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة أن الإنسان لا يدعو نفسه. (ثم نبتهل): ثم نتباهل...

وفي الآية دلالة على أن الحسن والحسين - وهما ابنا البنت - يصح أن يقال: إنهما ابنا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، لأنه صلى الله عليه (وآله) وسلم وعد أن يدعو أبناءه ثم جاء بهما.

وقد تمسك الشيعة قديما وحديثا بها في أن عليا أفضل من سائر الصحابة لأنها دلت على أن نفس علي مثل نفس محمد إلا في ما خصه الدليل.

وكان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي - وكان

---

(١) إبطال الباطل - مع إحقاق الحق - ٣ / ٦٣.

متكلم الاثني عشرية – يزعم أن عليا أفضل من سائر الأنبياء سوى محمد.
قال: وذلك أنه ليس المراد بقوله: (وأنفسنا) نفس محمد، لأن الإنسان لا يدعو نفسه، فالمراد غيره، وأجمعوا على أن الغير كان علي بن أبي طالب...
وأجيب بأنه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على أن محمدا أفضل من سائر الأنبياء فكذا انعقد الاجماع بينهم – قبل ظهور هذا الإنسان – على أن النبي أفضل ممن ليس بنبي. وأجمعوا على أن عليا عليه السلام ما كان نبيا...
وأما فضل أصحاب الكساء فلا شك في دلالة الآية على ذلك، ولهذا ضمهم إلى نفسه، بل قدمهم في الذكر... (١).
* * *

---
(١) تفسير النيسابوري – هامش الطبري – ٣ / ٢١٤ – ٢١٥.

الفصل الخامس
في دفع شبهات المخالفين
وتلخص الكلام في الفصل السابق في أن الآية المباركة دالة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، إن لم يكن بالنص فبالدلالة على العصمة على الأفضلية للأحبية والأقربية وغير هما من الوجوه... ولم يكن هناك أي مجال للطعن في سند الحديث أو التلاعب بمتنه...
فلننظر في كلمات المخالفين في مرحلة الدلالة:
* أما إمام المعتزلة، فقد قال:
دليل آخر لهم: وربما تعلقوا بآية المباهلة وأنها لما نزلت جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأن ذلك يدل على أنه الأفضل، وذلك يقتضي أنه بالإمامة أحق، ولا بد من أن يكون هو المراد بقوله: (وأنفسنا وأنفسكم) الآية. لأنه عليه السلام لا يدخل تحت قوله تعالى: (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم) فيجب أن يكون داخلا تحت قوله: (وأنفسنا وأنفسكم)، ولا يجوز أن يجعله من نفسه إلا وهو يتلوه في الفضل.
وهذا مثل الأول في أنه كلام في التفضيل، ونحن نبين أن الإمامة قد تكون في من ليس بأفضل.
وفي شيوخنا من ذكر عن أصحاب الآثار أن عليا عليه السلام لم يكن

في المباهلة.
قال شيخنا أبو هاشم: إنما خصص صلى الله عليه وآله وسلم من تقرب منه في النسب ولم يقصد الإبانة عن الفضل، ودل على ذلك بأنه عليه السلام أدخل فيها الحسن والحسين عليهما السلام مع صغر هما لما اختصا به من قرب النسب. وقوله: (وأنفسنا وأنفسكم) يدل على هذا المعنى، لأنه أراد قرب القرابة، كما يقال في الرجل يقرب في النسب من القوم: أنه من أنفسهم.
ولا ينكر أن يدل ذلك على لطف محله من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشدة محبته له وفضله، وإنما أنكرنا أن يدل ذلك على أنه الأفضل أو على الإمامة... (١).
أقول:
ويتلخص هذا الكلام في أمور:
الأول: إن الإمامة قد تكون في من ليس بأفضل.
وهذا - في الواقع - تسليم باستدلال الإمامية بالآية على أفضلية أمير المؤمنين عليه السلام، وكون الإمامة في من ليس بأفضل لم يرتضه حتى مثل ابن تيمية!
والثاني: إن عليا لم يكن في المباهلة.
وهذا أيضا دليل على تمامية استدلال الإمامية، وإلا لم يلتجؤا إلى هذه

---

(١) المغني في الإمامة: ٢٠ القسم ١ / ١٤٢.

الدعوى، كما التجأ بعضهم - كالفخر الرازي - في الجواب عن حديث الغدير، بأن عليا لم يكن في حجة الوداع!

والثالث: إنه لم يكن القصد إلى الإبانة عن الفضل، بل أراد قرب القرابة.

وهذا باطل، لأنه لو أراد ذلك فقط، لأخرج غيرهم من أقربائه كالعباس، وهذا ما تنبه إليه ابن تيمية فأجاب بأن العباس لم يكن من السابقين الأولين، فاعترف - من حيث يدري أو لا يدري - بالحق.

هذا، ولا يخفى أن معتمد الأشاعرة في المناقشة هو هذا الوجه الأخير، وبهذا يظهر أن القوم عيال على المعتزلة، وكم له من نظير!!

* وقال ابن تيمية (١):

أما أخذه عليا وفاطمة والحسن والحسين في المباهلة، فحديث صحيح، رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص. قال في حديث طويل: لما نزلت هذه الآية: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) دعا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

ولكن لا دلالة في ذلك على الإمامة ولا على الأفضلية.

وقوله: (قد جعل الله نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والاتحاد محال، فبقي المساواة له، وله الولاية العامة، فكذا لمساويه).

قلنا: لا نسلم أنه لم يبق إلا المساواة، ولا دليل على ذلك، بل حمله

---

(١) أوردنا كلامه بطوله، ليظهر أن غيره تبع له، ولئلا يظن ظان أنا تركنا منه شيئا له تأثير في البحث!

على ذلك ممتنع لأن أحدا لا يساوي رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، لا عليا ولا غيره.
وهذا اللفظ في لغة العرب لا يقتضي المساواة، قال تعالى في قصة الإفك: (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) وقد قال في قصة بني إسرائيل: (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم) أي: يقتل بعضكم بعضا، ولم يوجب ذلك أن يكونوا متساوين، ولا أن يكون من عبد العجل مساويا لمن لم يعبده.
وكذلك قد قيل في قوله: (ولا تقتلوا أنفسكم) أي: لا يقتل بعضكم بعضا، وإن كانوا غير متساويين.
وقال تعالى: (ولا تلمزوا أنفسكم) أ ي: لا يلمز بعضكم بعضا فيطعن عليه و يعيبه، وهذا نهي لجميع المؤمنين أن لا يفعل بعضهم ببعض هذا الطعن، مع أنهم غير متساوين لا في الأحكام ولا في الفضيلة، ولا الظالم كالمظلوم، ولا الإمام كالمأموم.
ومن هذا الباب قوله تعالى: (ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم) أي: يقتل بعضكم بعضا.
وإذا كان اللفظ في قوله: (وأنفسنا وأنفسكم) كاللفظ في قوله: (ولا تلمزوا أنفسكم).. (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) ونحو ذلك، مع أن التساوي هنا ليس بواجب، بل ممتنع، فكذلك هناك وأشد.
بل هذا اللفظ يدل على المجانسة والمشابهة، والتجانس والمشابهة يكون بالاشتراك في بعض الأمور، كالاشتراك في الإيمان، فالمؤمنون إخوة

في الإيمان، وهو المراد بقوله: (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) وقوله: (ولا تلمزوا أنفسكم)
وقد يكون بالاشتراك في الدين، وإن كان فيهم المنافق، كاشتراك المسلمين في الإسلام الظاهر، إن كان مع ذلك الاشتراك في النسب فهو أوكد، وقوم موسى كانوا (أنفسنا) بهذا الاعتبار.
قوله تعالى: (تعلوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أي: رجالنا ورجالكم، أي: الرجال الذين هم من جنسنا في الدين والنسب، والرجال الذين هم من جنسكم، والمراد التجانس في القرابة فقط لأنه قال: (أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم) فذكر الأولاد وذكر النساء والرجال، فعلم أنه أراد الأقربين إلينا من الذكور والإناث من الأولاد والعصبة ولهذا دعا الحسن والحسين من الأبناء ودعا فاطمة من النساء، ودعا عليا من رجاله، ولم يكن عنده أحد أقرب إليه نسبا من هؤلاء، وهم الذين أدار عليهم الكساء.
والمباهلة إنما تحصل بالأقربين إليه، وإلا فلو باهل بالأبعدين في النسب وإن كانوا أفضل عند الله كم يحصل المقصود، فإن المراد أنهم يدعون الأقربين كما يدعو هو الأقرب إليه.
والنفوس تحنو على أقاربها ما لا تحنو على غير هم، وكانوا يعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم، ويعلمون أنهم إن باهلوه نزلت البهلة عليهم وعلى أقاربهم، واجتمع خوفهم على أنفسهم وعلى أقاربهم، فكان ذلك أبلغ في امتناعهم وإلا فالإنسان قد يختار أن يهلك ويحيا ابنه، والشيخ الكبير قد يختار الموت إذا بقي أقاربه في نعمة ومال، وهذا موجود كثير، فطلب منهم المباهلة بالأبناء والنساء والرجال والأقربين من الجانبين،

فلهذا دعا هؤلاء.
وآية المباهلة نزلت سنة عشر، لما قدم وفد نجران، ولم يكن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم قد بقي من أعمامه إلا العباس، والعباس لم يكن من السابقين الأولين، ولا كان له به اختصاص كعلي.
وأما بنو عمه فلم يكن فيهم مثل علي، وكان جعفر قد قتل قبل ذلك، فإن المباهلة كانت لما قدم وفد نجران سنة تسع أو عشر، وجعفر قتل بمؤتة سنة ثمان، فتعين علي رضي الله عنه.
وكونه تعين للمباهلة إذ ليس في الأقارب من يقوم مقامه، لا يوجب أن يكون مساويا للنبي صلى الله عليه (وآله) وسلم في شئ من الأشياء، بل ولا أن يكون أفضل من سائر الصحابة مطلقا، بل له بالمباهلة نوع فضيلة، وهي مشتركة بينه وبين فاطمة وحسن وحسين، ليست من خصائص الإمامة، فإن خصائص الإمامة لا تثبت للنساء، ولا يقتضي أن يكون من باهل به أفضل من جميع الصحابة، كما لم يوجب أن تكون فاطمة وحسن وحسين أفضل من جميع الصحابة.
وأما قول الرافضي: لو كان غير هؤلاء مساويا لهم أو أفضل منهم في استجابة الدعاء لأمره تعالى بأخذهم معه لأنه في موضع الحاجة.
فيقابل في الجواب: لم يكن المقصود إجابة الدعاء، فإن دعاء النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم وحده كاف، ولو كان المراد بمن يدعوه معه أن يستجاب دعاؤه لدعا المؤمنين كلهم ودعا بهم، كما كان يستسقي بهم وكما كان يستفتح بصعاليك المهاجرين، وكان يقول: وهل تنصرون أو ترزقون إلا بضعفائكم؟! بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم!
ومن المعلوم أن هؤلاء وإن كانوا مجابين، فكثرة الدعاء أبلغ في

الإجابة، لكن لم يكن المقصود دعوة من دعاه لإجابة دعائه، بل لأجل المقابلة بين الأهل والأهل!

ونحن نعلم بالاضطرار أن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم لو دعا أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير ابن مقود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وغير هم للمباهلة، لكانوا أعظم الناس استجابة لأمره، وكان دعاء هؤلاء وغير هم أبلغ في إجابة الدعاء، لكن لم يأمره الله سبحانه بأخذهم معه، لأن ذلك لا يحصل به القصود.

فإن المقصود أن أولئك يأتون بمن يشفقون عليه طبعا، كأبنائهم ونسائهم ورجالهم الذين هم أقرب الناس إليهم، فلو دعا النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم قوما أجانب لأتى أولئك بأجانب، ولم يكن يشتد عليه نزول البهلة بأولئك الأجانب، كما يشتد عليهم نزولها بالأقربين إليهم، فإن طبع البشر يخاف على أقربيه ما لا يخاف على الأجانب، فأمر النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم أن يدعو قرابته وأن يدعو أولئك قرابتهم.

والناس عند المقابلة تقول كل طائفة للأخرى: ارهنوا عندنا أبناءكم ونساءكم، فلو رهنت إحدى الطائفتين أجنبيا لم يرض أولئك، كما أنه لو دعا النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم الأجانب لم يرض أولئك المقابلون له، ولا يلزم أن يكون أهل الرجل أفضل عند الله إذا قابل بهم لمن يقابله بأهله.

فقد تبين أن الآية لا دلالة فيها أصلا على مطلوب الرافضي.

لكنه – وأمثاله ممن في قلبه زيغ – كالنصارى الذين يتعلقون بالألفاظ المجملة ويدعون النصوص الصريحة، ثم قدحه في خيار الأمة بزعمه الكاذب، حيث زعم أن المراد بالأنفس المساوون، وهو خلاف المستعمل

في لغة العرب.
ومما يبين ذلك أن قوله: (نساءنا) لا يختص بفاطمة، بل من دعاه من بناته كانت بمنزلتها في ذلك، لكن لم يكن عنده إذ ذاك إلا فاطمة، فإن رقية وأم كلثوم وزينب كن قد توفين قبل ذلك.
فكذلك (أنفسنا) ليس مختصا بعلي، بل هذه صيغة جمع، كما أن (نساءنا) صيغة جمع، وكذلك (أبناءنا) صيغة جمع، وإنما دعا حسنا وحسينا لأنه لم يكن ممن ينسب إليه بالبنوة سواهما، فإن إبراهيم إن كان موجودا إذ ذاك فهو طفل لا يدعى، فإن إبراهيم هو ابن مارية القبطية التي أهداها له المقوقس صاحب مصر، وأهدى له البغلة مارية وسيرين، فأعطى سيرين لحسان بن ثابت، وتسرى مارية فولدت له إبراهيم، وعاش بضعة عشر شهرا ومات، فقال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم: إن له مرضعا في الجنة تتم رضاعته، وكان إهداء المقوقس بعد الحديبية بل بعد حنين (١).
أقول:
كان هذا نص كلام ابن تيمية في مسألة المباهلة، وقد جاء فيه:
١ - الاعتراف بصحة الحديث.
وفيه رد على المشككين في صحته وثبوته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
٢ - الاعتراف باختصاص القضية بالأربعة الأطهار.

---
(١) منهاج السنة ٧ / ١٢٢ - ١٣٠.

وفيه رد على المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام، المحرفين للحديث بنقص علي منهم أو زيادة غير هم عليهم!!
٣ - الاعتراف بأنهم هم الذين أدار عليهم الكساء.
وفيه رد على من زعم دخول غير هم في آية التطهير، بل فيه دلالة على تناقض ابن تيمية، لزعمه - في موضع من منهاجه - دخول الأزواج أخذا بالسياق، كما تقدم في مبحث تلك الآية.
٤ - الاعتراف بأن في المباهلة نوع فضيلة لعلي.
وفيه رد على من يحاول إنكار ذلك.
ثم إن ابن تيمية ينكر دلالة الحديث على الإمامة مطلقا، بكلام مضطرب مشتمل على التهافت، وعلى جواب - قال الدهلوي عنه: - هو من كلام النواصب!!
* فأول شئ قاله هو: إن أحدا لا يساوي رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم.
ونحن أيضا نقول: إن أحدا لا يساويه لولا الآية والأحاديث القطعية الواردة عنه، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: علي مني وأنا من علي، وهو وليكم بعدي (١) وقوله - في قصة سورة البراءة -: لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني (٢).

---

(١) هذا حديث الولاية، وهو من أصح الأحاديث وأثبتها، وقد بحثنا عنه سندا ودلالة في الجزء الخامس عشر من أجزاء كتابنا الكبير نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار وهو تحت الطبع.
(٢) وهذا أيضا من أصح الأحاديث وأثبتها، راجع: مسند أحمد ١ / ٣، ١٥١، وصحيح الترمذي، الخصائص للنسائي، والمستدرك على الصحيحين، وراجع التفاسير في سورة البراءة.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم - لو فد ثقيف - لتسلمن أو لأبعثن عليكم رجلا مني - أو قال: مثل نفسي - ليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم قال عمر: فوالله ما تمنيت الإمارة إلا يومئذ، فجعلت أنضب صدري رجاء أن يقول: هو هذا. فالتفت إلى علي فأخذ بيده وقال: هو هذا، هو هذا (١).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم منزلا إياه منزلة نفسه: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرف له أبو بكر وعمر وغير هما، كل يقول: أنا هو؟ قال: لا ثم قال: ولكن خاصف النعل وكان قد أعطى عليا نعله يخصفها (٢).

إلى غير ذلك من الأحاديث، وقد سبق ذكر بعضها أيضا.

فإذا كان هذا قول الله وكلام الرسول، فماذا نفعل نحن؟!

* ثم إنه أنكر دلالة لفظ " الأنفس " على " المساواة " في لغة العرب، فقال بأن المراد منه في الآية هو من يتصل بالقرابة، واستشهد لذلك بآيات من القرآن.

لكن ماذا يقول ابن تيمية في الآيات التي وقع فيه المقابلة بين النفس والأقرباء كما في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) (٣) وقوله: (الذين خسروا أنفسهم

---

(١) راجع: الإستيعاب ٣ / ١١٠٩، ترجمة أمير المؤمنين

(٢) أخرجه أحمد ٣ / ٣٣، والحاكم ٣ / ١٢٢، والنسائي في الخصائص، وابن عبد البر وابن حجر وابن الأثير بترجمته، وكذا غيرهم.

(٣) سورة التحريم ٦٦: ٦.

وأهليهم) (١) فكذلك آية المباهلة.
غير أن النفس في الآيتين المذكورتين مستعملة في نفس الإنسان على وجه الحقيقة، أما في آية المباهلة فهي مستعملة - لتعذر الحقيقة - على وجه المجاز لمن نزل بمنزلة النفس، وهو علي عليه السلام، للحديث القطعي الوارد في القضية.
* ثم إنه أكد كون أخذ الأربعة الأطهار عليهم السلام لمجرد القرابة، بإنكار الاستعانة بهم في ادعاء، فقال: لم يكن المقصود إجابة الدعاء، فإن دعاء النبي وحده كاف!
لكنه اجتهاد في مقابلة النص، فقد روى القوم أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم: إذا أنا دعوت فأمنوا (٢)، وأنه قد عرف أسقف نجران ذلك حيث قال: إني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها أو: لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها (٣).
* ثم قال ابن تيمية: لم يكن المقصود دعوة من دعاه لإجابة دعائه، بل لأجل المقابلة بين الأهل والأهل... فإن المقصود أن أولئك يأتون بمن يشفقون عليه طبعا كأبنائهم ونسائهم ورجالهم....
وهذا كلام النواصب... كما نص عليه الدهلوي في عبارته الآتية.
وحاصل كلامه: أنه إنما دعاهم لكونهم أقرباءه فقط، على ما كان عليه المتعارف في المباهلة، فلا مزية لمن دعاه أبدا، فلا دلالة في الآية على مطلوب الشيعة أصلا، لكنهم كالنصارى...!!

---

(١) سورة الزمر ٣٩: ١٥، وسورة الشورى ٤٢: ٤٥.
(٢) تقدم ذكر بعض مصادره.
(٣) الكشاف، الرازي، البيضاوي وغير هم، بتفسير الآية.

لكنه يعلم بوجود الكثيرين من أقربائه – من الرجال والنساء – وعلى رأسهم عمه العباس، فلو كان التعبير بالنفس لمجرد القرابة لدعا العباس وأولاده وغير هم من بني هاشم!
فيناقض نفسه ويرجع إلى الاعتراف بمزية لمن دعاهم، وأن المقام ليس مقام مجرد القرابة...!! انظر إلى كلامه:
ولم يكن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم قد بقي من أعمامه إلا العباس، والعباس لم يكن من السابقين الأولين، ولا كان له به اختصاص كعلي، وأما بنو عمه فلم يكن فيهم مثل علي... فتعين علي رضي الله عنه.
وكونه تعين للمباهلة إذ ليس في الأقارب من يقوم مقامه لا يوجب... بل له بالمباهلة نوع فضيلة....
إذن!! لا بد في المباهلة من أن يكون المباهل به صاحب مقام يمتاز به عن غيره، ويقدمه على من سواه، وقد ثبت ذلك لعلي عليه السلام بحيث ناسب أن يأمر الله رسوله بأن يعبر عنه لأجله بأنه نفسه، وهذا هو المقصود من الاستدلال بالآية المباركة، وبه يثبت المطلوب.
فانظر كيف اضطربت كلمات الرجل وناقض نفسه!!
* غير أنه بعد الاعتراف بالفضيلة تأبى نفسه السكوت عليها، وإذ لا يمكنه دعوى مشاركة زيد وعمر وبكر...!! معه فيها كما زعم ذلك في غير موضع من كتابه فيقول:
وهي مشتركة بينه وبين فاطمة وحسن وحسين....
وهكذا قال – في موضع من كتابه – حول آية التطهير لما لم يجد بدا من الاعتراف باختصاصها بأهل البيت...
لكنه غفل أو تغافل أن هذه المشاركة لا تضر باستدلال الشيعة بل

بنفع، إذ تكون الآية من جملة الدلائل القطعية بضعة النبي فاطمة وولديه الحسنين عليهم السلام من سائر الصحابة عدا أمير المؤمنين عليه السلام - كما دل على ذلك حديث: فاطمة بضعة مني... وقد بينا ذلك سابقا - فعلي هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم بالآية المباركة والحديث القطعي الوارد في شأن نزولها.

* وقال أبو حيان:

(ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم و أنفسنا وأنفسكم).

أي: يدع كل مني ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه إلى المباهلة. وظاهر هذا أن الدعاء والمباهلة بين المخاطب ب (قل) وبين من حاجه. وفسر على هذا الوجه (الأبناء) بالحسن والحسين، وبنسائه فاطمة، والأنفس بعلي. قاله الشعبي. ويدل على أن ذلك مختص بالنبي مع من حاجه ما ثبت في صحيح مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص، قال: لما نزلت هذه الآية (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم) دعا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم فاطمة وحسنا وحسينا، فقال: اللهم هؤلاء أهلي.

وقال قوم: المباهلة كانت عليه وعلى المسلمين، بدليل ظهر قوله (ندع أبناءنا وأبناءكم) على الجمع، ولما دعاهم دعا بأهله الذين في حوزته، ولو عزم نصارى نجران على المباهلة وجاؤا لها لأمر النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم المسلمين أن يخرجوا بأهاليهم لمباهلته.

وقيل: المراد ب (أنفسنا) الإخوان. قاله ابن قتيبة. قال تعالى: (ولا تلمزوا أنفسكم) أي: إخوانكم.

وقيل: أهل دينه. قاله أبو سليمان الدمشقي.

وقيل: الأزواج.
وقيل: أراد القربة القريبة. ذكرهما علي بن أحمد النيسابوري.
... قال أبو بكر الرازي: وفي الآية دليل على أن الحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم.
وقال أبو أحمد ابن علان: كانا إذ ذاك مكلفين، لأن المباهلة عنده لا تصح إلا من مكلف.
وقد طول المفسرون بما رووا في قصة المباهلة، ومضمنها: أنه دعاهم إلى المباهلة وخرج بالحسن والحسين وفاطمة وعلي إلى الميعاد، وأنهم كفوا عن ذلك ورضوا بالإقامة على دينهم، وأن يؤدوا الجزية، وأخبرهم أحبارهم أنهم إن باهلوا عذبوا وأخبر هو صلى الله عليه (وآله) وسلم أنهم إن باهلوا عذبوا، وفي ترك النصارى الملاعنة لعلمهم بنبوته شاهد عظيم على صحة نبوته.
قال الزمخشري: فإن قلت... (١).
أقول: لعل تقديمه حديث مسلم عن سعد في أن المراد من (أنفسنا) هو علي عليه السلام... يدل على ارتضائه لهذا المعنى... لكن الحديث جاء في الكتاب محرفا بحذف علي!!
وليته لم يذكر الأقاويل الأخرى، فإنها كلها هواجس نفسانية وإلقاءات شيطانه، لا يجوز إيرادها بتفسير الآيات القرآنية.

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٤٧٩ - ٤٨٠.

لكن يظهر منه الاعتماد على هذه الأقوال!! حين ينفي بها
الاجماع على أن المراد من (أنفسنا) هو علي عليه السلام، ليبطل
استدلال الشيخ الحمصي بالآية على أفضلية الإمام على سائر الأنبياء، كما
سيأتي.

* وقال القاضي الإيجي وشارحه الجرجاني:

ولهم - أي للشيعة ومن وافقهم - فيه أي - في بيان أفضلية علي -
مسلكان:

الأول: ما يدل عليه - أي على كونه أفضل - إجمالا، وهو وجوه:

الأول: آية المباهلة، وهي قوله تعالى: (تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم
ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم). وجه الاحتجاج: إن قوله تعالى:
(وأنفسنا) لم يرد به نفس النبي، لأن الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد به
علي، دلت عليه الأخبار الصحيحة والروايات الثابتة عند أهل النقل إنه عليه
السلام دعا عليا إلى ذلك المقام، وليس نفس علي نفس محمد حقيقة،
فالمراد المساواة في الفضل والكمال، فترك العمل به في فضيلة النبوة وبقي
حجة في الباقي، فيساوي النبي في كل فضيلة سوى النبوة، فيكون أفضل
من الأمة.

وقد يمنع: إن المراد ب (أنفسنا) علي وحده، بل جميع قراباته
وخدمه النازلون عرفان منزلة نفسه عليه السلام داخلون فيه، تدل عليه صيغة
الجمع (١).

---

(١) شرح المواقف ٨ / ٣٦٧.

أقول:
لا يخفى اعترافهما بدلالة الآية على الأفضلية، وبكون علي في المباهلة، " دلت عليه الأخبار الصحيحة والروايات الثابتة عند أهل النقل " وبدلالة (أنفسنا) على " المساواة ".
غير أنهما زعما دخول غيره معه في ذلك، لكنهما قالا وقد يمنع وكأنهما ملتفتان إلى بطلان ما زعماه، خصوصا كون المراد خدمه بالإضافة إلى جميع قراباته، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخرج معه حتى عمه، فكيف يكون المراد جميع قراباته وخدمه؟!!
* وقال ابن روزبهان:
كان عادة أرباب المباهلة أن يجمعوا أهل بيتهم وقراباتهم لتشمل البهلة سائر أصحابهم، فجمع رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم أولاده ونساءه، والمراد بالأنفس هاهنا: الرجال، كأنه أمر بأن يجمع نساءه وأولاده ورجال أهل بيته، فكان النساء فاطمة والأولاد الحسن والحسين والرجال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وعلي.
وأما دعوى المساواة التي ذكرها فهي باطلة قطعا، وبطلانها من ضروريات الدين، لأن غير النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم من الأمة لا يساوي النبي أصلا، ومن ادعى هذا فهو خارج عن الدين، وكيف يمكن المساواة والنبي نبي مرسل خاتم الأنبياء أفضل أولي العزم، وهذه الصفات كلها مفقودة في علي. نعم، لأمير المؤمنين علي في هذه الآية

فضيلة عظيمة وهي مسلمة، ولكن لا تصير دالة على النص بإمامته (١).
أقول:
وفي كلامه مطالب ثلاثة:
الأول: إن ما صنعه النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم إنما كان جريا على عادة أرباب المباهلة...
وهذا كلام النواصب في الجواب عن هذه الآية، كما نص عليه صاحب التحفة الاثنا عشرية ويرد عليه ما تقدم من أنه لو كان كذلك فلماذا لم يخرج العباس وبنيه وأمثالهم من الأقرباء؟ لكن فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم دليل على أن للمقام خصوصية ولمن دعاهم مراتب عند الله تعالى، وليس جريا على عادة العرب في مباهلة البعض مع البعض.
والثاني: إن غير النبي من الأمة لا يساوي النبي أصلا.
وقد تقدم الجواب عنه عند الكلام مع ابن تيمية.
والثالث: إن لأمير المؤمنين في هذه الآية فضيلة عظيمة، وهي مسلمة.
قلت: هي للأربعة كلهم لكن عليا أفضلهم، فهو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.
قوله: لكن لا تصير دالة على النص بإمامته.
قلت: إن الآية تدل على المساواة بينه وبين النبي في الكمالات الذاتية، ولا أقل من كونها دالة على فضيلة عظيمة - باعترافه - غير حاصلة

---

(١) إبطال الباطل - مخطوط -، راجع: إحقاق الحق ٣ / ٦٢.

لخصومه، فهو الأفضل، فهو الإمام دون غيره بعد رسول الله.
* وقال عبد العزيز الدهلوي ما تعريبه:
ومنها آية المباهلة، وطريق تمسك الشيعة بهذه الآية هو أنه لما نزلت (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم.. إلى آخرها) خرج رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم من بيته ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين، فالمراد من (أبناءنا) الحسن والحسين، ومن (أنفسنا) الأمير، وإذا صار نفس الرسول - وظاهر أن المعنى الحقيقي لكونه نفسه محال - فالمراد هو المساوي، ومن كان مساويا لنبي عصره كان بالضرورة أفضل وأولى بالتصرف من غيره لأن المساوي للأفضل الأولى بالتصرف أفضل وأولى بالتصرف، فيكون إماما، إذ لا معنى للإمام إلا الأفضل الأولى بالتصرف.
هذا بيان وجه الاستدلال، ولا يخفى أنه بهذا التقريب غير موجود في كلام أكثر علماء الشيعة، فلهذه الرسالة الحق عليهم من جهة تقريرها وتهذيبها لأكثر أدلتهم، ومن شك في ذلك فلينظر إلى كتبهم ليجد كلماتهم متشتتة مضطربة قاصرة عن إفادة مقصدهم.
وهذه الآية في الأصل من جملة دلائل أهل السنة في مقابله النواصب، وذلك لأن أخذ النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم الأمير وأولئك الأجلة معه، وتخصيصهم بذلك دون غيرهم يحتاج إلى مرجح، وهو لا يخلو عن أمرين:
فإما لكونهم أعزة عليه، وحينئذ يكون إخراجهم للمباهلة - وفيهما بحسب الظاهر خطر المهلكة، موجبا لقوة وثوق المخالفين بصدق نبوته

وصحة ما يخبر به عن عيسى وخلقته، إذ العاقل ما لم يكن جازما بصدق دعواه لا يعرض أعزته إلى الهلاك والاستئصال.
وهذا الوجه مختار أكثر أهل السنة والشيعة، وهو الذي ارتضاه عبد الله المشهدي في إظهار الحق، فدلت الآية على كون هؤلاء الأشخاص أعزة على رسول الله، والأنبياء مبرأون عن الحب والبغض النفسانيين، فليس ذلك إلا لدينهم وتقواهم وصلاحهم، فبطل مذهب النواصب القائلين بخلاف ذلك.
وإما لكي يشاركونه في الدعاء على كفار نجران، ويعينونه بالتأمين على دعائه عليهم فيستجاب بسرعة، كما يقول أكثر الشيعة وذكره عبد الله المشهدي أيضا، فتدل الآية – بناء عليه كذلك – على علو مرتبتهم في الدين وثبوت استجابة دعائهم عند الله.
وفي هذا أيضا رد على النواصب.
وقد قدح النواصب في كلا الوجهين وقالوا بأن إخراجهم لم يكن لشئ منهما، وإنما كان لإلزام الخصم بما هو مسلم الثبوت عنده، إذ كان مسلما عند المخالفين – وهم الكفار – أن البهلة لا تعتبر إلا بحضور الأولاد والختن والحلف على هلاكهم، فلذا أخرج النبي أولاده وصهره معه ليلزمهم بذلك.
وظاهر أن الأقارب والأولاد – كيفما كانوا – يكونون أعزة على الإنسان في اعتقاد الناس وإن لم يكونوا كذلك عند الإنسان نفسه، على ذلك أنه لو كان هذا النوع من المباهلة حقا عنده صلى الله عليه (وآله) وسلم لكان سائغا في الشريعة، والحال أنه ممنوع فيها. فظهر أن ما صنعه إنما كان إسكاتا للخصم.

وعلى هذا القياس يسقط الوجه الثاني أيضا، فإن هلاك وفد نجران لم يكن من أهم المهمات، فقد مرت عليه حوادث كانت أشد وأشق عليه من هذه القضية ولم يستعن في شئ منها في الدعاء بهؤلاء، على أن من المتفق عليه استجابة دعاء النبي فسي مقابلته مع الكفار، وإلا يلزم تكذيبه ونقض الغرض من بعثته.

فهذا كلام النواصب، وقد أبطله - بفضل الله تعالى - أهل السنة بما لا مزيد عليه كما هو مقرر في محله ولا نتعرض له خوفا من الإطالة.

وعلى الجملة فإن آية المباهلة هي في الأصل رد على النواصب، لكن الشيعة يتمسكون بها في مقابلة أهل السنة، وفي تمسكهم بها وجوه من الإشكال:

أما أولا: فلأنا لا نسلم أن المراد (بأنفسنا) هو الأمير، بل المراد نفسه الشريفة، وقول علمائهم في إبطال هذا الاحتمال بأن الشخص لا يدعو نفسه غير مسموع، إذ قد شاع وذاع في القديم والحديث دعته نفسه إلى كذا ودعوت نفسي إلى كذا (فطوعت له نفسه قتل أخيه) وأمرت نفسي شاورت نفسي إلى غير ذلك من الاستعمالات الصحيحة الواقعة في كلام البلغاء. فيكون حاصل (ندع أنفسنا): نحضر أنفسنا.

وأيضا: فلو قررنا الأمير من قبل النبي مصداقا لقوله (أنفسنا) فمن نقرره من قبل الكفار مع أنهم مشتركون في صيغة (ندع). إذ لا معنى لدعوة النبي إياهم وأبناءهم بعد قوله: (تعالوا).

فظهر أن الأمير داخل في (أبناءنا) - كما أن الحسنين غير داخلين في الأبناء حقيقة وكان دخولهما حكما - لأن العرف يعد الختن ابنا، من غير ريبة في ذلك.

وأيضا: فقد جاء لفظ النفس بمعنى القريب والشريك في الدين والملة ومن ذلك قوله تعالى: (يخرجون أنفسهم من ديارهم) أي: أهل دينهم.. (ولا تلمزوا أنفسكم).. (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون المؤمنات بأنفسهم خيرا) فلما كان للأمير اتصال بالنبي صلى الله عليه (وآله) وسلم في النسب والقرابة والمصاهرة واتحاد في الدين والملة، وقد كثرت معاشرته والألفة معه حتى قال: علي مني وأنا من علي كان التعبير عنه بالنفس غير بعيد، فلا تلزم المساواة كما لا تلزم في الآيات المذكورة.

وأما ثانيا: فلو كان المراد مساواته في جميع الصفات، يلزم الاشتراك في النبوءة والخاتمية والبعثة إلى كافة الخلق، والاختصاص بزيادة النكاح فوق الأربع، والدرجة الرفيعة في القيامة، والشفاعة الكبرى والمقام المحمود، ونزول الوحي، وغير ذلك من الأحكام المختصة بالنبي، وهو باطل بالإجماع.

ولو كان المراد المساواة في البعض، لم يحصل الغرض، لأن المساواة في بعض صفات الأفضل والأولى بالتصرف لا تجعل صاحبها أفضل وأولى بالتصرف، وهو ظاهرا جدا.

وأيضا: فإن الآية لو دلت على إمامة الأمير لزم كونه إماما في زمن النبي وهو باطل بالاتفاق، فإن قيد بوقت دون وقت – مع أنه لا دليل عليه في اللفظ – لم يكن مفيدا للمدعى، لأن أهل السنة أيضا يثبتون إمامته في وقت من الأوقات (١).

---

(١) التحفة الاثنا عشرية: ٢٠٦ – ٢٠٧. وقد ذكرنا كلامه بطوله لئلا يظن ظان أنا أسقطنا منه شيئا مما له دخل في البحث مع الشيعة حول الآية المباركة.

أقول:
وفي كلامه مطالب:
١ – دعوى أن التقريب الذي ذكره للاستدلال بالآية غير وارد في أكثر كتب الشيعة، قال: وكذلك الأدلة الأخرى غالبا،....
وأنت ترى كذب هذه الدعوى بمراجعتك لوجه الاستدلال في بحثنا هذا، إذ تجد العبارة مذكورة في كتب أصحابنا إما باللفظ وإما بما يؤدي معناه فلا نطيل.
٢ – نسبة المناقشة في دلالة الآية المباركة. بما ذكره إلى النواصب، وأن أهل السنة يدافعون عن أهل البيت في قبال أولئك...
وقد وجدنا ما عزاه إلى النواصب في كلام ابن تيمية وابن روزبهان، في ردهما على العلامة الحلي، فالحمد لله الذي كشف عن حقيقة حالهم بما أجراه على لسانهم...
٣ – عدم التسليم بأن المراد من (أنفسنا) هو علي بل المعنى:
نحصر أنفسنا واستشهد – في الرد على قول الإمامية بأن الشخص لا يدعو نفسه – بعبارات سائغة في كلام العرب في القديم والحديث كما قال.
ونحن لا نناقشه في المعاني المجازية لتلك العبارات، ونكتفي بالقول – مضافا إلى اعتراف غير واحد من أئمة القوم بأن الإنسان الداعي إنما يدعو غيره لا نفسه (١) – بأن الأحاديث القطعية عند الفريقين دلت على أن المراد من (أنفسنا) هو علي عليه السلام، فما كره يرجع في الحقيقة إلى عدم

---
(١) لاحظ: شيخ زادة على البيضاوي ١ / ٦٣٤.

التسليم بتلك الأحاديث وتكذيب رواتها ومخرجيها، وهذا ما لا يمكنه الالتزام به.

٤ – إدخال علي عليه السلام في (أبناءنا)..!!

وفيه: أنه مخالف للنصوص

ولا يخفى أنه محاولة لإخراج الآية عن الدلالة على كون علي نفس النبي، لعلمه بالدلالة حينئذ على المساواة، وإلا فإدخاله في (أبناءنا) أيضا اعتراف بأفضليته!!

واستشهاده بالآيات مردود بما عرفت في الكلام مع ابن تيمية.

على أنه اعترف بحديث علي مني وأنا من علي وهو مما لا يعترف به ابن تيمية وسائر النواصب.

٥ – رده على المساواة بأنه: إن كان المراد المساواة في جميع الصفات، يلزم المساواة بين علي والنبي في النبوة والرسالة والخاتمية والبعثة إلى الخلق كافة ونزول الوحي... وإن كان المراد المساواة في بعض الصفات فلا يفيد المدعى...

قلنا: المراد هو الأول، إلا النبوة، والأمور التي ذكرها من الخاتمية والبعثة... كلها من شؤون النبوة...

فالآية دالة على حصول جميع الكمالات الموجودة في النبي في شخص علي، عدا النبوة، وقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي: يا علي! ما سألت الله شيئا إلا سألت لك مثله، ولا سألت الله شيئا إلا أعطانيه، غير إنه قيل لي: أنه لا نبي بعدك (١).

---

(١) أخرجه جماعة، منهم النسائي في الخصائص: ح ١٤٦ و ح ١٤٧.

٦ - وبذلك يظهر أنه عليه السلام كان واجدا لحقيقة الإمامة - وهو وجوب الطاعة المطلقة، والأولوية التامة بالنسبة للأمة - في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أنه كان تابعا للنبي مطيعا له إطاعة وانقيادا لم يحدثنا التاريخ به عن غيره على الاطلاق.

فسقط قوله أخيرا: فإن الآية لو دلت على إمامة الأمير...

* والآلوسي:

انتحل كلام الدهلوي، بلا زيادة أو نقصان، كبعض الموارد الأخرى، وجوابه جوابه، فلا نكرر.

* وقال الشيخ محمد عبده:

إن الروايات متفقة على أن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم اختار للمباهلة عليا وفاطمة وولديها، ويحملون كلمة (نساءنا) على فاطمة، وكلمة (أنفسنا) على علي فقط.

ومصادر هذه الروايات الشيعة، ومقصدهم منها معروف، وقد اجتهدوا في ترويجها ما استطاعوا حتى راجت على كثير من أهل السنة، ولكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآية، فإن كلمة (نساءنا) لا يقولها العربي ويريد بها بنته، لا سيما إذا كان له أزواج، ولا يفهم هذا من لغتهم وأبعد من ذلك أن يراد ب (أنفسنا) علي - عليه الرضوان -.

ثم إن وفد نجران الذين قالوا إن الآية نزلت فيهم لم يكن معهم

نساؤهم وأولادهم (١).
أقول:
وفي هذا الكلام إقرار، وادعاء، مناقشة عن عناد.
أما الاقرار، فقوله: إن الروايات متفقة... فالحمد لله على أن بلغت الروايات في القضية من الكثرة والقوة حدا لا يجد مثل هذا الرجل بدا من أن يعترف بالواقع والحقيقة.
لكنه لما رأى أن هذا الاقرار يستلزم الالتزام بنتيجة الآية المباركة والروايات الواردة فيها وهذا ما لا تطيقه نفسه!! عاد فزعم أمرا لا يرتضيه عاقل فضلا عن فاضل!
أما الادعاء، فقال: مصادر هذه الروايات الشيعة... وقد اجتهدوا في ترويجها...
لكنه يعلم - كغيره - بكذب هذه الدعوى، فمصادر هذه الروايات القطعية - وقد عرفت بعضها - ليست شيعية. ولما كانت دلالتها واضحة والمقصد منها معروف، عمد إلى المناقشة بحسب اللغة، وزعم أن العربي لا يتكلم هكذا.
. وما قاله محض استبعاد ولا وجه له إلا العناد! لأنا لا نحتمل أن يكون هذا الرجل جاهلا بأن لفظ النساء يطلق على غير الأزواج كما في القرآن الكريم وغيره، أو يكون جاهلا بأن أحدا لم يدع استعمال اللفظ المذكور

---

(١) تفسير المنار ٣ / ٣٢٢.

في خصوص فاطمة وأن أحدا لم يدع استعمال (أنفسنا) في علي عليه السلام.
إن هذا الرجل يعلم بأن الروايات صحيحة وواردة من طرق القوم أنفسهم، والاستدلال قائم على أساسها، إذ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جعل عليا فقط المصداق ل (أنفسنا) وفاطمة فقط المصداق ل (نساءنا) وقد كان له أقرباء كثيرون وأصحاب لا يحصون... كما كان له أزواج عدة، والنساء في عشيرته وقومه كثرة.
فلا بد أن يكون ذلك مقتضيا لتفضيل علي عليه السلام على غيره من أفراد الأمة، وهذا هو المقصود.
تكميل:
وأما تفضيله - بالآية - على سائر الأنبياء عليهم السلام - كما عن الشيخ محمود بن الحسن الحمصي - فهذا هو الذي انتقده الفخر الرازي، وتبعه النيسابوري، وأبو حيان الأندلسي:
* قال الرازي - بعد أن ذكر موجز القصة، ودلالة الآية علمي أن الحسنين ابنا رسول الله -:
كان في الري رجل يقال له: محمود بن الحسن الحمصي، وكان معلم الاثني عشرية (١) وكان يزعم أن عليا رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد عليه السلام، قال: والذي يدل عليه قوله تعالى:

---

(١) وهو صاحب كتاب المنقذ من التقليد، وفي بعض المصادر أن الفخر الرازي قرأ عليه، توفي في أوائل القرن السابع، كما في ترجمته بمقدمة كتابه المذكور، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم.

(وأنفسنا وأنفسكم) وليس المراد بقوله (وأنفسنا) نفس محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم، لأن الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد به غيره، وأجمعوا على أن ذلك الغير كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه فدلت الآية على أن نفس علي هي نفس محمد، ولا يمكن أن يكون المراد منه أن هذه النفس هي عين تلك النفس، فالمراد أن هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه، ترك العمل بهذا العموم في حق النبوة وفي حق الفضل، لقيام الدلائل على أن محمدا عليه السلام كان نبيا وما كان علي كذلك، ولانعقاد الاجماع على أن محمدا عليه السلام كان أفضل من علي، فيبقى فيما وراءه معمولا به.

ثم الاجماع دل على أن محمدا عليه السلام كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام، فيلزم أن يكون علي أفضل من سائر الأنبياء.

فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآية.

ثم قال: ويؤيد الاستدلال بهذه الآية: الحديث المقبول عند الموافق والمخالف وهو قوله عليه السلام: من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحا في طاعته، وإبراهيم في خلته، وموسى في هيبته، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب.

فالحديث دل على أنه اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم، وذلك يدل على أن عليا رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم.

وأما سائر الشيعة فقد كانوا - قديما وحديثا - يستدلون بهذه الآية على أن عليا رضي الله عنه مثل نفس محمد عليه السلام إلا في ما خصه الدليل،

وكان نفس محمد أفضل من الصحابة، فوجب أن يكون نفس علي أفضل من سائر الصحابة.
هذا تقرير كلام الشيعة.
والجواب: إنه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على أن محمدا عليه السلام أفضل من علي، فكذلك انعقد الاجماع بينهم - قبل ظهور هذا الإنسان - على أن النبي أفضل ممن ليس بنبي، وأجمعوا على أن عليا ما كان نبيا، فلزم القطع بأن ظاهر الآية كما أنه مخصوص في حق محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم، فكذلك مخصوص في حق سائر الأنبياء عليهم السلام. انتهى (١).
* وكذا قال النيسابوري، وهو ملخص كلام الرازي، على عادته، وقد تقدم نص ما قال.
* وقال أبو حيان، بعد أن ذكر كلام الزمخشري في الآية المباركة:
ومن أغرب الاستدلال ما استدل به محمد (٢) بن علي الحمصي... فذكر الاستدلال، ثم قال: وأجاب الرازي: بأن الاجماع منعقد على أن النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم أفضل ممن ليس بنبي، وعلي لم يكن نبيا، فلزم القطع بأنه مخصوص في حق جميع الأنبياء.
قال: وقال الرازي: استدلال الحمصي فاسد من وجوه:
منها قوله: (إن الإنسان لا يدعو نفسه) بل يجوز للإنسان أن يدعو نفسه، تقول العرب: دعوت نفسي إلى كذا فلم تجبني، وهذا يسميه أبو علي بالتجريد.

---

(١) تفسير الرازي ٨ / ٨١.
(٢) كذا، والصحيح: محمود.

ومنها قوله: (وأجمعوا على أن الذي هو غيره هو علي) ليس بصحيح، بدليل الأقوال التي سيقت في المعني بقوله: (وأنفسنا)
ومنها قوله: (فيكون نفسه مثل نفسه) ولا يلزم المماثلة أن تكون في جميع الأشياء، بل تكفي المماثلة في شئ ما، هذا الذي عليه أهل اللغة، لا الذي يقوله المتكلمون من أن المماثلة تكون في جميع صفات النفس، هذا اصطلاح منهم لا لغة، فعلى هذا تكفي المماثلة في صفة واحدة، وهي كونه من بني هاشم، والعرب تقول: هذا من أنفسنا، أي: من قبيلتنا.
وأما الحديث الذي استدل به فموضوع لا أصل له (١).
أقول:
ويبدو أن الرازي هنا وكذا النيسابوري أكثر إنصافا للحق من أبي حيان لأنهما لم يناقشا أصلا في دلالة الآية المباركة والحديث القطعي على أفضلية علي عليه السلام على سائر الصحابة.
أما في الاستدلال بها على أفضليته على سائر الأنبياء فلم يناقشا بشئ من مقدماته إلا أنهما أجابا بدعوى الاجماع من جميع المسلمين – قبل ظهور الشيخ الحمصي – على أن الأنبياء أفضل من غيرهم.
وحينئذ يكفي في ردهما نفي هذا الاجماع، فإن الإمامية – قبل الشيخ الحمصي وبعده – قائلون بأفضلية علي والأئمة من ولده، على جميع الأنبياء عدا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، ويستدلون لذلك بوجوه من الكتاب

---

(١) البحر المحيط ٢ / ٤٨٠.

والسنة، أما من الكتاب فالآية المباركة، وأما من السنة فالحديث الذي ذكره الحمصي...
وقد عرفت أن الرازي والنيسابوري لم يناقشا فيهما.
ومن متقدمي الإمامية القائلين بأفضلية أمير المؤمنين على سائر الأنبياء هو: الشيخ المفيد، المتوفى سنة ٤١٣، وله في ذلك رسالة، استدل فيها بآية المباهلة، واستهل كلامه بقوله: فاستدل به من حكم لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بأنه أفضل من سالف الأنبياء عليهم السلام وكافة الناس سوى نبي الهدى محمد عليه وآله السلام بأن قال... وهو صريح في أن هذا قول المتقدمين عليه (١).
فظهر سقوط جواب الرازي ومن تبعه.
لكن أبا حيان نسب إلى الرازي القول بفساد استدلال الحمصي من وجوه - ولعله نقل هذا من بعض مصنفات الرازي غير التفسير - فذكر ثلاثة وجوه:
أما الأول: فبطلانه ظاهر من غضون بحثنا، على أن الرازي قرره ولم يشكل عليه، فإن كان ما ذكره أبو حيان من الرازي حقا فقد ناقض نفسه.
وأما الثاني: فكذلك، لأنها أقوال لا يعبأ بها، إذ الموجود في صحيح مسلم، وجامع الترمذي، وخصائص النسائي، ومسند أحمد، ومستدرك الحاكم... وغيرها... أن الذي هو غيره هو علي لا سواه... وهذا هو القول المتفق عليه بين العامة والخاصة، وهم قد ادعوا الاجماع - من السلف والخلف - على أن صحيحي البخاري ومسلم أصح الكتب بعد القرآن،

---

(١) تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام على سائر الصحابة. رسالة مطبوعة في المجلد السابع من موسوعة مصنفات الشيخ المفيد.

ومنهم من ذهب إلى أن صحيح مسلم هو الأصح منهما.
وأما الثالث: فيكفي في الرد عليه ما ذكره الرازي في تقرير كلام الشيعة في الاستدلال بالآية المباركة، حيث قال: وذلك يقتضي الاستواء من جميع الوجوه... فإن كان ما ذكره أبو حيان من الرازي حقا فقد ناقض نفسه.
على أنه إذا كان تكفي المماثلة في صفة واحدة، وهي كونه من بني هاشم فلماذا التخصيص بعلي منهم دون غيره؟!
بقي حكمه بوضع الحديث الذي استدل به الحمصي، وهذا حكم لا يصدر إلا من جاهل بالأحاديث والآثار، أو من معاند متعصب لأنه حديث متفق عليه بين المسلمين، ومن رواته من أهل السنة: عبد الرزاق بن همام، وأحمد بن حنبل، وأبو حاتم الرازي، والحاكم النيسابوري، وابن مردويه، والبيهقي، وأبو نعيم، والمحب الطبري، وابن الصباغ المالك ي، وابن المغازلي الشافعي... (١).
هذا تمام الكلام على آية المباهلة. وبالله التوفيق.
للبحث صلة...

---

(١) وقد بحثنا عن أسانيده وأوضحنا وجوه دلالاته في أحد أجزاء كتابنا الكبير نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار وسيقدم للطبع إن شاء الله تعالى.

تاريخ الحديث وعلومه
السيد ثامر هاشم حبيب العميدي
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين.
تمهيد:
إن السنة النبوية – قولا، وفعلا، وتقريرا – هي صنو القرآن الكريم وتالية له، فالقرآن الكريم يشرع الأصول والقوانين، ويؤسس القواعد الكلية للأحكام والأخلاق والآداب، بل لكل ما يتصل بعلوم الدين ومعارفه ومناهجه التربوية والاجتماعية، والسنة المطهرة تتناول تلك الأصول والقواعد فتفصلها، وتوضح مبهماتها، وتحل متشابهاتها، وتبين مجملاتها، مع ما تفرعه عليها، بحيث لم تدع ملحظا كليا أو جزئيا له صلة بالفرد أو المجتمع إلا وقد بينت حكمه وأرشدت إليه بكل دقة وتفصيل، وبشكل يستحيل معه رفع اليد عن السنة النبوية في فهم القرآن الكريم.

وعليه، فمحاولة فصل السنة عن القرآن الكريم: هي بمثابة الإعراض عن كتاب الله عز وجل، والتعبير عن اللا مبالاة بتعاليمه الآمرة بالأخذ بمدلول السنة الشريفة: * (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) * (١).

وعلى الرغم من وضوح هذه الحقيقة إلا أن محاولات فصل السنة عن القرآن الكريم قد وجدت لها الأعذار من الشريعة نفسها، واختلقت لها المبررات التي سنقف عندها لنرى مدى صدقها وانطباقها مع أسباب ودوافع منع تدوين الحديث الشريف، الذي ظهر بعيد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم اتخذ المنع عن كتابة الحديث منهجا سياسيا طيلة قرن

من الزمان، بعدما كان تعاطي الحديث ونشره من قبل الصحابة أمرا طبيعيا جدا في العهد النبوي، بل تقتضيه طبيعة رسالة الإسلام في كل حين، لعالميتها * (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) * (٢).

نعم، لم يمنع أحد من كتابة الحديث الشريف في العهد النبوي الشريف، كما تدل عليه جميع الدراسات الموضوعية الخاصة بدراسة تاريخ السنة المطهرة ومراحل تدوين الحديث، فقد جمعت تلك الدراسات أسماء المدونين والمدونات الحديثية في العهد النبوي، وبشكل ملفت للنظر، لكثرتها في ذلك العصر المتقدم من عمر الإسلام، بخلاف ما قد يظن من ندرتها تبعا لظروف التدوين وندرة وسائله حينذاك، مع استقراء الروايات الدالة على إباحة التدوين.

وأما الروايات المخالفة لذلك، بنسبة المنع إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهي

---

(١) سورة الحشر ٥٩: ٧.

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ١٠٧.

مكذوبة عليه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا أصل لها في واقع التشريع، ويكذبها القرآن
الكريم، وتشن السنة المطهرة – نفسها – حربا شعواء على تلك الروايات وتدفعها، لمخالفتها الصريحة لتطلعات دين الإسلام نحو الكتابة والتعلم والسعي في طلبه، وبيان فضله حتى ورد في الخبر: " عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد " (١) و " لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج " (٢)، فضلا عن مخالفتها لمقتضيات العقل السليم، وطبيعة الحضارات في كل زمان ومكان.
غاية ما في الأمر.. أنه – وبعد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) – مر حديثه الشريف بأزمة خانقة، ومواقف سلبية أدت إلى الحظر عليه رواية، ومنعه تدوينا، حتى اتسمت تلك المواقف بتصرفات شاذة، كحرقهم صحائف الحديث الشريف، ودفنهم كتبه، وحبس الصحابة في مركز الخلافة خوفا من تفشي الحديث خارج المدينة المنورة، مع النهي العام عن تعاطي الحديث رواية وتدوينا!!
لقد تركت تلك المواقف آثارها السيئة على واقع الحديث، إذ غيرت السنة، ومحقت الشريعة، وذلك بتمهيد السبل أمام الأيدي الآثمة من الزنادقة، وأهل الأهواء، لأن تعبث بالحديث الشريف، فتضع ما شاء لها الهوى لا سيما من تقرب إلى بلاط الأمويين باختلاق الروايات التي تؤيد عروشهم، وتنال من خصومهم السياسيين، كما تشهد عليه الكتب المؤلفة في الموضوعات والوضاعين.
وبدلا من أن تجتمع الكلمة بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على صيانة

---

(١) أصول الكافي ١: ٨٢ ح ٨، باب ٢ من كتاب فضل العلم.
(٢) أصول الكافي ١: ٨٥ ح ٥، باب ٤ من كتاب فضل العلم.

حديثه الشريف من عبث العابثين، حدث العكس تماما! كما سنرى في المواقف الحكومية الأولى من تدوين الحديث الشريف وهو المبحث الأول.

* * *

المواقف الحكومية الأولى
من تدوين الحديث الشريف
في تاريخ الحديث الشريف موقفان متعارضان، تميز أحدهما بالتزام تدوين الحديث الشريف والحفاظ عليه، ويمثله أهل البيت (عليهم السلام)، وشيعتهم كما سيتضح في ما بعد.
وتميز الآخر - وهو الخط الحاكم الذي برز بعد أحداث السقيفة وامتد إلى زمان عمر بن عبد العزيز الأموي (ت ١٠١ ه) - بمواقف سلبية متطرفة جدا، حتى منع الحديث رواية وتدوينا، واتخذ المنع صفته الرسمية طيلة تلك الفترة، وسنبتدئ بدراستها وتقييمها على النحو الآتي:
موقف أبي بكر من الحديث الشريف:
عن عائشة، قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانت
خمسمائة حديث، فبات ليلته يتقلب... فلما أصبح قال: أي بنية، هلمي الأحاديث التي عندك. قالت: فجئته بها، فدعا بنار فحرقها! فقلت: لم أحرقتها؟!
قال: خشيت أن أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت [به]، ولم يكن كما حدثني، فأكون قد نقلت ذلك (١)!!

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٥، في ترجمة أبي بكر.

ويلاحظ هنا:
إن تصرف أبي بكر بجمع خمسمائة حديث شاهد على عدم وجود النهي السابق بشأن تدوين الحديث، وإلا لكان ذلك الجمع مخالفا للنهي عنه.
كما إن تعليله إحراق الأحاديث بالنار لم يستند على نهي سابق عن التدوين، بل كان لأجل خشيته من عدم مطابقة تلك الأحاديث للواقع، وخوفه من المشاركة في حمل أوزارها.
وهذا مما لا يمكن قبوله للأسباب التالية:
١ – إن من كان مثل أبي بكر لا يحتاج إلى مثل هذه الطريقة في جمع الأحاديث قطعا، إذ بإمكانه – وهو الخليفة المطاع أمره – أن يوعز إلى كبار الصحابة وأجلائهم وحفاظهم بذلك، ويوكل لهم أمر التحري عن صدق ما يتناقله الناس من الحديث في عصره، ويوكل إليهم مهمة الجمع على غرار ما يروى من أنه جمع المصحف الشريف، ودون بإشرافه.
٢ – لو تنزلنا عن ذلك، فإنه لا يحتاج إلى الواسطة في رواية خمسمائة حديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بالقياس إلى فترة إسلامه المبكر، ومن
غير المعقول أن لا تكون لأبي بكر مسموعات بلا واسطة من ضمن المقدار الذي جمعه، إذ من البعيد جدا أن يترك ما سمعه بنفسه عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
ويقتصر على ما سمعه بالواسطة!
فظاهر الحال أنه أحرق مسموعاته ومسموعات غيره، ولا أجد – مع هذا الفرض المقبول – تعليلا في تكذيب الرجل نفسه، ليسوغ له إحراق ما

سمعه بأذنه.
٣ - إنه صرح بوثاقة الناقل وأمانته في تأدية الحديث، وعليه فلا معنى للشك في صدقه أو التأمل في وثاقته، ولا يبرر هذا الشك حرق الأحاديث، على أنه يمكن له التأكد من سلامتها بعرضها على مجموع الصحابة، فإن شهدوا بكذبها جميعا فعليه التشهير بناقلها وتأديبه كما يقتضيه واجبه الشرعي، وإن قالوا بصحتها فيمضي ما جمعه بلا إحراق، ليكون سنة حسنة تقتفى من بعده.
كل هذا يدل على أن وراء حرق الأحاديث سبب غير معلن، لعدم قبول الأسباب المعلنة عقلا.
وفي " تذكرة الحفاظ " في ترجمة أبي بكر، إنه جمع الناس بعد وفاة نبيهم (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال لهم: " إنكم تحدثون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أحاديث
تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله،
فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه " (١).
وفيه:
إنه عبر عن رغبته في عدم انتشار الحديث، فنهى عنه بذريعة الاختلاف! ويرد عليه ما أوردناه سابقا من إمكانية إزالة أسباب الاختلاف الحاصل في الأحاديث بيسر وسهولة قبل أن تتفاقم بعده، أما تركها على ما هي عليه من الاختلاف، والاكتفاء بمجرد النهي، فليس هو الحل الإسلامي الذي ينبغي أن يصار إليه.

---

(١) تذكرة الحفاظ ١ / ٣ رقم ١.

ومن ثم فإن نهيه عن التحديث المعلل بوقوع الاختلاف، لو تم لزم منه أن يطرد النهي لاطراد العلة، حتى يشمل النهي القراءات المختلفة للقرآن الكريم التي كانت معروفة في عصره، وهي لا تقل خطرا عن اختلاف الحديث.

ثم كيف نجد التكييف الشرعي لهذا التصرف مع قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): رحم الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فحفظها، فبلغها عني "؟! وقوله الكريم بعد كثير من إرشاداته وتبليغاته: " فليبلغ الشاهد الغائب "؟!

على أن هذا الموقف العجيب من السنة المطهرة، قد نهى عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، منبها على كونه وشيك الوقوع، أي: قريبه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): " يوشك الرجل متكئا على أريكته يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه!! ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله " (١).

وقد علمت من أقدم على حرق الأحاديث، وقال مخاطبا أهلها: " بيننا وبينكم كتاب الله "!

موقف عمر من تدوين الحديث الشريف:

لقد استمر المنع من الحديث رواية وتدوينا في عهد أبي بكر، ولما

---

(١) سنن ابن ماجة ١ / ٦ رقم ١٢، وسنن الترمذي ٥ / ٣٧ حديث ٢٦٦٦٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه من طريق آخر، وسنن أبي داود ٤ / ٢٠٠ رقم ٤٦٠٤ و ٤٦٠٥ باب لزوم السنة، ومسند أحمد ٦ / ٨، والمستدرك على الصحيحين ١ / ١٠٨ قال: وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ورواه من طريق آخر وقال: وجدنا للحديث شاهدين بإسنادين صحيحين.

استخلف عمر بعهد الخلافة إليه، جرى عمر على سيرته حذو النعل بالنعل، وفاقه في تعميم المنع الصريح من الحديث رواية وتدوينا على جميع الأمصار الإسلامية.

فعن عروة بن الزبير قال: " إن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فأشاروا عليه أن يكتبها،

فطفق عمر يستخير الله شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أردت أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها، فتركوا كتاب الله تعالى، وإني - والله - لا ألبس كتاب الله بشئ أبدا " (١).

ثم كتب - عمر على أثر ذلك - إلى المسلمين في جميع الأمصار الإسلامية: " من كان عنده منها - أي: السنن - شئ فليمحه " (٢).

كما إنه علم بوجود بعض المدونات الحديثية في أيدي الصحابة، فأمر أن يأتوه بها، فجاءوا بها إليه وظنوا أنه يقومها من الاختلاف ثم يدونها في كتاب واحد، لكنه أحرقها بالنار ثم قال: " أمنية كأمنية أهل الكتاب " (٣).

الاقتداء بسنة عمر:

سار عثمان ومن والاه على طريقة عمر، ورأينا في عهدهما جملة من الصحابة كانوا يميثون صحائف الحديث المدونة بالماء، ويدفنون كتب الحديث المدونة تحت التراب! بلا حجة ولا مبرر معقول سوى أمر السلطة

---

(١) تقييد العلم: ٤٩.
(٢) تقييد العلم: ٥٣.
(٣) تقييد العلم: ٥٣.

واجتهادها في إبادة حديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولقد تعجب ابن الجوزي
– وحقه أن يتعجب – من هذا الصنيع الشاذ، فوصفه بأنه عناد عظيم للشريعة فقال: " فما عوندت الشريعة بمثل هذا " (١)، وأما عن دفن الكتب، فقد قال أحمد بن حنبل: " لا أعلم لدفن الكتب معنى " (٢).
ثم استمر منع الحديث كما يقول أبو زهو: " وقد تتابع الخلفاء على سنة عمر.. فلم يشأ أحد منهم أن يدون السنن، ولا أن يأمر الناس بذلك حتى جاء عمر بن عبد العزيز " (٣).
أقول:
إن جميع من تعرض لدراسة تاريخ السنة ومراحل تدوين الحديث الشريف فصل موقف عثمان الموافق لمن سبقه بشأن الحديث وموقف معاوية المتشدد إزاء كل حديث يروى عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في فضائل أمير
المؤمنين (عليه السلام) أو في أهل البيت (عليهم السلام) وتابعه ملوك الأمويين إلى زمان عمر بن عبد العزيز الأموي.
وقد ارتأينا عدم الخوض في مواقف السلطة في تلك الحقبة الزمنية والاكتفاء بموقف من ذكرنا إزاء الحديث رواية وتدوينا اختصارا للكلام ومراعاة لحجم البحث، مع فسح المجال لحديث أهم في صفحاته اللاحقة.
غير إنه لا بد من التذكير بتعرض بعض الصحابة بعد وفاة الرسول إلى

---

(١) نقد العلماء – أو: تلبيس إبليس –: ٣١٤ – ٣١٦.
(٢) تقييد العلم: ٦٣، وانظر مزيدا من هذه الأقوال في " تدوين السنة الشريفة " للسيد محمد رضا الحسيني الجلالي، الفصل الخاص بالمنع عن التدوين.
(٣) الحديث والمحدثون: ١٢٦.

الاستدعاء الرسمي من قبل المانعين الأوائل لكي يعلموا جيدا اتجاه السلطة ورغبتها في أن لا يشيع الحديث بين الناس، وقد استجابوا للسلطة على ذلك، كأبي هريرة، وأبي مسعود، وابن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وأبي بن كعب، وأبي الدرداء، بل وقد تعرض بعضهم إلى الإهانة من قبل السلطة مع تهديدها المباشر لهم إن لم يكفوا عن إشاعة الحديث الشريف (١)!!

حجج المانعين عن التدوين:

لم تكن لدى المانعين حجة شرعية يستندون إليها في مقام منع تدوين الحديث، ولكن اختلقت لهم بعض الحجج في ذلك بنسبة المنع إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، مع أن أحدا من المانعين لم ينسب المنع قط إلى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، مع كونهم أقرب الناس إلى عصر التشريع، وفي ذلك دليل على اختلاق تلك الروايات وافتعالها لصيانة الواقع التاريخي الذي ساد، وحفظ كرامة السلف الماضين.

ومن تلك الروايات، ما رووه عن أبي سعيد الخدري أنه قال:

" قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): لا تكتبوا عني شيئا إلا القرآن، فمن كتب عني شيئا غير القرآن فليمحه " (٢).

وهذا الحديث باطل من وجوه:

أما من حيث السند، فقد حكم الحفاظ بأنه من الموقوفات على أبي

---

(١) راجع: تدوين السنة الشريفة: ٤٣٤ تحت عنوان: " عمر يهدد الصحابة ويهينهم ".

(٢) صحيح مسلم ٤ / ٢٢٨٩ ح ٧٢، باب التثبت في الحديث من كتاب الزهد.

سعيد الخدري، وليس من المرفوعات حتى يصح الاحتجاج به.
وأما من حيث الدلالة، فلم يتفق لأحد من علماء الحديث عند العامة أن فهم منه المنع العام عن تدوين الحديث، بل حمل على المنع عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة، خوف اختلاطهما على غير العارف في صدر الإسلام.
ويكفي أن مسلما - صاحب " الصحيح " - أورده في باب التثبت في الحديث، وعنوان الباب صريح بأن مسلما فهم منه مجرد المحافظة على الحديث.
كما قيل بشذوذ الحديث أيضا (١).
ومنها أيضا، ما رووه عن أبي سعيد كذلك من أنه استأذن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتابة الحديث فلم يأذن له (٢).
وأول ما في هذه الرواية هو أن المنع خاص بأبي سعيد، فكيف يستفاد منها - على فرض صحتها - المنع العام عن كتابة الحديث؟!
على أن راويها سفيان بن عيينة وهو متهم بالتدليس.
إلى غير ذلك من الروايات الأخرى التي أشبعها السيد الجلالي في " تدوين السنة الشريفة " بحثا وتمحيصا وانتهى إلى نتائج باهرة، بحيث يسر لغيره الوقوف على حقيقة تلك الروايات ومعرفة قيمتها العلمية سندا ودلالة (٣).

---

(١) هذه الوجوه من " تدوين السنة الشريفة ": ٢٩٠ - باختصار -.
(٢) تقييد العلم: ٣٢.
(٣) تدوين السنة الشريفة: ٢٩٧ - ٣١٥.

معارضة المنع لأحاديث الإذن بالكتابة وإباحتها:
إن أحاديث منع التدوين المرفوعة والموقوفة معارضة لما ورد في الصحيح الثابت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بشأن تدوين الحديث الشريف.
من قبيل ما رواه رافع بن خديج قال: " قلت: يا رسول الله، إنا نسمع منك أشياء، أفنكتبها؟ قال: اكتبوا ولا حرج " (١).
وكذلك أمر (صلى الله عليه وآله وسلم) أن تكتب خطبته الشريفة عند فتح مكة، حين طلب أبو شاه - رجل من أهل اليمن - أن يكتبوا له الخطبة، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): " اكتبوا لأبي شاه " (٢).
ومنها، قول عبد الله بن عمرو بن العاص: " يا رسول الله، إنا نسمع منك أشياء لا نحفظها، أفنكتبها؟ قال: بلى، فاكتبوها " (٣).
وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: " قيدوا العلم بالكتاب " (٤).
وعنه أيضا، قال: " كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شئ تسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بشر يتكلم في الرضا والغضب!!؟
قال: أمسكت، فذكرت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أكتب، فوالذي

---

(١) تقييد العلم: ٧٣.
(٢) صحيح البخاري ١: ٤٠ - ٤١، وصحيح الترمذي ٥ / ٣٩ رقم ٢٦٦٧.
(٣) تقييد العلم: ٧٤.
(٤) تقييد العلم: ٦٩، ورواه أنس بن مالك كما في " تقييد العلم "، وابن عباس في الكامل - لابن عدي - ٢ / ٧٩٢ كما في " تدوين السنة الشريفة ".

نفسي بيده ما خرج منه إلا حق، وأشار (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده إلى فيه " (١).
ومنها: حديث أبي هريرة: " ما كان أحد أكثر حديثا مني عن
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولم أكن
أكتب " (٢).
ومن ذلك أيضا ما رواه الترمذي بسنده عن أبي هريرة، قال: كان
رجل من الأنصار يجلس إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيسمع من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
الحديث، فيعجبه ولا يحفظه، فشكا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: يا رسول الله، إني لأسمع منك الحديث فيعجبني ولا أحفظه؟ فقال
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " استعن بيمينك " وأشار بيده إلى الخط (٣).
معارضة المنع لأمور أخرى:
كما إن أحاديث منع التدوين بالرغم من معارضتها إلى هذه الروايات
وكثير غيرها، معارضة أيضا لإجماع أهل البيت (عليهم السلام) على إباحة التدوين، ومعارضة أيضا لما قام الدليل القاطع عليه، أعني وجود المدونين في عهد
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد عرفوا بأسمائهم وأفردوا بدراسات خاصة عند الفريقين، هذا فضلا عن وجود الخط الآخر الملتزم بتدوين الحديث ونشره
بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مباشرة، مع عدم الرضوخ لأوامر المنع ومقاومتها
بكل قوة كما سننبه عليه في محله.

---

(١) مسند أحمد ٢ / ١٦٢، وتقييد العلم: ٨٠ - ٨١.
(٢) صحيح البخاري ١ / ٣٦ باب كتابة العلم.
(٣) صحيح الترمذي ٥ / ٣٩ رقم ٢٦٦٦.

ولأجل هذه الأمور مجتمعة وجد مؤيدو سياسة المانعين أنفسهم في أمس الحاجة إلى البحث عن مبررات معقولة ومقبولة تسوغ ذلك التصرف المريب إزاء الحديث الشريف رواية وتدوينا، فالتمسوها من أقوال المانعين أنفسهم! ولا بأس هنا من التطرق إليها، لمعرفة قيمتها العلمية، مراعين بذلك الاختصار (١).

* * *

---

(١) في كتاب تدوين السنة الشريفة للعلامة المحقق السيد محمد رضا الحسيني الجلالي جهد مميز في متابعة أزمة منع تدوين الحديث الشريف، واستقراء ما في تاريخها من ملابسات، وما أفرزته تلك الأزمة من مواقف العلماء والباحثين والمستشرقين حيالها، بما في ذلك مبررات المنع ومناقشتها.
ولما كان هذا المقال قد أعد في الأصل كجزء من مدخل لدراسة موسعة عن مناهج المحدثين، اقتضى الأمر التنويه بالكتاب والإشادة بما احتوى عليه من تحقيق، مع الاستفادة المباشرة منه في أكثر من موضع.

مبررات منع تدوين الحديث
" مناقشة وتقييم "
المبرر الأول ومناقشته:
إن المنع عن كتابة الحديث كان لأجل الحفاظ على القرآن الكريم، بمعنى الخشية من أن تؤدي عملية تدوين الحديث إلى اختلاط الحديث بالقرآن، بحيث لا يميز أحدهما عن الآخر، ولهذا كان المنع عن تدوينه موفقا، وفي محله!
وفيه:
إن تصور المراد بالتدوين الذي يخشى من مغبة اختلاطه بالقرآن الكريم، يمكن حصره بالتدوين الذي يكون في الصحائف التي دون فيها القرآن الكريم، بحيث يكون الحديث بين الآية وأختها من غير إشارة إلى أن هذا حديث، وهذا قرآن، ففي مثل هذه الحالة يتوجه ما ذكروه من تبرير – بحق غير العارف – لو كان أمر التدوين محصورا بها.
أما لو كان تدوين الحديث على حواشي وهوامش الصحائف القرآنية، متصدرا – مثلا – بقول المدون: قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كذا، قبيل كل حديث، فلا معنى لاحتمال اختلاطه – مع هذا الفرض – بالقرآن الكريم.

وقد جرى بعض الصحابة على تحشية مصاحفهم بأحاديث
الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خصوصا فيما يتصل من الأحاديث بالناسخ والمنسوخ،
والمحكم والمتشابه، ونحو ذلك، كمصحف ابن عباس، ومصحف ابن مسعود، ومصحف أبي بن كعب، بل الثابت عند كثير من الأعلام، أن
مصحف أمير المؤمنين (عليه السلام) كان مليئا بالأحاديث الشريفة التي دونها (عليه السلام)
بيده الشريفة على حواشي مصحفه.
وأما لو أريد به التدوين المستقل استقلالا تاما عن صحائف القرآن،
بحيث يكتب في صحائف أخرى ثم يعطى لها عنوان جامع مثل: " أحاديث الرسول " أو " السنن " ونحو هذا... فإن بعد اختلاطها بالقرآن مسلم لا ريب فيه، وهل سمعت أو رأيت أحدا يقول بضرورة حرق كتب الحديث مثلا إذ يخشى منها أن تختلط بالقرآن؟!
ثم أين ذهب الإعجاز القرآني الخالد الذي أبهر المشركين وحير
عقولهم، لما سمعوا بعض آياته؟!
وهل يعقل أن لا يميز كتاب الله العزيز عن كلام المخلوق وإن كان
نبيا كنبينا (صلى الله عليه وآله وسلم)؟!
إن بلاغة الحديث وإن بلغت الذروة، إلا أنها دون بلاغة القرآن الكريم
بلا ريب، ولا معنى لدعوى الاختلاط تلك إلا المساس بمعجزة الإسلام
الخالدة، بعد إنزال كلام الخالق منزلة كلام المخلوق! وبالتالي ليكون قابلا
للتحدي المنفي بالأصل في مواطن كثيرة من الذكر الحكيم.
المبرر الثاني ومناقشته:
إن المنع عن كتابة الحديث جاء للتحرز من إهمال المسلمين للقرآن

الكريم، وانشغالهم بالحديث الشريف دونه!
وفيه:
١ - قد تقدم في أول الكلام أن السنة المطهرة شارحة وموضحة ومفصلة للقرآن الكريم، وأنه إذا تركت، جهلت أصول الإسلام وقوانينه وأنظمته وآدابه وأخلاقه وتعاليمه.
وعليه، فالاشتغال بالسنة هو عين الاشتغال بالقرآن، وأن فهمه والوقوف على مراد الله تعالى فيه لا يتم دون الرجوع إلى السنة المطهرة بالاتفاق.
٢ - إن معنى ذلك - لو تم - هو أن القرآن الكريم لم يتغلغل في نفوس الصحابة، وهو اتهام صريح لهم بأنهم لم يعرفوا قدر الكتاب العزيز!
هذا، مع أنهم سمعوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في مواطن شتى يحثهم على تلاوة كتاب الله وتدبر آياته والنظر فيه، حتى عد النظر إلى المصحف عبادة، وكان فيهم الكثير من حفاظه، فكيف يتعقل اتفاقهم على إهماله بسبب تدوين الحديث الشريف؟!
٣ - إن قول الصحابة - عند العامة - حجة، ولو فرض أن الاشتغال بالحديث ليس هو عين الاشتغال بالقرآن الكريم، فكيف يكون قول من لا يعي قدر القرآن فيهمل آياته ويشتغل بغيرها حجة؟!
وعليه، فلا بد لهم من رفع اليد عن أحد الأمرين، وإن كان في الواقع عن كليهما.

المبرر الثالث ومناقشته:
إن المنع عن تدوين الحديث جاء للحفاظ على ملكة الحفظ عند الصحابة، لأن تدوين الحديث الشريف يؤدي إلى ضعف الحافظة عندهم.
وفيه:
١ - إن ملكة الحفظ ليست شرعا منزلا يجب على الخليفة صيانته مقابل التفريط بالسنة المطهرة، والعكس هو الصحيح.
٢ - إن بقاء ملكة الحفظ قوية لدى الحفاظ غير مسلم، فهي تضعف تدريجيا مع تقدم العمر، وبالتالي يفقد الحافظ الكثير من محفوظاته، فلو كان إلى جنب حفظه ديوان للحديث الشريف لاستعان به عند ضعف الحافظة، ولوقف على ما نساه، فالتدوين إذن يقوي الحافظة ولا يضعفها، وقد جاء في الخبر: " إن القلب يتكل على الكتابة " (١).
٣ - ليس كل الصحابة من الحفاظ كما مر في أحاديث إباحة التدوين. وإذا كان الحافظ في غنى عن النظر إلى الكتاب، فماذا يصنع غير الحافظ الذي لا يجد من يسأله، وهو مكلف بأمور عليه معرفتها؟!
٤ - إن صيانة أي علم من العلوم والاحتفاظ به وتقديمه للأجيال كما هو عليه من أدنى اختلاف أو زيادة - ولو في المعنى - لا يكون إلا عن طريق الكتابة، ولو كان الحفظ مقدما على الكتابة في ذلك، لاستعيض بالحفظ عن التدوين بالنسبة إلى القرآن الكريم، بينما نجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد

---
(١) الكافي ١ / ٤٢ ح ٨.

ركز اهتمامه على كتابة الآيات أولا بأول ولم يتكل على الحفظ في بقاء القرآن سالما من الزيادة والنقصان.
هذا، وقد يبرر بعضهم فعل أبي بكر وعمر، بعدم معرفة المحدثين من الصحابة للكتابة، كما اختاره ابن حجر (١).
ولا يخفى ما فيه، لأن النهي عن الكتابة لا يتوجه إلى الأميين، لأنه تكليف بمتعذر، فالرجل الأمي لا يقال له: لا تكتب، فلا بد من افتراض وجود العارف بالكتابة في مرحلة سابقة على ورود النهي.
ثم، كيف لا يوجد في الصحابة من يحسن الكتابة، وقد تعلموها، وكتبوا المصحف في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟! بل كانت لبعضهم مصاحف
معروفة، تعرض لها السجستاني بكتابه " المصاحف ".
هذا، فضلا عن كون التدوين كان معروفا عند عرب الحيرة والقرشيين قبل الإسلام (٢).
هذه هي أهم المبررات التي تذرع بها المانعون في منطق أنصارهم، وهي كما تقدم لا تصح جميعا في منطق الشرع والعقل لأن تكون سببا في إهمال السنة النبوية.
الأسباب الواقعية لمنع تدوين الحديث الشريف:
إن الأسباب الواقعية، والدوافع الحقيقة وراء المنع المذكور، هي أسباب ودوافع سياسية اقتضتها مصلحة السلطة، وخلاصتها محاولة التعتيم

---

(١) هدي الساري ١ / ٤.
(٢) دراسات في الحديث والمحدثين: ١٥ - ١٦.

على منزلة أهل البيت (عليهم السلام)، والتقليل من شأنهم، وإبعادهم عن الحكم، وإخفاء حقهم وأولويتهم في خلافة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).
لأن الناس إذا ما عرفوا – من خلال تدوين الأحاديث الشريفة – أنها تنص صراحة بالخلافة على أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتقديم أهل البيت (عليهم السلام) على سائر الناس، تأكد لهم أن أحداث السقيفة التي مني بها الإسلام والمسلمون فيما بعد، لم تكن أحداثا عادية، وإنما أحداثا خطيرة جدا في تاريخ الإسلام السياسي إذ غيرت مجرى الأحداث، وأقصت أهل البيت (عليهم السلام) عن حقهم الشرعي في الخلافة.
وهذا ما يشكل خطرا حقيقيا على السلطة الحاكمة، وإدانة لها، بأنها مغتصبة، ويجب شرعا إزاحتها وإعادة الحق إلى أهله، ومن هنا ابتليت السنة المطهرة بالمواقف السابقة.
ويمكن أن يضاف إلى ذلك سبب آخر، وهو أن الخلفاء الثلاثة منحوا أنفسهم صلاحية واسعة في ميادين الاجتهاد في مقابل نصوص الشريعة الإسلامية، مع تعرضهم المستمر في بداية الأمر إلى انتقادات الصحابة وإثبات أن تلك الاجتهادات مخالفة لما هو ثابت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (١)، وكان التراجع عما اجتهدوا به حليفهم، وباستمرار الحالة، فإنها أخذت تشكل خطا بيانيا متصاعدا في الاستياء من تلك الاجتهادات المخالفة لروح الشريعة نصا ومضمونا، مما حملهم على اتخاذ الإجراءات الحاسمة لوقف حالة الاعتراض والتذمر عند رؤوس الصحابة وذلك بحسم مادتها، وهو الحديث!

---

(١) راجع " النص والاجتهاد " للسيد شرف الدين، ففيه نماذج كثيرة جدا من اجتهادات الخلفاء الثلاثة في مقابل النص.

نعم، كان من المناسب جدا لبقاء السلطة أن تقوم بفعل كهذا وتبرره على أساس حفظ القرآن الكريم تارة، وعدم إهماله أخرى، ومراعاة الحفظ ثالثة، لأن التراجع عن الرأي كلما بان خطأه، يشكل إدانة قوية لهم في احتلال مواقع غيرهم.

فلا محيص إذن من القول بمنع تدوين الحديث، لكي لا يكون بيد الصحابة أدنى سلاح حديثي يلوح به في وجه السلطة اعتراضا على نمط سياستها ولون فقهها (١).

* * *

---

(١) السبب الأول من أسباب المنع الحقيقية، برهن عليه في أغلب كتب الشيعة وبحوثهم حول تاريخ السنة المطهرة لا سيما في كتاب تدوين السنة الشريفة للسيد الجلالي، والثاني هو من إفادات السيد علي الشهرستاني – صاحب كتاب " وضوء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) " – في بحث خطي له عن تدوين السنة.

تاريخ تدوين الحديث الشريف وعلومه

أولا: تاريخ تدوين الحديث الشريف وعلومه عند العامة:

اختلف المؤرخون لحركة تدوين الأحاديث عند العامة اختلافا واسعا في تعيين زمان التدوين الفعلي، بعد اتفاقهم جميعا على أن بذور التدوين الأولى قد غرست بيد عمر بن عبد العزيز الأموي (ت ١٠١ ه)، ثم نمت تدريجيا وأينعت في القرن الثالث الهجري، حين برزت عندهم المدونات الحديثية المتداولة اليوم من المسانيد والصحاح وغيرها.

فعمر بن عبد العزيز هو أول حاكم أموي نبه - بعد فوات الأوان - على الخطر الحقيقي الذي أحدق بالحديث الشريف نتيجة الحظر المضروب عليه من لدن أسلافه اقتداء منهم بسنة الشيخين! ولهذا فقد أصدر أمرا بتدوينه، ولكن بعد مضي قرن من الزمان على إهماله!

ويبدو أنه انتدب لهذه المهمة أكثر من واحد، ففي قول الخطيب البغدادي: أنه أرسل رسالة إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي، قاضي المدينة (ت ١٢٠ ه) يقول فيها: انظر ما كان من حديث رسول الله فاكتبه، فإني قد خشيت دروس العلم وذهاب العلماء (١).

---

(١) تقييد العلم: ١٠٦.

وفي قول ابن سعد: أنه كتب إلى مرة بن كثير يأمره بذلك (١).
وفي قول القرطبي (ت ١٢٤ ه): أنه أمر ابن شهاب الزهري بتدوين الحديث (٢). كما قيل: أنه أمر أهل المدينة بذلك.
ويرى البعض منهم تأخر تدوين الأحاديث إلى ما بعد وفاة عمر بن عبد العزيز، فقد صرح ابن حجر في مقدمة " فتح الباري " بأن أول من جمع الحديث ودونه بمكة هو ابن جريح (ت ١٥٠ ه).
ثم ذكر جماعة من مدوني الحديث الأوائل بحسب الأمصار الإسلامية التي نشط بها التدوين يومذاك، فكان أول من دونه منهم بالمدينة المنورة: ابن إسحاق (ت ١٥١ ه)، وبالبصرة حماد بن سلمة (ت ١٥٧ ه)، وبواسط هشيم بن بشير السلمي (ت ١٨٣ ه)، وباليمن معمر (ت ١٥٣ ه)، وبالري جرير بن عبد الحميد الضبي (ت ١٨٨ ه)، وبخراسان عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ ه).
وهذه هي المرحلة الأولى من مراحل التدوين الرسمي للحديث الشريف، وقد اتسمت تلك المرحلة بتدوين الأحاديث المنسوبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، مع أقوال الصحابة وفتاواهم جنبا إلى جنب دونما تنسيق أو
تبويب.
ثم جاء دور المرحلة الثانية من التدوين: وفيها أفردت الأحاديث المنسوبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن أقوال الصحابة وفتاواهم، وذلك عن طريق
جمع المسانيد وترتيبها، وقد ابتدأت تلك المرحلة من أواخر القرن الثاني

---

(١) الطبقات الكبرى ٧ / ٤٤٧.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ١ / ٧٦، وانظر تدوين السنة الشريفة: ١٦ - ١٧.

وامتدت إلى الربع الأول من القرن الثالث الهجري، ومن أعلام المدونين فيها عبد الله بن موسى الكوفي، وأسد بن موسى البصري، وأحمد بن حنبل (ت ٢٤٠ ه)، وغيرهم.

أما المرحلة الثالثة من تدوين الأحاديث عند العامة، فقد ابتدأت بعد انتهاء دور المرحلة الثانية، وانتهت في أوائل القرن الرابع الهجري، وقد اتسمت تلك المرحلة بجمع الأحاديث وتصنيفها على الأبواب، بحيث جعل لكل صنف من الأحاديث التي تدور حول محور واحد باب خاص به، كما امتاز التصنيف فيها بجودة الترتيب بالقياس إلى المرحلتين السابقتين، هذا مع اختيار المحدث ما يراه مناسبا للتدوين، كل بما يمليه عليه علمه واجتهاده ومنهجه.

ومن أهم كتب هذه المرحلة هي:

صحيح البخاري (ت ٢٥٦ ه)، وصحيح مسلم (ت ٢٦١ ه)، وسنن ابن ماجة (ت ٢٧٣ ه)، وسنن أبي داود السجستاني (ت ٢٧٥ ه)، وسنن الترمذي (ت ٢٧٩ ه)، ومجتبى النسائي (ت ٣٠٣ ه)، وتسمى هذه الكتب - عند العامة - بالصحاح الستة، ويلحقها - في الرتبة والزمان - صحيح ابن خزيمة (ت ٣١١ ه)، وصحيح أبي عوانة (ت ٣١٦ ه) وغيرهما.

ومع أن تحري الصحيح دون غيره من مستلزمات مدوني الحديث لا سيما في هذه المرحلة التي تعد من أهم مراحل التدوين عند العامة، وكتبها من أصح كتب الحديث عندهم، إلا أنها لم تسلم كغيرها من الأحاديث الموضوعة، والضعيفة، بسبب الحظر المضروب على الحديث كما مر، ولكون أصحاب هذه الكتب اعتمدوا بشكل مباشر على مسموعات

ومدونات المرحلتين السابقتين التي اختلط فيها الغث بالسمين نتيجة انفصالهما عن العصر النبوي الشريف فترة طويلة سخر فيها معاوية وحزبه جملة من الصحابة لوضع الأحاديث الجمة في فضائل الثلاثة وتكريس آرائهم، مع النيل من خصومه السياسيين بكل ما استطاع إليه سبيلا، ولو بالكذب والبهتان.

ولهذا، فقد أدرك علماؤهم ضرورة البحث الرجالي، فألفوا كتبا في الرجال، وذلك بعد سنة (٢٦٠ ه)، لأن أول من تكلم منهم في الرجال هو شعبة - المتوفى في سنة (٢٦٠ ه) - كما نص على ذلك السيوطي في كتابه " الأوائل " (١)، ثم توالى التأليف الرجالي عندهم بعد هذا التاريخ، كما أدركوا حاجتهم إلى علوم الدراية فظهر أول كتاب لهم وهو " المحدث الفاصل " للقاضي أبي محمد الرامهرمزي (ت ٣٦٠ ه)، ولم يكن كتابه جامعا لعلوم الدراية، ثم جاء بعده الحاكم (ت ٤٠٥ ه) في " مصطلح الحديث "، ثم أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ ه)، ثم الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ ه) في كتابه " الكفاية "، إلى أن جاء ابن الصلاح الشهرزوري (ت ٦٤٣ ه) فكتب مقدمته الشهيرة في علوم الحديث حتى عد الخاتمة في هذا الباب (٢).

هذا هو مجمل نشاط العامة في تاريخ تدوين الحديث وما يتصل به من الدراية والرجال بعد رفع الحظر عن تدوينه، بعيدا عن الإطناب الممل،

---

(١) راجع: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٣٣.

(٢) عني العامة بمقدمة ابن الصلاح كثيرا، فقد شرحها الحافظ العراقي (ت ٨٠٦ ه) وكذلك السخاوي (ت ٩٠٢ ه)، واختصرها النووي الشافعي (ت ٦٧٦ ه) في كتابه " التقريب " الذي شرحه السيوطي (ت ٩١١ ه) في " تدريب الراوي "، كما اختصرها ابن كثير (ت ٧٧٤ ه) في كتابه " الباعث الحثيث على معرفة علوم الحديث "، وقد رد فيه على ابن الصلاح في مواطن كثيرة.

والإسهاب المخل.

ثانيا: تاريخ تدوين الحديث وعلومه عند أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم:

يرجع تاريخ تدوين الحديث الشريف عند الشيعة الإمامية إلى وقت مبكر جدا من عصر صدر الإسلام، إذ كان موقفهم صريحا من الحظر المفروض على تدوين الحديث الشريف، فرفضوه رفضا باتا جملة وتفصيلا، ولم يلزموا أنفسهم به وقاوموه أشد المقاومة، وسارعوا إلى نقضه، ولم تثن طلائعهم عن المضي قدما في تدوين السنة تلك الأزمة الخانقة التي عاشها غيرهم مدة قرن من الزمان أو أكثر، ولم توقف عملية التدوين عندهم تلك العواصف الكثيفة التي حاولت بمكرها ودهائها أن تميت السنة المطهرة في مهدها، وتحجب أنوارها عن المسلمين، بل زاد إيمانهم بأن أهداف الحظر لم تكن لأجل الحفاظ على سلامة القرآن الكريم، وإنما كانت لصرف الناس عن أهل بيت نبيهم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما يستتبع

ذلك من طمس معالم الدين وتعاليمه، وضياع الحق، وفقدان الجزء الأعظم من الشريعة، ومن ثم إلباسها لباسا جديدا من البدع التي لا تمت بصلة إلى الواقع، فضلا عن التسامح في الشرع بإضفاء القدسية على تصرفات ما أنزل الله بها من سلطان.

لقد ترسم رواد التشيع في منهجهم هذا المنهج القرآني السليم، والسنة الكريمة الآمرة بالتدوين، مع اقتفاء خطى أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذلك، فهو الرجل الأول في الإسلام الذي حرص غاية الحرص على الأحاديث ودونها في حياة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتابين تواتر النقل

عنهما، وهما:
١ - الصحيفة الجامعة: إن الثابت عن علي (عليه السلام) هو أنه أول من دون الأحاديث الشريفة في كتاب، وهو كتاب: (الجامعة) وقد يسمى
ب: الصحيفة، أو: الصحيفة الجامعة، أو: كتاب علي (عليه السلام)، وهو من إملاء النبي (عليه السلام) وخط علي (عليه السلام) بيده.
فعن الإمام الصادق (عليه السلام): " إن عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإن الناس ليحتاجون إلينا، وإن عندنا كتابا إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخط
علي (عليه السلام)، صحيفة فيها كل حلال وحرام " (١).
وقد سميت هذه الصحيفة بالجامعة كما في روايات " الكافي "
" وبصائر الدرجات "، من ذلك قول الإمام الصادق (عليه السلام): " وإن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟! صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإملائه من فلق فيه، وخط علي بيمينه " (٢).
وورد ذكر صحيفة الإمام علي (عليه السلام) في صحيح البخاري، في باب كتابة العلم، وباب إثم من تبرأ من مواليه (٣).
وقد اعتمد على كتاب علي (عليه السلام) أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في مواطن كثيرة، فقد روى عنه كل من:
الإمام زين العابدين (عليه السلام)، كما في الكافي، والفقيه، والتهذيب (٤).
الإمام الباقر (عليه السلام)، كما في الكافي، والخصال، والتهذيب (٥).

---
(١) أصول الكافي ١ / ٢٤١ - ٢٤٢ ح ٦، وبصائر الدرجات: ١٤٩ ح ١٤.
(٢) أصول الكافي ١ / ٢٣٩ ح ١، وبصائر الدرجات: ١٥١ - ١٥٢.
(٣) صحيح البخاري ١ / ٤٠ و ٤ / ٢٨٩.
(٤) الكافي ٧ / ٤٠ ح ١، والفقيه ٤ / ١٥١، والتهذيب ٩ / ٢١١ ح ٨٣٥.
(٥) الكافي ٤ / ١٣٥ - ١٣٦، والخصال: ١٢٤، والتهذيب ٧ / ٤٣٢.

الإمام الصادق (عليه السلام)، كما في الكافي، والفقيه، وعلل الشرائع، والتهذيب، والاستبصار، والوسائل، والبحار (١).
كما صرح أصحاب الأئمة (عليهم السلام) برؤية الصحيفة الجامعة عند الأئمة (عليهم السلام)، فقد شهد بذلك أبو بصير بأنه رأى الصحيفة الجامعة عند الإمام الباقر (عليه السلام)، وسأله عنها، فقال له: " هذه إملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخط
علي (عليه السلام) " (٢).
ونظير هذه الشهادة شهادة عبد الملك بن أعين (٣)، ومحمد بن مسلم في مواضع متعددة من كتبنا الأربعة (٤).
كما رأى الحكم بن عيينة - أو: عتيبة - أبو محمد الكندي الكوفي الزيدي البتري (ت ١١٤ ه أو ١١٥ ه) كتاب علي (عليه السلام) عند الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، روى ذلك النجاشي في ترجمة محمد بن عذافر (٥).
وتوجد قطعة من هذا الكتاب - الذي هو من إملاء الرسول، وخط علي صلوات الله عليهما في أمالي الشيخ الصدوق، أوردها في المجلس السادس والستين (٦).
كما توجد نسخة من صحيفة الإمام علي (عليه السلام) - وهي كتاب في

---

(١) الكافي ٤ / ٩ ح ٤ و ٤ / ٣٠٤ ح ٧ و ٨، والفقيه ٢ / ١١٧، وعلل الشرائع ٢ / ١٦٠، والتهذيب ٥ / ٣٥٥ و ٩ / ٢، والاستبصار ٢ / ٢٠٢، و ٤ / ٥٩، والوسائل ٩ / ٤٣٨ و ١٦ / ٣٣٤، وبحار الأنوار ١٠ / ٢٥٤.
(٢) بصائر الدرجات: ١٤٤.
(٣) بصائر الدرجات: ١٦٢ و ١٦٥.
(٤) الكافي ٧ / ٩٣ و ١١٣، والفقيه ٤ / ١٩٢، والتهذيب ٩ / ٢٧٠ و ٣٨٠.
(٥) رجال النجاشي: ٣٥٩ - ٣٦٠ رقم ٩٦٦.
(٦) أمالي الشيخ الصدوق: ٣٤٤ - ٣٥٢ المجلس رقم ٦٦.

الديات – عند السيد حسن الصدر، إذ صرح بذلك فقال: " وعندي منه نسخة " (١).
والظاهر أن هذه الصحيفة الأخيرة هي التي روى عنها البخاري كما تقدم وليست هي الصحيفة الجامعة التي فيها كل حلال وحرام حتى أرش الخدش، فهي غيرها وإن اشتبه بها الكثيرون.
٢ – كتاب الجفر: وإلى جانب ذلك، يوجد كتاب آخر لعلي (عليه السلام) باسم كتاب " الجفر "، والجفر لغة: من أولاد الشاء إذا عظم واستكرش، قال أبو عبيد: إذا بلغ ولد المعزى أربعة أشهر وجفر جنباه، وفصل عن أمه، وأخذ في الرعي فهو جفر (٢).
والمراد منه في الحديث على حذف مضاف، أي: جلد الجفر، ولعله صار كالعلم على جلد مخصوص لثور أو شاة، لكثرة الاستعمال (٣)، وحقيقة الجفر: هو كتاب كتب على جلد الجفر أي: جلد ثور أو شاة، ولذا سمي بكتاب الجفر، وهو أيضا من إملاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وخط الوصي (عليه السلام)، وعلى
ذلك تضافرت الروايات عند الشيعة.
واعترف بهذا الكتاب بعض علماء العامة أيضا:
قال الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ ه) في " شرح المواقف " لعضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦ ه) عن كتاب الجفر والجامعة: " وهما كتابان لعلي رضي الله عنه – إلى أن قال: – وفي كتاب قبول العهد الذي كتبه علي

---

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٧٩.
(٢) لسان العرب ٢ / ٣٠٤.
(٣) أعيان الشيعة ١ / ٩٤.

بن موسى الرضا رضي الله عنهما إلى المأمون: إنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه آباؤك، فقبلت منك عهدك، إلا أن الجفر والجامعة يدلان على أنه لا يتم " (١).

كما اعترف به صاحب " كشف الظنون "، وقال عن العلم المودع في الجفر بعد كلام له: " وهذا علم توارثه أهل البيت، ومن ينتمي إليهم.. وكانوا يكتمونه عن غيرهم كل الكتمان، وقيل: لا يقف [لا يفقه] في هذا الكتاب حقيقة إلا المهدي المنتظر خروجه في آخر الزمان " ثم نقل قصة الإمام الرضا (عليه السلام) مع المأمون وقوله (عليه السلام): إلا أن الجفر والجامعة يدلان

على أن هذا الأمر لا يتم.

فعقب عليه بقوله: " وكان كما قال، لأن المأمون استشعر فتنة من بني هاشم فسمه، كذا في " مفتاح السعادة ".

ثم قال: قال ابن طلحة: الجفر والجامعة كتابان جليلان، أحدهما ذكره الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وهو يخطب بالكوفة على المنبر، والآخر أسره [إليه] رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمره بتدوينه.

إلى أن قال: ومن الكتب المصنفة فيه، الجفر الجامع والنور اللامع للشيخ كمال الدين أبي سالم محمد بن طلحة النصيبي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٢ اثنتين وخمسين وستمائة " (٢).

كما اعترف بكتاب الجفر ابن خلدون الأموي (ت ٨٠٨ ه) في تاريخه، مشيرا إلى ما كان من تحذير الإمام الصادق (عليه السلام) لبني الحسن

---

(١) شرح المواقف ٦ / ٢٢ في المقصد الثاني، مبحث العلم الواحد الحادث هل يجوز تعلقه بمعلومين؟

(٢) كشف الظنون ١ / ٥٩١ - ٥٩٢ تحت عنوان: " علم الجفر والجامعة ".

وإخبارهم بمصارعهم استنادا إلى آثار النبوة (١).
ولأبي العلاء المعري أبيات شعرية يرد فيها على من ينكر حقيقة العلم الموجود في كتاب الجفر، يقول فيها:
لقد عجبوا لأهل البيت لما * أروهم علمهم في مسك جفر
ومرآة المنجم وهي صغرى * أرته كل عامرة وقفر (٢)
وأما عن أحاديث الجفر في كتب الشيعة فلا شك في تواترها عن أهل البيت (عليهم السلام)، ففي " بصائر الدرجات " وحده أكثر من عشرين طريقا متصلا بأبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، في خصوص كتاب الجفر (٣)، هذا فضلا عما في غيره (٤).
وبالجملة، فإن لأهل البيت (عليهم السلام) اهتماما بالغا في صيانة حديث المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخير ما يدلك على هذا ما رواه محمد بن جرير الطبري
الآملي في " دلائل الإمامة " مسندا إلى ابن مسعود أنه قال: " جاء رجل إلى فاطمة (عليها السلام)، فقال: يا ابنة رسول الله، هل ترك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندك
شيئا تطرفينيه؟ فقالت (عليها السلام): يا جارية، هات تلك الجريدة، فطلبتها فلم تجدها، فقالت (عليها السلام): ويحك اطلبيها، فإنها تعدل عندي حسنا وحسينا،

---

(١) تاريخ ابن خلدون ١ / ٥٨٩ الفصل ٥٣.
(٢) لزوم ما لا يلزم ٢ / ٧٤٨ طبعة دمشق، وانظر: أعيان الشيعة ١ / ٩٦، والمسك - بفتح الميم - هو الجلد.
(٣) بصائر الدرجات: ١٧٠ - ١٨١ ح ١ - ٧ و ٩ - ١٦ و ١٩ - ٢٢ و ٣٠ و ٣٣ و ٣٤، و: ١٨٠ ح ٣١ و: ١٧٨ - ١٧٩ ح ٢٤.
(٤) أنظر: أصول الكافي ١ / ١٨٥ - ١٨٨ ح ١ و ٣ - ٧، و ١ / ٢٤٩ ح ٢، وكمال الدين ٢ / ٣٥٢ ح ٥٠، والفقيه ٤ / ٣٠٠ ح ٩١٠ والغيبة - للشيخ الطوسي -: ١٦٧ ح ١٢٩ وبحار الأنوار ٥١ / ٢١ ح ٩ وقد أحصى السيد الأمين في أعيان الشيعة ١ / ٩٦ طرق الجفر فبلغت أكثر من أربعين طريقا.

فطلبتها، فإذا هي قد قممتها في قمامتها، فإذا فيها:
قال محمد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ليس من المؤمنين من لم يأمن جاره بوائقه،
ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو يسكت، إن الله يحب الخير الحليم المتعفف، ويبغض الفاحش البذاء السائل الملحف، إن الحياء من الإيمان والإيمان من الجنة، وإن الفحش من البذاء والبذاء في النار " (١).
ومن الجدير بالإشارة، هو أن الكتب التي وصلت إلى آخر أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وهو الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، لم تكن محصورة بما ذكرناه من الجفر والجامعة، بل وصلت إليهم (عليهم السلام) كتب وصحف كثيرة ورثوها كابرا عن كابر.
ومما يؤيد هذا في كتب العامة، هو ما أخرجه القندوزي الحنفي (ت ١٢٧٠ ه) عن " فرائد السمطين " للجويني الشافعي (ت ٧٣٠ ه) بسنده عن الإمام الباقر، عن أبيه، عن جده أمير المؤمنين (عليهم السلام)، أنه قال: " قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا علي! أكتب ما أملي عليك.
قلت: يا رسول الله، أتخاف علي النسيان؟
قال: لا، وقد دعوت الله عز وجل أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن أكتب لشركائك.
قلت: ومن شركائي يا نبي الله؟
قال: الأئمة من ولدك... " (٢).

---

(١) دلائل الإمامة: ١، وانظر: مستدرك الوسائل ١٢ / ٨٠ - ٨١ ح ١٣٥٧١ (٤) من الباب / ٧١.
(٢) فرائد السمطين ٢ / ٢٥٩ باب ٥٠ ح ٥٢٧، وانظر: ينابيع المودة ١ / ٧٣ ح ٨ ٣ من الطبعة المحققة.

ومما يؤيده في أحاديث الشيعة، ما أخرجه الصفار (ت ٢٩٠ ه)
بسنده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال في وصف ما عنده من الصحائف
والكتب التي ورثها عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حديث جاء فيه: "
أيم الله، لو
أنشط، ويؤذن لي لحدثتكم حتى يحول الحول لا أعيد حرفا.
وأيم الله، عندي لصحف كثيرة، قطائع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) " (١).
وهناك عشرات الأحاديث الصحيحة في كتب الشيعة الروائية
المعتبرة، كالبصائر، والكافي، والإرشاد، وغيرها تعكس - وبصورة واضحة -
اهتمام كل إمام من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بتلك الكتب والصحائف اهتماما
منقطع النظير بحيث يجعلها في مقدمة وصاياه إلى من سيخلفه من ولده،
وقد جمع العلامة المجلسي تلك الأحاديث، وأوردها في بحار الأنوار،
فراجع.
مراحل تدوين الحديث عند الشيعة:
مر تدوين الحديث الشريف عند الشيعة بمراحل متعددة قبل تدوين
كتبهم الحديثية الأربعة، ابتداء من العصر النبوي الشريف، وانتهاء بحلول
الغيبة الصغرى سنة ٢٦٠ ه.
وهذا يعني امتياز الشيعة عن غيرها من الاتجاهات الفكرية والسياسية
والعقائدية بميزتين أساسيتين، وهما:
١ - النشأة، ويدل عليها ما جاء في كتاب " الزينة " لأبي حاتم سهل

---

(١) بصائر الدرجات: ١٤٩.

بن محمد السجستاني (ت ٢٥٠ ه) من أن أول اسم ظهر على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو اسم الشيعة، قال: وكان هذا لقب أربعة من الصحابة،
وهم: أبو ذر، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر (١).
٢ - النشاط العلمي، ويدل عليه، أن السبق الزمني إلى ميادين التدوين كان حليف الشيعة منذ نشأتها.
فقد عرف عن أبي ذر الغفاري جندب بن جنادة (ت ٣٢ ه)، وسلمان الفارسي (ت ٣٦ ه) بأنهما أول من صنف في الآثار، إذ صنف أبو ذر (رحمه الله) كتابا عرف باسم " الخطبة " ذكر فيه ما جرى من أمور بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).
كما صنف سلمان (رحمه الله) كتابا بعنوان " حديث الجاثليق "، ذكرهما الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ ه) في ترجمتهما في كتابه " الفهرست ".
وأما فيما يتصل بدورهم ونشاطهم الحديثي، فإنه مما لا شك فيه أن تاريخ تدوين الحديث عندهم لم يمر بفترة انقطاع بخلاف ما عرفناه عند غيرهم.
وقد مر أن أول من دون الحديث في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سماعا عنه
وإملاء من فلق فيه الشريف، هو سيد الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).
ومن هنا برز دور الشيعة في تدوين الحديث، لاقتدائهم بهدي القرآن الكريم الذي أمر بآياته، كآية النفر، وبسوره كسورة القلم، وغيرها بالتعلم والتعليم، واهتداء بالسنة المطهرة الآمرة بالتدوين، وبفعل

---

(١) راجع: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: ٢٨٠.

أمير المؤمنين (عليه السلام).
فقد صنف مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وصاحب أمير المؤمنين (عليه السلام)
وخازنه على بيت أموال المسلمين بالكوفة، الصحابي الجليل أسلم أبو رافع، كتابا بعنوان " كتاب السنن والأحكام والقضايا "، واشتمل هذا الكتاب المبوب على أبواب الصلاة والصيام، والحج، والزكاة، والقضايا، على الأحاديث الشريفة المصنفة على تلك الأبواب.
مات أبو رافع (رضي الله عنه) بعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام) سنة ٤٠ ه، وقيل في أول خلافته (عليه السلام)، أي: في سنة ٣٥ ه.
ومنه يعلم أنه أول من دون الحديث مبوبا بعد أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو من شيعته بلا خلاف بين سائر أرباب الرجال والتراجم.
وبهذا تكون المرحلة الأولى من مراحل تدوين الأحاديث عند الشيعة قد ابتدأت وانتهت في عصر صدر الإسلام.
ثم جاءت المرحلة الثانية، ويمثلها خلص أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) من الذين لم يدركوا العصر النبوي، بل كانوا من رؤوس التابعين، فخلفوا لمن جاء بعدهم كتبا كثيرة في الحديث الشريف، وقد برز منهم: الأصبغ بن نباتة، والحرث بن عبد الله، وربيعة بن سميع، وسليم بن قيس الهلالي، وعبيد الله بن الحر، وعبيد الله بن أبي رافع، وأخوه علي بن أبي رافع - وكانا كاتبين لعلي (عليه السلام) - ومحمد بن قيس البجلي، وميثم التمار (ت ٦٠ ه) ويعلى بن مرة، وغيرهم.
وقد انحصر التدوين في هذه المرحلة في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، بعد اشغال النصف الأول منه بمدونات الأوائل من الصحابة الشيعة، إذ كان عمر التدوين في هاتين المرحلتين ممتدا على طول زمان

الحظر الرسمي عليه من لدن السلطة، إذ مر أن أول من رفع الحظر المضروب على الحديث هو عمر بن عبد العزيز الأموي (ت ١٠١ ه).
وبعد انقضاء المرحلة الثانية، تلتها المرحلة الثالثة في تدوين الأحاديث عند الشيعة، وكان طلائع تلك المرحلة قد عاشوا زمان الانفتاح على التدوين عند العامة، وبعبارة أدق، أنهم عاشوا في الفترة الممتدة من عصر الإمام السجاد زين العابدين (عليه السلام) (ت ٩٥ ه) إلى سنة ١٥٠ ه، بحيث أدركوا زمان الإمام السجاد (عليه السلام) ورووا عنه.
ومن أعلام المدونين في هذه المرحلة للأحاديث الشريفة: زيد الشهيد سنة ١٢٢ ه (رحمه الله)، وجابر الجعفي (ت ١٢٧ ه)، والحسين بن ثور، وأبان بن تغلب (ت ١٤١ ه) وكان من أشهر المحدثين والفقهاء من أصحاب الأئمة (عليهم السلام) في ذلك العهد، وزياد بن المنذر المعروف بأبي الجارود (ت ١٥٠ ه)، وغيرهم.
وبعد هذه المراحل الثلاث جاء دور تلاميذ الإمامين الباقر (ت ١١٤ ه) والصادق (ت ١٤٨ ه) (عليهما السلام)، ليشكلوا مرحلة رابعة في تاريخ تدوين الحديث عند الشيعة، وهم كثيرون جدا، إلا أن أشهرهم: زرارة بن أعين (ت ١٥٠ ه)، ومحمد بن مسلم (ت ١٥٠ ه)، وعبد المؤمن بن القاسم الأنصاري (ت ١٤٧ ه)، ويحيى بن القاسم، يكنى أبا بصير، وبسام الصيرفي، وزكريا بن عبد الله، وجحدر بن المغيرة، وحجر بن زائد، وعبد الله بن ميمون القداح، ومعاوية بن عمار (ت ١٧٥ ه)، وغيرهم الكثير من الذين تركوا كتبا في الحديث لا زالت أسماؤها محفوظة، والطرق إليها معلومة.
ثم توالى التدوين بعد ذلك بشكل منقطع النظير لا سيما في عصر

الإمام الصادق (عليه السلام) كما سنشير إليه في محله.
لقد بينت فهارس الكتب الشيعية - كفهرست النجاشي، وفهرست الشيخ الطوسي - أسماء المدونين في تلك المراحل الأربع وما بعدها، مع أسماء مدوناتهم بكل دقة وتفصيل.
كما فصل السيد حسن الصدر في " تأسيس الشيعة " مؤلفات الشيعة المتقدمة في ذلك العهد من عمر التدوين، مع ترتيبها بحسب المراحل التاريخية.
وبالجملة، فإن المدونات الشيعية لأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) ابتداء من عصر صدر الإسلام وانتهاء بسنة ٢٦٠ ه، بلغت أكثر من ستة آلاف وستمائة كتاب، فيما أحصاه المحدث الشهير والفقيه المتتبع الشيخ الحر العاملي (رحمه الله) في آخر الفائدة الرابعة من خاتمة " وسائل الشيعة " (١).
وفي " نهاية الدراية " للسيد حسن الصدر ما يؤيد هذا العدد حيث سمى المؤلف من الرواة، وعدد ما ألفه من الأصول، أو الكتب، أو المجاميع، أو المسانيد، ونحوها كما قاله هو نفسه (رحمه الله) في " تأسيس الشيعة " (٢).
وقد نص ابن النديم على بعض ما اشتهر منها في كتابه " الفهرست " (٣).

---

(١) وسائل الشيعة ٣٠ / ١٦٥، الفائدة الرابعة من الخاتمة.
(٢) تأسيس الشيعة: ٢٨٨.
(٣) فهرست ابن النديم: ٢٧٥ - ٢٧٨، وفيه أكثر من خمسين مصنفا من مصنفات الشيعة الأوائل.

ومما لا شك فيه أن عددا وافرا من مجموع الإحصاء الذي ذكره الشيخ الحر (رحمه الله) قد ألف في عصر الإمام الصادق (عليه السلام)، إذ بلغ النشاط العلمي للشيعة الإمامية في عهده (عليه السلام) - وعلى يده - الذروة والقمة، خصوصا وقد وجد الإمام العظيم متنفسا بخلاف ما كان عليه آباؤه الكرام الذين أحاطت بهم عيون السلطة الحاكمة من كل جانب!

وكدليل على ذلك النشاط، هو ما قاله الشيخ المفيد (ت ٤١٣ ه):

" إن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل " (١).

وقد تصدى ابن عقدة الحافظ (ت ٣٣٣ ه) إلى جمع أسماء الرجال الذين رووا عنه (عليه السلام)، في كتابه المعروف ب " أسماء الرجال الذين رووا عن الصادق (عليه السلام) " فبلغوا أربعة آلاف رجل، وقد ذكر فيه لكل واحد فيهم الحديث الذي رواه (٢).

وقال المحقق الحلي في كتاب " المعتبر " واصفا دور الإمام الصادق (عليه السلام) في نشر العلم والمعرفة على أوسع نطاق، وما خرجته مدرسته العلمية من الفضلاء والفقهاء والعلماء بشتى فنون الشريعة:

" فإنه انتشر عنه من العلوم الجمة ما بهر به العقول، حتى غلا فيه جماعة وأخرجوه إلى حد الألوهية، وروى عنه من الرجال ما يقارب أربعة آلاف رجل، وبرز بتعليمه من الفقهاء جم غفير، كزرارة بن أعين، وأخويه: بكير وحمران، وجميل بن دراج، ومحمد بن مسلم، وبريد بن معاوية،

---

(١) الإرشاد ٢ / ١٧٩، ومناقب ابن شهرآشوب ٤ / ٢٤٧، وإعلام الورى: ٣٨٤ الفصل الرابع.

(٢) رجال العلامة الحلي: ٢٠٣ - ٢٠٤ رقم ١٣ من القسم الثاني.

والهشامين (هشام بن سالم، وهشام بن الحكم)، وأبي بصير، وعبيد الله ومحمد الحلبيين، وعبد الله بن سنان، وأبي الصباح الكناني، وغيرهم من أعيان الفضلاء. كتب من أجوبة مسائله أربعمائة مصنف، سموها: أصولا " (١).

وفي ترجمة الحسن بن علي بن زياد الوشاء، الثقة الجليل، ما يدل على كثرة من تخرج من المحدثين على يد الإمام الصادق (عليه السلام)، فقد شهد على نفسه بأنه أدرك في مسجد الكوفة تسعمائة شيخ، كل يقول: حدثني جعفر ابن محمد (عليهما السلام) (٢).

ولا يبعد أن يكون معظم أصحاب الأصول الأربعمائة من جملة المشايخ الذين أدركهم الوشاء، وسمع عنهم في مسجد الكوفة.

الأصول الأربعمائة:

إن من المسلم به عند علماء الشيعة هو اشتهار أربعمائة مصنف - من بين تراثهم الحديثي المدون في عصور الأئمة (عليهم السلام) - لأربعمائة مصنف من أصحاب الإمامين الباقر (ت ١١٤ ه) والصادق (ت ١٤٨ ه) (عليهما السلام). أو من أصحاب سائر الأئمة الأطهار (عليهم السلام) على رأي آخر، والأول هو الأشهر.

ولا يخفى أن (الأصل) مأخوذ فيه لغة معنى الاعتماد، كما عرفه الأصوليون بأنه: ما يبتنى عليه غيره، فيكون بمثابة الأساس لذلك الغير.

---

(١) المعتبر: ٢٦ من المقدمة.

(٢) رجال النجاشي: ٣٩ - ٤٠ رقم ٨٠.

وعلى هذا تكون الأصول الأربعمائة هي المعول عليها والمرجع والمعتمد لدى أصحاب المجاميع الحديثية المتأخرة عنها، كالكتب الأربعة وغيرها.
وقد جاء في " زاد المجتهدين ": " إنك لا ترى بالاستقراء أحدا من أهل الأصول قد رمي بالضعف أصلا، إلا شاذا شديد الشذوذ كالحسن بن صالح بن حي، ولعله ممن اتفقت له حالتان كما في كثير منهم، وبأن أكثر هذه الأصول مروية عن ابن أبي عمير، وصفوان بن يحيى، والحسن بن محبوب ونظرائهم " (١).
إذن، ما يميز الأصول الأربعمائة عن غيرها من المؤلفات الأخرى – في ذلك الحين –، هو وثاقة جل مؤلفيها حتى اختار بعضهم القول بحسن من له " أصل " وإن لم يرد فيه توثيق، وقال آخرون بوثاقته، هذا مع شدة اعتماد العلماء عليها وتقديمها على غيرها.
والمهم في الأصول الأربعمائة هو الإجماع على عدها حاكية لكلام المعصوم (عليه السلام)، بصورة مباشرة، وبلا واسطة في السماع غالبا، مع صحة نسبتها – عند علماء الشيعة الإمامية – إلى مؤلفيها، بل تواترها عنهم على ما صرح به كثير من الأعلام.
وقد اختصت الأصول الأربعمائة بتدوين الأحاديث الشريفة دون سيرة المعصوم (عليه السلام) أو آثاره الأخرى، بخلاف المؤلفات الأخرى التي تجمع مع الحديث آثار الإمام وسيرته (عليه السلام).
وربما تكون – على ما قيل – مختصة بمطلق آثار الإمام المعصوم (عليه السلام) ولكن من غير تبويب، بخلاف الكتب التي تكون عادة مبوبة ومفصلة على

---

(١) زاد المجتهدين في شرح بلغة المحدثين: ١٦٤.

أبواب الفقه وفصوله.
وهذا لا يمنع من أن تكون للأصول طريقة خاصة في الترتيب، كما يظهر من كلام الشيخ الطوسي في ترجمة أحمد بن محمد بن نوح، قال: " وله كتب – في الفقه – على ترتيب الأصول " (١).
ومن مميزات الأصول أيضا أنها خالية من آراء المؤلف وترجيحاته بخلاف كتب الحديث التي لا تكاد تخلو من آراء مصنفيها، أو ترجيحاتهم، أو بياناتهم لبعض المطالب الغامضة، كشرح عبارة في حديث، ونحو ذلك (٢).
أما متى سميت تلك المؤلفات بالأصول الأربعمائة؟
فالظاهر أنها لم تكن معروفة بهذا الاسم في زمان مؤلفيها بل عرفت به فيما بعد.
وأقدم نص – وقفت عليه – يصرح بلفظ الأصل، هو ما ذكره الشيخ النعماني محمد بن إبراهيم، من أعلام القرن الرابع الهجري، ومن تلاميذ ثقة الإسلام الكليني، قال في تقريظ كتاب سليم بن قيس الهلالي: " وليس بين جميع الشيعة – ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة (عليهم السلام) – خلاف في أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل

---

(١) فهرست الشيخ الطوسي: ٣٧ رقم ١١٧.
(٢) راجع معنى قولهم: " له أصل " في كتب الدراية الشيعية، مع كتب الرجال، كهداية المحدثين: ٣٠٧، وفوائد الوحيد: ٣٢، وزاد المجتهدين ١ / ١٥٨ و ١٦٤، ومعراج أهل الكمال: ١٧، وعدة الرجال ١ / ٩٥، ومنتهى المقال ١ / ٦٩، ورجال الخاقاني: ٢٢، ومقياس الهداية ٣ / ٢٠، وقاموس الرجال ١ / ٦٤ فصل ٢٢.

العلم من حملة حديث أهل البيت (عليهم السلام)، وأقدمها، لأن جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنما هو عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأمير المؤمنين (عليه السلام).
وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها، وتعول عليها... " (١).
ويظهر من هذا الكلام، أن الأصول كانت معروفة قبل زمان الشيخ النعماني (رحمه الله)، وأنها كانت مميزة عن غيرها عند أصحاب الأئمة (عليهم السلام)،
ولكن لا يعلم من ومتى أطلق عليها اسم (الأصول الأربعمائة)؟
نعم، يحتمل أن تكون تسميتها بذلك قد صدرت من محققي التراث الشيعي الذين عاشوا في أواخر عصر الأئمة (عليهم السلام)، وبعضهم في فترة الغيبة الصغرى (٢٦٠ ه - ٣٢٩ ه) من أمثال أحمد بن محمد بن عيسى، ومحمد بن الحسن الصفار، والحميري، وابن قولويه، وسعد بن عبد الله بن أبي خلف، وعلي بن الحسين بن موسى بن بابويه، ومجدد المذهب على رأس المائة الثالثة ثقة الإسلام الكليني، ونظرائهم من أقطاب التشيع في ذلك الحين في المدينة المنورة، والكوفة، وبغداد، وقم، والري، وغيرها.
وقد تكون تلك التسمية راجعة إلى مشايخ الشيعة من القميين دون غيرهم، نظرا لما اشتهروا به من كونهم أشد الناس حرصا على محاكمة الآثار وتقييمها.
ومهما يكن، فإن الأصول الأربعمائة كانت معروفة متداولة في زمان المحمدين الثلاثة أصحاب الكتب الأربعة وهم:
الكليني (ت ٣٢٩ ه)، والصدوق (ت ٣٨١ ه) والطوسي (ت ٤٦٠ ه) رحمهم الله تعالى.

---

(١) كتاب الغيبة - للنعماني -: ١٠١ - ١٠٢ ذيل الحديث ٣٠، من الباب الرابع.

التدوين المبكر عند الشيعة في علمي الرجال والدراية:
لقد حرص علماء الشيعة أشد الحرص على تحقيق الغاية من تدوين الأحاديث الشريفة وصيانتها، وذلك لأجل الوصول إلى الحكم الشرعي ومعرفته، ولهذا تتبعوا أحوال الرواة واحدا بعد آخر، وبالغوا في ذلك أشد المبالغة، ولم يكفهم التصريح بكذب الكاذب، ولعن الغلاة، والبراءة منهم على رؤوس الأشهاد، والتحذير منهم ومن مروياتهم، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك بكثير لا سيما في مدينة قم حاضرة الشيعة في أواخر عصر النص.
فقد تميزت قم عن غيرها بكونها من حصون التشيع المنيعة، مع ملاحقة مشايخها لكل من يتهم في حديثه، ولهم في ذلك مواقف عجيبة من المنحرفين تعدت حدود إهانتهم أمام الناس وضربهم، وطردهم من قم كلها، كما حصل ذلك مع الحلاج الكذاب على يد فقيه القميين وشيخهم علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (١)، حتى وصلت إلى درجة ترصد أخبار من يشك بكذبهم وغلوهم، فإذا ما ثبت لهم العكس تركوه (٢)، وإلا تربصوا به الدوائر (٣)، لكفره بالكذب على الله ورسوله وأهل بيته مع الخروج بهم (عليهم السلام) إلى حد الألوهية عن كونهم * (عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) * (٤).
ويكفي في ذلك، أنهم أخرجوا من قم بعض مشايخها الأجلاء

---

(١) كتاب الغيبة - للشيخ الطوسي -: ٤٠٢ رقم ٣٧٧.
(٢) كما في رجال النجاشي: ٣٢٩ رقم ٨٩١.
(٣) كما في رجال الكشي ٢ / ٨٠٧ رقم ١٠٠٦.
(٤) سورة الأنبياء ٢١: ٢٦ - ٢٧.

لمجرد شبهة الغلو فيهم، كما حصل لهم مع الثقة الجليل أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤ أو ٢٨٠ ه) ثم أعادوه إليها مكرما مبجلا بعد أن تحروا أخباره ومحصوا آثاره.

كما سعى القميون وغيرهم من علماء الشيعة إلى التصنيف الرجالي المبكر، فقد أدركوا بوضوح حاجتهم إلى هذا النوع من التأليف، لا سيما بعد نمو واتساع حركة الاجتهاد عندهم بعد انتهاء عصر النص.

علما أن العناية بهذا العلم كانت في عصور الأئمة (عليهم السلام)، فقد صنف علي بن الحسن بن فضال كتابا في الرجال، وهو ممن أدرك زمان الإمام الرضا (عليه السلام) (ت ٢٠٣ ه).

وصنف أبو محمد عبد الله بن جبلة بن أبجر بن الكناني كتابا في الرجال، وهو أسبق كتاب رجالي صنف في الإسلام، إذ كانت وفاة مصنفه (رحمه الله) سنة ٢١٩ ه، وكان فقيها ثقة مشهورا أدرك عصر الإمام الكاظم (عليه السلام).

كما صنف شيخ الشيعة وعالمهم، وكبير القميين في وقته وفقيههم، الشيخ محمد بن أحمد بن داود بن علي كتاب " الممدوحين والمذمومين "، وللشيخ الجليل البرقي (ت ٢٧٤ ه) كتاب في الرجال، ولثقة الإسلام الكليني (ت ٣٢٩ ه) كتاب في الرجال، وللعياشي (ت ٣٢٠ ه) كتاب " معيار الأخبار "، إلى غيرها من الكتب الكثيرة التي نصت عليها فهارس كتب الشيعة.

ولهذا نجد الشيخ الطوسي يصرح باهتمام علماء الشيعة الأوائل بهذا العلم، قال: " إنا وجدنا الطائفة ميزت الرجال الناقلة لهذه الأخبار، فوثقت الثقات منهم، وضعفت الضعفاء، وفرقوا بين من يعتمد على حديثه

وروايته، ومن لا يعتمد على خبره، ومدحوا الممدوح منهم، وذموا المذموم، وقالوا: فلان متهم في حديثه، وفلان كذاب، وفلان مخلط، وفلان مخالف في المذهب والاعتقاد، وفلان واقفي، وفلان فطحي، أو غير ذلك من الطعون التي ذكروها، وصنفوا في ذلك الكتب " (١).

وهنا لا بد من الإشارة السريعة إلى رجوع الفضل في معرفة أقسام الحديث وأصناف الرواة إلى أهل البيت (عليهم السلام) لا سيما أمير المؤمنين (عليه السلام)،

ولا زالت كتب الشيعة الإمامية تحتفظ له (عليه السلام) إلى اليوم بأقدم وثيقة درائية ورجالية في الإسلام.

ففي " نهج البلاغة " من كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال (عليه السلام):

" إن في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا، عاما وخاصا، ومحكما ومتشابها، وحفظا ووهما، ولقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على عهده، حتى قام خطيبا فقال: من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.

وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال ليس لهم خامس:

رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متعمدا، فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى وسمع منه ولقف عنه! فيأخذون بقوله. وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك.

---

(١) عدة الأصول - الشيخ الطوسي - مخطوط، ج ٢ ورقة ٥٣ / أ.

ثم بقوا بعده عليه وآله السلام فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاما على رقاب الناس، أكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله، فهو أحد الأربعة.

ورجل سمع من رسول الله شيئا لم يحفظه على وجهه، فوهم فيه، ولم يتعمد كذبا، فهو في يديه، ويرويه، ويعمل به، ويقول: أنا سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوا منه، ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئا يأمر به ثم نهى عنه، وهو لا يعلم. أو سمعه ينهى عن شئ، ثم أمر به وهو لا يعلم. فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ.

فلو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه.

وآخر رابع لم يكذب على الله ولا على رسوله، مبغض للكذب، خوفا من الله وتعظيما لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يهم (١) بل حفظ ما سمع على وجهه، جاء به على سمعه لم يزد فيه، ولم ينقص منه. فحفظ الناسخ فعمل به، وحفظ المنسوخ فجنب عنه، وعرف الخاص والعام. فوضع كل شئ موضعه، وعرف المتشابه ومحكمه.

وقد كان يكون من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الكلام له وجهان: فكلام

---

(١) لم يهم: لم يخطئ، ولم يظن خلاف الواقع.

خاص، وكلام عام. فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله به، ولا ما عنى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيحمله السامع ويوجهه على غير معرفة بمعناه، وما
قصد به، وما خرج من أجله.
وليس كل أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من كان يسأله ويستفهمه، حتى
أن كانوا ليحبون أن يجئ الأعرابي والطارئ فيسأله (عليه السلام) حتى يسمعوا.
وكان لا يمر بي من ذلك شئ إلا سألت عنه، وحفظته.
فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم " (١).
وإلى جانب هذا النص الذي يعد كقاعدة ينطلق منها الرجاليون في
تقييمهم للرواة مع ما اشتمل عليه من مفردات علم دراية الحديث، توجد
نصوص أخرى تمثل النواة الأولى لعلوم الحديث دراية ورواية، وكلها
مروية بالإسناد عن أهل البيت (عليهم السلام).
وفيما يأتي بعض المطالب العلمية المبحوثة في كتب الدراية الشيعية،
وكان لها أصل في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) المدونة في المصادر المعتمدة، وهي:
أهمية علم الدراية:
قال أمير المؤمنين (عليه السلام): " اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية
لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل " (٢).

---

(١) نهج البلاغة ١ / ٤٤٩ شرح محمد عبده، وشرح ابن أبي الحديد ١١ / ٣٨ خطبة ٢٠٣٠، وأصول الكافي ١ / ١١٤ ح ١، الغيبة - للنعماني - ٧٥ / ١٠ من الباب الرابع، الخصال: ٢٥٥ ح ١٣١ باب الأربعة.
(٢) نهج البلاغة / قصار الحكم (٩٨).

الحث على ذكر الإسناد عند التحديث:
عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: " قال أمير المؤمنين (عليه السلام): إذا حدثتم بحديث فاسندوه إلى الذي حدثكم، فإن كان حقا فلكم، وإن كان كذبا فعليه " (١).
وهذا الحديث يشعر بضرورة تجنب الارسال في الأحاديث.
ضبط الحديث والأمانة في روايته:
سئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن قوله تعالى: * (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) * (٢).
فقال (عليه السلام): " هو الرجل يسمع الحديث فيحدث به كما سمعه، لا يزيد فيه ولا ينقص منه " (٣).
طلب الإسناد العالي:
قال الإمام الصادق (عليه السلام) لجميل بن دراج: " ما سمعت مني فاروه عن أبي " (٤).
وهذا القول يدل على أمور كثيرة:
منها: أن كلامهم (عليهم السلام) واحد.

---

(١) أصول الكافي ١ / ١٠٣ ح ٧.
(٢) سورة الزمر ٣٩: ١٨.
(٣) أصول الكافي ١ / ١٠٢ ح ١.
(٤) أصول الكافي ١ / ١٠٢ ح ٤.

ومنها: التقية، لأن ذلك أبعد من الشهرة التي تؤدي إلى المؤاخذة.
ومنها: أن علو الإسناد وقربه من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مما له رجحان عند
الناس في قبول الرواية، خصوصا عند اختلافها مع غيرها من الروايات.
ومنها: التحرز عن إيهام الكذب فيما إذا سمع من الأب شئ، ثم سمع بخصوصه من الابن من غير نسبة إلى أبيه (عليهما السلام).
والمعنى: أن المسموع من أبي أحب إلي من روايته عني، للوجوه المذكورة (١).
بيان الإمام الصادق (عليه السلام) سند أحاديثه:
عن هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيرهما، قالوا: سمعنا أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: " حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين (عليهم السلام)، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وحديث رسول الله قول الله عز وجل " (٢).
التحذير من التدليس في الحديث:
عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: " إياكم والكذب المفترع، قيل له: وما الكذب المفترع؟ قال (عليه السلام): أن يحدثك الرجل بالحديث فتتركه وترويه عن الذي حدثك به " (٣)، أي: عن الشيخ الذي حدثك الرجل بحديثه.
قال العلامة المجلسي: " قيل: يريد، أن يرفع حديثه بإسقاط

---

(١) مرآة العقول ١ / ١٧٦ شرح الحديث الرابع.
(٢) أصول الكافي ١ / ١٠٣ - ١٠٤ ح ١٤.
(٣) أصول الكافي ١ / ١٠٣ - ١٠٤ ح ١٢.

الواسطة، أو المراد به الكذب الذي يزيل عن الراوي ما يوجب قبول روايته " (١).

الأمر يترك شواذ الأخبار والأخذ بالمشهور:

في مقبولة عمر بن حنظلة، عن الصادق (عليه السلام): "... ينظر إلى ما كان من روايتهم عنا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه من أصحابك، فيؤخذ به من حكمنا، ويترك الشاذ الذي ليس بمشهور عند أصحابك، فإن المجمع عليه لا ريب فيه... " (٢).

جواز نقل الرواية بالمعنى:

سأل محمد بن مسلم الإمام الصادق (عليه السلام) قائلا: " أسمع الحديث منك فأزيد وأنقص؟ قال: إن كنت تريد معانيه فلا بأس " (٣).

وعن داود بن فرقد قال: " قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إني أسمع منك، فأريد أن أرويه كما سمعته منك فلا يجئ؟ قال: فتعمد الكذب؟ قلت: لا. فقال: تريد المعاني؟ قلت: نعم. قال: فلا بأس " (٤).

وهذان الحديثان وغيرهما دالان على جواز نقل الحديث بالمعنى بالنسبة للعالم بحقائق الألفاظ ومجازاتها، ومنطوقها ومفهومها، ومقاصدها، ومع هذا فإنه لا يجوز لمن يتعمد ترك النص في نقل معناه.

---

(١) مرآة العقول ١ / ١٨١ شرح الحديث الثاني عشر.
(٢) أصول الكافي ١ / ١٢٠ ح ١٠.
(٣) أصول الكافي ١ / ١٠٢ ح ٢.
(٤) أصول الكافي ١ / ١٠٢ ح ٣.

طرق تحمل الحديث الشريف:
* السماع والإجازة: عن عبد الله بن سنان قال: " قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): يجيئني القوم فيستمعون مني حديثكم فأضجر ولا أقوى، قال: فاقرأ عليهم من أوله حديثا، ومن وسطه حديثا، ومن آخره حديثا " (١).
وهذا الحديث يدل على جواز الإجازة في الحديث، التي هي من طرق التحمل وأعلاها السماع من المحدث بلا خلاف.
* المناولة: عن أحمد بن عمر الحلال، قال: قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام): الرجل - من أصحابنا - يعطيني الكتاب، ولا يقول: إروه عني، يجوز لي أن أرويه عنه؟ قال: فقال: إذا علمت أن الكتاب له فاروه عنه " (٢).
الوجادة: سأل محمد بن الحسن بن أبي خالد شينولة الإمام الجواد (عليه السلام)، قائلا: " جعلت فداك، إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام)، وكانت التقية شديدة فكتموا كتبهم ولم ترو عنهم، فلما ماتوا صارت الكتب إلينا؟ فقال (عليه السلام): حدثوا بها فإنها حق " (٣).
وهذا الخبر يدل على صحة تحمل الحديث ونقله بالوجادة، وفيه إشارة إلى جواز العمل بأخبار الآحاد.
ونظيره، الخبر المروي عن الإمام العسكري (عليه السلام)، فقد سئل عن كتب

---

(١) أصول الكافي ١ / ١٠٢ ح ٣.
(٢) أصول الكافي ١ / ١٠٢ - ١٠٣ ح ٦.
(٣) أصول الكافي ١ / ١٠٤ ح ١٥.

بني فضال وهم من الفطحية الثقات، فقالوا: كيف نعمل بكتبهم، وبيوتنا منها ملاء؟ فقال (عليه السلام): " خذوا بما رووا، وذروا ما رأوا " (١).

ومما تقدم يعلم أن أهل البيت (عليهم السلام) قد أرشدوا أصحابهم من حملة أحاديثهم إلى الكثير من مفردات دراية الحديث:

كمعرفة مختلف الحديث، وتمييز الخبر الصحيح عن غيره من جهة التعرف على درجة وثاقة رواته.

وبيان المرجحات عند تعارض الخبرين، وهي ما تسمى عند أهل الدراية بالمرجحات المنصوصة.

والتأكيد على ضرورة الإسناد بذكره في كل حديث.

ونبذ تعمد الإرسال.

والتحذير من الكذب في نقل الحديث.

وتوضيح معنى التدليس.

وجواز نقل الرواية بالمعنى بالنسبة إلى العالم بالألفاظ ومداليلها، ونحو ذلك.

وبيان طرق تحمل الحديث وآداب نقله عن طريق السماع والإجازة والمناولة والوجادة عند معرفة صاحب الكتاب.

وبالجملة، فإن جميع مفردات علوم الحديث داخلة تحت قول أمير المؤمنين (عليه السلام): " اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية، فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل ".

هذا، في الوقت الذي لم تكن حاجة الشيعة فيه إلى معرفة تلكم

---

(١) كتاب الغيبة - للشيخ الطوسي -: ٣٩٩ ح ٣٥٠.

الأمور كحاجة غيرهم إلى معرفتها، وذلك لاستمرار عصر النص عند الشيعة الإمامية أكثر من ثلاثة قرون، وإن انحصر بعد وفاة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في سنة ٢٦٠ ه بالتوقيعات الخارجة من الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف على أيدي سفرائه الأربعة رضي الله عنهم طيلة فترة الغيبة الصغرى التي انتهت في سنة ٣٢٩ ه.

وهذا يعني إمكان رجوع الشيعة الإمامية إلى مصدر النص نفسه لحل ما يشكل عليهم في بعض النصوص، بينما لا نجد ذلك عند غيرهم من العامة لانتهاء عصر النص عندهم بوفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في السنة الحادية عشرة من الهجرة المشرفة، زيادة على طول مدة الحظر الرسمي على تدوين الحديث عندهم، مع تفشي الوضع وكثرة الكذب بين الرواة على عهد معاوية وبتشجيع منه.

ومن هنا برزت الحاجة مع تدوين الحديث - عند رفع الحظر عنه - إلى التصنيف في علومه، من رجال ودراية عند العامة.

ومع هذا فقد تقدم الشيعة الإمامية عليهم في التصنيف الرجالي كما مر، وكذلك التصنيف في مسائل علم دراية الحديث.

فقد صنف أبان بن تغلب كتاب " من الأصول في الرواية على مذهب الشيعة " (١)، وأبان من متقدمي الشيعة وأجلائهم، مات سنة ١٤١ ه.

وقد يكون في كتاب " اختلاف الحديث " لابن أبي عمير (ت ٢١٧ ه)، وكتاب " معيار الأخبار " للفقيه العياشي (ت ٣٢٠ ه) بعض المباحث في دراية الحديث أيضا.

---

(١) فهرست ابن النديم: ٣٠٨ في أول الفن الخامس من المقالة السادسة.

على أن الشيخ المفيد (ت ٤١٣ ه) قد تعرض في كتابه " التذكرة في أصول الفقه " إلى بعض الأمور الدرائية، وقد أكثر منها الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ ه) في " عدة الأصول "، ومثله المحقق الحلي (ت ٦٧٦ ه) في " معارج الأصول ".

ثم تطور علم الدراية عند الشيعة الإمامية على يد الفقيه المحدث السيد جمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس الحسني (ت ٦٧٣ ه)، فكان أول من وضع الاصطلاح الجديد في أقسام الحديث المعروفة، وتابعه العلامة الحلي (ت ٧٢٦ ه) في مصنفاته الأصولية والرجالية على هذا التقسيم، وبعضهم من نسب التصنيف الجديد إلى العلامة نفسه (رحمه الله).

ثم جاء بعد العلامة الحلي تلميذه السيد علي بن عبد الحميد الحسيني النجفي، من أعلام القرن الثامن الهجري، فصنف " شرح أصول دراية الحديث "، وبعده الشهيد الثاني (ت ٩٦٦ ه) الذي صنف كتاب " الدراية في علم الرواية "، ثم تعاقب على التأليف بعد ذلك جملة من علماء الدراية وصولا إلى عصرنا الحاضر.

ومن هنا يعلم أن بذور التصنيف الأولى في علم دراية الحديث قد ظهرت على أيدي الشيعة الإمامية قبل أن يستوعب الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ ه) مسائل هذا العلم في كتابه " معرفة علوم الحديث "، على أن الحاكم نفسه متنازع فيه بين الشيعة والعامة، إذ لم يثبت - بنحو القطع، على كثرة ما قيل حوله - انتماؤه إلى أحد الفريقين، وإن كان ظاهر مستدركه عدم الاعتقاد بالتشيع.

* * *

أقسام الخبر عند الشيعة الإمامية

بعد أن تعرفنا على نبذة مختصرة من تاريخ الحديث الشريف وعلومه، وانتهى بنا الكلام إلى مؤلفات الشيعة في رواية الحديث وتطور مصطلحه عندهم، فلا بأس إذن من الوقوف على أقسام الخبر عندهم، لكي يتضح أن معنى الصحيح عند القدماء – الذي كان يخضع لاعتبارات علمية متعددة وقرائن كثيرة – لا يستلزم منه أن يكون صحيحا بحسب الاصطلاح الجديد للخبر، فنقول:

الخبر، والحديث، والأثر، وإن اختلفت تعريفا وتمييزا عند بعضهم إلا أنها تلتقي على معنى واحد وهو نقل مضمون السنة الشريفة أو نصها، وعلى هذا تكون من الألفاظ المترادفة في الحكاية عن السنة.

ولتحصيل السنة طرق متعددة، قطعية وظنية، وما يعنينا منها هو ما يدخل في تقسيماتهم للخبر، كالمتواتر، والمحفوف بالقرائن، وخبر الآحاد.

وهنا يجب التنبيه على أن معظم التقسيمات والتفريعات المبحوثة في كتب الدراية الشيعية وغيرها إنما هي في خصوص خبر الآحاد دون غيره لكثرة الابتلاء به أكثر بكثير من غيره.

ولهذا سيكون التركيز على أهم أقسام خبر الآحاد من بين هذه الأقسام الثلاثة الآتية:

أما المتواتر: فهو ما بلغت رواته في الكثرة مبلغا أحالت العادة

اتفاقهم على الكذب، بحيث تتحقق تلك الكثرة في جميع طبقات السند وصولا إلى المعصوم (عليه السلام)، ولا تنحصر الكثرة بعدد خاص (١).

ومن شروط تحققه: أن يكون ضروريا لا مظنونا، ومستندا إلى محسوس، وأن لا يسبق سامعه بشئ من شبهة أو تقليد، إذ قد يدعى تواتر أخبار لا أصل لها في الواقع، كما يزعم مثلا في تواتر أخبار المسح على الخفين في الوضوء، مع أن الخف لا يسمى رجلا، والمأمور به هو مسح الرجلين.

وتواتر الخبر يكون على نحوين:

أحدهما: التواتر اللفظي: ويراد به اتحاد ألفاظ المخبرين في خبرهم عن المعصوم (عليه السلام).

والآخر: التواتر المعنوي: ويراد به اشتراك ألفاظ المخبرين في معنى واحد مشترك بين تلك الألفاظ الدالة عليه بالتضمن أو الالتزام (٢).

وأما الخبر المحفوف بالقرائن القطعية، فهو على نحوين تبعا لاختلاف القرائن المحتفة به، إذ تارة تكون القرائن قطعية دالة على القطع بصدور الخبر عن المعصوم، فيكون الخبر صحيحا في نفسه، كما لو أخبر أحدهم مثلا بأن الإمام الصادق (عليه السلام) قال له: يا فلان! إني سأقيم مأتما على جدي الحسين (عليه السلام) صبيحة يوم غد، فادع ثقات أصحابي إلى الحضور. ثم شوهد في صبيحة اليوم التالي توجه مثل زرارة ومحمد بن مسلم

---

(١) الدراية: ١٢، ووصول الأخيار لأصول الأخبار: ٩٧، والرواشح السماوية: ٤٠ من الراشحة الأولى.

(٢) مقباس الهداية ١ / ١١٥ و ١١٦.

إلى بيت الإمام (عليه السلام)، وسمع بعض المارة بكاء ونحيبا في بيت الإمام (عليه السلام)
مع وجود بعض الأمارات الدالة على الحزن وإقامة المأتم، كتعليق السواد على باب الدار مثلا.
وتارة تكون القرائن قطعية دالة على صحة مضمون الخبر، كموافقته للكتاب العزيز، أو السنة المقطوع بها، أو الإجماع، أو الدليل العقلي ومقتضاه.
والفرق بينهما: هو أن الخبر في الأولى نجزم بصدوره عن المعصوم (عليه السلام)، بينما لا نجزم به في الحالة الثانية، بل يحكم بصحة مضمونه وإن فرض عدم صدوره.
كما أن القرائن الأولى أغلبها غير موجود اليوم لانحصار معظمها في عصور الأئمة (عليهم السلام)، بخلاف القرائن الثانية، فهي موجودة في كل عصر وجيل.
وأما خبر الآحاد: فهو ما لا ينتهي إلى حد المتواتر من الخبر سواء كان الراوي واحدا أو أكثر (١).
وخبر الآحاد على قسمين:
أحدهما: ما ذكر فيه السند بتمامه واتصل بالمعصوم (عليه السلام)، ويسمى المسند.
والآخر: ما لم يذكر فيه السند بتمامه، أو لم يذكر فيه السند أصلا، وله أسماء مختلفة تختلف باختلاف عدد الساقط من الرواة واختلاف طبقاتهم في السند، وسوف نشير إلى أهمها في أقسام خبر الآحاد غير

---

(١) الدراية: ١٥، ووصول الأخيار: ١٠٢، ومقباس الهداية ١ / ٥.

المسند.
فخبر الآحاد إذن سواء كان مسندا أو غير مسند له أقسام متعددة باعتبارات مختلفة، وهي:

أقسام خبر الآحاد المسند

أولا: باعتبار حال رواته:

ذكر علماء الدراية أقساما أربعة لخبر الواحد المسند باعتبار ما يتصف به رواته من العدالة والوثاقة والضبط وغيرها، وهذه الأقسام هي التي أدخلها السيد ابن طاووس (قدس سره) في دراية الحديث عند الشيعة الإمامية، وقد نسبها بعضهم للعلامة الحلي (قدس سره)، وهي:

الخبر الصحيح: وهو ما اتصل سنده إلى المعصوم بنقل الإمامي العدل عن مثله في جميع الطبقات. وقد يطلق على سليم الطريق بما ينافي الاتصال بالعدل الإمامي وإن اعتراه إرسال أو قطع، كقولهم: في صحيحة ابن أبي عمير كذا، مع أنك قد تجد الرواية مرسلة (١).

وهذا التعريف لا ينطبق على متعارف المتقدمين على السيد ابن طاووس في إطلاق الصحيح كما أشار إليه جملة من علماء الشيعة. فهم يطلقون الصحيح على كل حديث اعتضد بما يقتضي الاعتماد عليه، أو اقترن بما يوجب الوثوق به والركون إليه، أو بما يورث العلم

---

(١) مقباس الهداية ١ / ١٤٦ و ١٥٧، وانظر: الدراية: ١٩، والرواشح السماوية: ٤٠، ووصول الأخيار: ٩٢.

بمضمونه، نحو:
١ - وجوده في أكثر الأصول الأربعمائة.
٢ - تكرره في أصل أو أصلين.
٣ - وجوده في أصل معروف الانتساب إلى واحد ممن أجمعت الشيعة على تصديقهم وتصحيح ما يصح عنهم، والإقرار لهم بالفقه والعلم، لكونهم من أشهر فقهاء أصحاب الأئمة (عليهم السلام)، كزرارة ومحمد بن مسلم وأمثالهما.
٤ - وجوده في أحد الكتب المعروضة على الأئمة (عليهم السلام) فأثنوا على مؤلفيها، ككتاب عبد الله الحلبي المعروض على الإمام الصادق (عليه السلام)، وكتابي يونس بن عبد الرحمن والفضل بن شاذان المعروضين على الإمام العسكري (عليه السلام).
٥ - أو كون الخبر مأخوذا من أحد الكتب التي شاع اعتمادها بين قدماء فقهاء الشيعة وأعلامهم، سواء كانت من كتب الشيعة الإمامية ككتاب " الصلاة " لحريز بن عبد الله السجستاني، وكتب ابني سعيد الأهوازيين، أو من كتب غيرهم، ككتاب الحسين بن عبد الله السعدي، وكتاب " القبلة " لعلي بن الحسن الطاطري، وكتاب حفص بن غياث القاضي العامي (١).
٦ - أن يكون الخبر شائعا بينهم بنقل الثقات.
هذا وقد مر أن في بعض القرائن التي تحتف بالخبر ما يفيد صحة مضمونه.

---

(١) أنظر: منتقى الجمان ١ / ١٤، والفوائد المدنية: ٥٣، ومشرق الشمسين: ٢٧٠، وجامع المقال: ٣٥، والوافي ١ / ٢٢ - ٢٣، وخاتمة المستدرك ٣ / ٤٦٤ الفائدة الرابعة (الطبعة المحققة)، ومقباس الهداية ١ / ١٤٣.

الخبر الحسن: وهو ما اتصل سنده إلى المعصوم (عليه السلام) بإمامي ممدوح مدحا معتدا، به من غير نص على عدالته، مع تحقق ذلك في جميع مراتب السند، أو في بعض مراتبه ولو في واحد، مع كون باقي رجال السند من رجال الصحيح (١).

وقد يطلق عند بعض المتأخرين اصطلاح: حسن كالصحيح، ويراد به: أن يكون أوائل رجال السند من الإمامية المنصوص عليهم بالتوثيق وأواخرهم من الممدوحين بمدح غير بالغ درجة الوثاقة، مع كونهم واقعين بعد أحد الجماعة المجمع على تصحيح ما يصح عنهم (٢)، وهم الفقهاء الذين ذكرهم الكشي في رجاله من أصحاب الأئمة (عليهم السلام).

الموثق ويقال له: القوي -: وهو ما دخل في طريقه من نص الأصحاب على توثيقه مع فساد عقيدته - كثقات الواقفية، والناووسية، والفطحية ونحوهم، ولم يشتمل باقي السند على ضعيف (٣).

وقد يميز بين القوي والموثق، بإطلاق القوي على مروي الإمامي الذي لم يمدح ولم يذم بكتب الرجال، فيكون القوي أعم من الموثق.

الضعيف: وهو ما لم تجتمع فيه شروط الصحيح، أو الحسن، أو الموثق، بأن يشتمل طريقه على مجروح، مجهول الحال، وما دون ذلك كالوضاع (٤).

---

(١) الدراية: ٢١، ووصول الأخيار: ٩٥، والرواشح السماوية: ٤١، ومقباس الهداية ١ / ١٦٠، ونهاية الدراية: ٥٩.

(٢) نقله الشيخ المامقاني (قدس سره) في مقباس الهداية ١ / ١٧٥، عن الأسترآبادي.

(٣) الدراية: ٣٣، ووصول الأخيار: ٩٧، والرواشح السماوية: ٤١ والمقباس الهداية ١ / ١٦٨، ونهاية الدراية: ١٦٤.

(٤) الدراية: ٢٤٠.

والضعيف أعم من كونه مسندا أو غير مسند، وأدرجناه في أقسام خبر الآحاد المسند بهذا الاعتبار.

ثانيا: باعتبار عدد رواته:

يقسم الخبر الواحد المسند بهذا الاعتبار الناظر إلى عدد الرواة في كل طبقة من طبقات السند إلى الأقسام التالية:

الخبر المستفيض: وهو ما زادت رواته على ثلاثة أو اثنين في كل مرتبة من مراتب السند من أوله إلى منتهاه (١)، وإذا اتحد لفظ المخبرين في الخبر سمي بالمستفيض اللفظي، وإن اختلفت ألفاظ الخبر مع اتحادها في معنى واحد فهو المستفيض المعنوي، ويسمى المشهور أيضا، وقد يغاير بينهما على أساس تحقق الوصف المذكور في المستفيض دون المشهور لأنه أعم من ذلك، كحديث " إنما الأعمال بالنيات " فهو مشهور غير مستفيض، للانفراد في نقله ابتداء، وطروء الشهرة عليه بعد ذلك، ولك أن تقول: إن كل مستفيض مشهور، وليس كل مشهور مستفيض.

الخبر الغريب: وهو ما انفرد بروايته الثقة في أي مرتبة كان من مراتب السند، فإن كان رجال السند رجال الصحيح، عد الخبر من الصحيح الغريب، وإن كانوا من رجال الحسن، سمي بالحسن الغريب، وهكذا الحال في الموثق الغريب، أو الضعيف الغريب (٢).

الخبر العزيز: وهو ما يرويه اثنان من الرواة، عن اثنين، عن اثنين، وهكذا وصولا إلى المعصوم (عليه السلام)، وأما لو رواه عن المرتبة الثانية أو

---

(١) الدراية: ٣٢، ونهاية الدراية: ١٨٨، ومقباس الهداية ١ / ١٢٨.

(٢) مقباس الهداية ١ / ٣٣، والدراية: ١٦.

الثالثة في السند أكثر من ذلك، فهو العزيز المشهور (١).
ثالثا: باعتبار اشتراكه مع غيره:
توجد أقسام أخرى من الخبر تشترك مع غيرها من الأقسام الأربعة المتقدمة، ولا تختص بالضعيف منها، وسوف نقتصر بالذكر على أهمها، وهي:
المعنعن: وهو ما يقال في سنده: فلان عن فلان... إلى آخر السند، من غير بيان متعلق الجار من رواية أو تحديث أو إخبار أو سماع. وحكمه حكم المتصل، وقيل: إنه بحكم المرسل حتى يتبين اتصاله بغيره، وما عليه الأكثر هو الأول.
المدرج: وهو على أقسام أربعة، وقع الأول منها في كتبنا الأربعة، ويسمى في الاصطلاح مندرج المتن، ويراد به ما أدرج في متن الحديث من كلام بعض الرواة، سواء في أول المتن أو آخره أو في وسطه، كتفسير كلمة من المتن بأخرى، مما يتوهم البعض أن الكل من متن الحديث وهو ليس كذلك.
العالي، والنازل: ويراد بالأول اصطلاحا ما كان قليل الواسطة من المحدث إلى المعصوم، والثاني بخلافه، ويطلق على الأول " قرب الإسناد " أو " علو الإسناد " والقرب أخص باعتبار النسبية في العلو - وطلبه من قبل المحدث سنة مؤكدة حتى قال بعضهم: " قرب الإسناد قربة إلى الله تعالى " (٢).

---

(١) الدراية: ١٦، ومقباس الهداية ١ / ١٣٤، ونهاية الدراية: ١٦٤.
(٢) مقباس الهداية ١ / ٢٤٣ - ٢٤٤، وانظر هامشه.

المسلسل: وهو ما تتابع رجال إسناده على نقل صفة واحدة أو حال معينة إما للرواية أو للرواة (١).

المشترك: وهو ما كان أحد الرواة فيه مشتركا بين الثقة وغيره تارة، وبين الثقات فقط تارة أخرى، وفي الأول لا بد من التمييز، بخلاف الثاني (٢).

رابعا: باعتبار ذكر اسم من أسند إليه:

للخبر قسمان بهذا الاعتبار (٣) وهما:

المصرح: وهو ما ذكر في نهاية سنده اسم المعصوم (عليه السلام) الذي أسند له الخبر.

المضمر: وهو ما أخفي فيه المسؤول أو صاحب الحديث إماما كان أو غيره، بأن يعبر عنه تارة بالضمير البارز، كقول زرارة: قال: " قلت له: الرجل ينام وهو على وضوء "، وأخرى بالضمير المستتر، مثل حديث سماعة، قال: " قال: إذا سها الرجل في الركعتين " (٤).

والإضمار في الحديث لا وجود له في أحاديث العامة، بل هو مختص بأخبارنا، ومن أوجه أسبابه، التقية، وتقطيع الأخبار.

هذا تمام الكلام في ما يعنينا من أقسام خبر الآحاد المسند، وأما غير

---

(١) الدراية: ٣٨، ووصول الأخيار: ١٠١، ومقباس الهداية ١ / ١٥٩.

(٢) مقباس الهداية ١ / ٢٥٨.

(٣) أنظر: أصول الحديث: ٩٦ مخطط أقسام الخبر.

(٤) قواعد الحديث: ٢١٥.

المسند فهو على أقسام:
أقسام خبر الآحاد غير المسند
وهو على أقسام كثيرة نذكر منها ما يأتي:
المعلق: وهو ما حذف من أول إسناده واحد أو أكثر على التوالي.
وشرط اندراجه ضمن أقسام خبر الآحاد غير المسند هو عدم معرفة اسم المحذوف من السند، وأما مع معرفته فإنه يكون من المسند قطعا.
الموقوف: وهو على نحوين: مطلق، ومقيد.
أما الأول: فهو ما رواه أحد أصحاب المعصوم (عليه السلام) من دون أن يتصل السند به، ويسمى الموقوف المطلق.
وأما الثاني: فهو ما روي عن غير صاحب المعصوم (عليه السلام) مع الوقوف عليه، ويسمى المقطوع (١).
المعضل: وهو ما حذف من سنده اثنان أو أكثر (٢)، فلو كان المحذوف أقل من اثنين في أول السند فهو المعلق، وفي آخره فهو المرسل.
المرسل: وهو بمعناه العام: كل حديث حذفت رواته أجمع، أو بعضها، واحد أو أكثر، وكذا لو ذكر في السند أحد الرواة بلفظ مبهم، مثل: عن رجل أو شيخ ونحوه.

---

(١) الدراية: ٤٥، وانظر: مقباس الهداية ١ / ٣١٩، وقواعد الحديث: ٢١٥.
(٢) وصول الأخيار: ١٠٨، ونهاية الدراية: ٢٠٠، ومقباس الهداية ١ / ٣٣٥.

وبناء على هذا التعريف فالمرسل يشمل ما ذكرناه من أقسام الخبر غير المسند جميعها.

وعرفه بعضهم: بما رواه عن المعصوم (عليه السلام) من لم يدركه.

وأما المرسل – بالمعنى الخاص –: فهو كل حديث أسنده التابعي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من غير ذكر الواسطة، ولكن الشائع عندهم هو استعمال

المرسل في معناه العام (١).

وبهذا نكون قد أعطينا صورة واضحة عن تاريخ الحديث الشريف وعلومه، وتطور مصطلحه عند الشيعة الإمامية، مع تفانيهم في الحرص عليه، ورعايته، وبثه في الآفاق وسبقهم إلى تدوينه في حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)،

وعهد الوصي (عليه السلام)، مع استمرار نشاطهم الحديثي في سائر عصور الأئمة (عليهم السلام)، مما سهل لأقطابهم – فيما بعد – جمعه وإفراده في موسوعاتهم الحديثية الكبرى المعروفة لدى سائر المسلمين.

والحمد لله أولا وآخرا

والصلاة والسلام على حبيبنا محمد المصطفى،

وعلى بضعته سيدة النسا، وخلفائه المعصومين أهل الوفا.

---

(١) الدراية: ٤٧، ونهاية الدراية: ١٨٩، ومقباس الهداية: ٣٣٨.

أقسام الخبر المهمة
المتواتر المحفوف بالقرائن الآحاد (أو الواحد)
لفظي معنوي مقطوع الصدور مظنون الصدور مسند غير مسند
" القرائن تفيد " القرائن تفيد الحكم
القطع بصدوره " بصحة مضمونه "
معلق معضل موقوف مدلس مرسل
" بشرط عدم معرفة
المحذوف " مطلق مقيد عام خاص
(مقطوع)
باعتبار حال باعتبار عدد باعتبار ذكر اسم باعتبار اشتراكه
رواته رواته من أسند إليه مع غيره
مستفيض غريب عزيز مضمر مصرح
(مشهور) (خاص بأخبارنا)
عزيز مشهور
لفظي معنوي
صحيح حسن موثق ضعيف
غريب غريب غريب غريب
صحيح حسن موثق ضعيف
حسن (قوي)
كالصحيح مقبول مردود
معنعن مسلسل مشترك مدرج العالي النازل المعلق
(قرب (بعد (بشرط معرفة
الإسناد) الإسناد) المحذوف)

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- نهج البلاغة / شرح ابن أبي الحديد المعتزلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وشرح محمد عبده، المطبعة الرحمانية، مصر.
- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد / الشيخ المفيد (ت ٤١٣ ه)، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم.
- الإستبصار / الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ ه)، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- أصول الحديث / الأستاذ الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي، الطبعة الثانية، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، ١٤١٦ ه.
- إعلام الورى / الطبرسي، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧٣ ه)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
- الأمالي / الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ ه) مكتبة الداوري، قم.
- بحار الأنوار / المجلسي (ت ١١١٠ ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- بصائر الدرجات / الصفار (ت ٢٩٠ ه)، نشر مؤسسة الأعلمي، طهران.
- تاريخ ابن خلدون / ابن خلدون (ت ٨٠٨ ه)، دار الكتاب

اللبناني، والدار الإفريقية العربية.
- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام / السيد حسن الصدر (ت ١٣٥٤ ه)، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة، ١٣٧٠ ه.
- تدوين السنة الشريفة / السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، الطبعة الأولى، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٣ ه، قم.
(وقد اقتبست منه ما يرجع إلى المصادر الآتية بالأرقام: ١٥ و ١٧ و ٦١ فهو الواسطة إليها لعدم وقوعها بيدي أثناء البحث، والبيانات المثبتة إزائها هي بيانات المصدر المذكور باختصار).
- تذكرة الحفاظ / الذهبي (ت ٧٤٨ ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تقييد العلم / الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ ه)، دار إحياء السنة النبوية. (راجع التسلسل ١٣).
- تهذيب الأحكام / الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ ه)، دار الكتب الإسلامية، طهران.
- جامع بيان العلم وفضله / ابن عبد البر (ت ٤٦٣ ه)، المطبعة المنيرية، مصر. (راجع التسلسل ١٣).
- جامع المقال في ما يتعلق بأحوال الرجال / الطريحي (ت ١٠٨٥ ه)، تحقيق محمد كاظم الطريحي، مطبعة الحيدري، طهران.
- الحديث والمحدثون / أبو زهو، دار الكتاب العربي، بيروت.
- خاتمة مستدرك الوسائل / الميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠ ه)، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر، قم.
- الخصال / الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ ه)، جماعة المدرسين في

الحوزة العلمية، قم.
- دراسات في الحديث والمحدثين / السيد هاشم معروف الحسني، دار التعارف، بيروت.
- الدراية في علم مصطلح الحديث / الشهيد الثاني (ت ٩٦٦ ه)، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.
- دلائل الإمامة / الطبري، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
- رجال الخاقاني / الشيخ علي الخاقاني (ت ١٣٣٤ ه)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.
- رجال العلامة الحلي / العلامة الحلي (ت ٧٢٦ ه)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
- رجال النجاشي / النجاشي (ت ٤٥٠ ه)، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم.
- الرواشح السماوية في شرح الأحاديث الإمامية / المحقق الداماد (ت ١٠٤١ ه)، منشورات المكتبة المرعشية، قم ١٤٠٥ ه.
- زاد المجتهدين في شرح بلغة المحدثين / الشيخ أحمد البحراني القطيفي (ت ١٣١٥ ه)، تحقيق ونشر ضياء بدر آل سنبل، ط ١، قم ١٤١٤ ه.
- سنن الترمذي / الترمذي (ت ٢٧٩ ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن أبي داود / أبو داود (ت ٢٧٥ ه)، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء السنة النبوية.
- سنن ابن ماجة / ابن ماجة القزويني (ت ٢٧٣ ه أو ٢٧٥ ه)،

دار إحياء الكتب العربية، مصر.
- شرح المواقف (لعضد الدين الإيجي) / الجرجاني (ت ٨١٦ ه) مطبعة أمير، قم، مصورة عن الطبعة الأولى بمطبعة السعادة، مصر.
- صحيح البخاري / البخاري (ت ٢٥٦ ه)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١ ه)، دار الفكر، بيروت.
- الطبقات الكبرى / ابن سعد (ت ٢٣٠ ه)، دار صادر، بيروت.
- عدة الأصول / الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ ه)، مصورة نسخة مخطوطة محفوظة في خزانة مخطوطات مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث برقم ٤٥٧٥ / ٥٤ / ٣٥٣ / ١٧.
- عدة الرجال / السيد محسن الأعرجي الكاظمي (ت ١٢٢٧ ه)، مؤسسة الهداية، قم.
- علل الشرائع / الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ ه)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف.
- كتاب الغيبة / الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ ه)، مطبعة بهمن، قم.
- كتاب الغيبة / الشيخ النعماني، من أعلام القرن الرابع الهجري، مكتبة الصدوق، طهران.
- فرائد السمطين / الجويني الشافعي (ت ٧٣٠ ه)، مؤسسة المحمودي، بيروت.
- الفوائد المدنية / المولى محمد أمين الأسترآبادي (ت ١٠٣٦ ه)، مطبعة أمير، قم، ١٤٠٥ ه، أوفسيت على الطبعة الحجرية.

- الفهرست / الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ ه)، منشورات الشريف الرضي، قم.
- الفهرست / ابن النديم (ت ٣٨٥ ه)، المطبعة الرحمانية، مصر.
- قاموس الرجال / التستري (ت ١٤١٦ ه) مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- قواعد الحديث / السيد محي الدين الموسوي الغريفي، ط ١، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.
- الكافي / ثقة الإسلام الكليني (ت ٣٢٩ ه)، دار الأضواء، بيروت.
- كشف الظنون / حاجي خليفة (ت ١٠٦١ ه)، دار الفكر، بيروت.
- كمال الدين / الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ ه)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- لزوم ما لا يلزم / أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ ه) شرح نديم عدي، ط ٢، دمشق، ١٩٨٨ م.
- مرآة العقول / المجلسي (ت ١١١٠ ه)، مطبعة خورشيد حيدري، طهران.
- المستدرك على الصحيحين / الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ ه)، دار الفكر، بيروت.
- مستدرك الوسائل / العلامة النوري (ت ١٣٢٠ ه) تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم.
- المسند / لأحمد بن حنبل (ت ٢٤٠ ه)، دار الفكر، بيروت.

- المعتبر / المحقق الحلي (ت ٦٧٦ ه)، ط ١، إيران، ١٣١٧ ه.
- معراج أهل الكمال / المحقق البحراني الماحوزي (ت ١١٢١ ه)، مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام)، قم.
- مقباس الهداية / المامقاني (ت ١٣٥١ ه)، نشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم.
- المناقب / ابن شهرآشوب (ت ٥٨٨ ه)، طهران.
- منتقى الجمان في الأحاديث الصحاح والحسان / الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني (ت ١٠١١ ه)، ط ١، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٤ ه.
- نقد العلم والعلماء (تلبيس إبليس) / ابن الجوزي (ت ٥٩٧ ه)، المطبعة المنيرية، مصر. (راجع التسلسل ١٣).
- نهاية الدراية (شرح الوجيزة للشيخ البهائي) / السيد حسن الصدر (ت ١٣٥٤ ه)، تحقيق الشيخ ماجد الغرباوي، نشر المشعر، مطبعة اعتماد، قم.
- هداية المحدثين (مشتركات الكاظمي) / محمد أمين بن محمد علي الكاظمي، من أعلام القرن الحادي عشر، نشر المكتبة المرعشية، قم.
- هدي الساري / ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ ه)، مصر، ١٣٨٣ ه.
- الوافي / الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ ه)، منشورات المكتبة المرعشية، قم، ١٤٠٤ ه، مع الطبعة الأولى، أصفهان، ١٤٠٦ ه.

- وسائل الشيعة / الشيخ الحر العاملي (ت ١١٠٤ ه)، تحقيق مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم.
- وصول الأخيار إلى أصول الأخبار / الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي (ت ٩٨٤ ه)، تحقيق السيد عبد اللطيف الكوهكمري، نشر مجمع الذخائر الإسلامية، مطبعة الخيام، قم ١٤٠١ ه.
- ينابيع المودة / القندوزي الحنفي (ت ١٢٧٠ ه) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، والطبعة المحققة، قم ١٤١٦ ه.

* * *